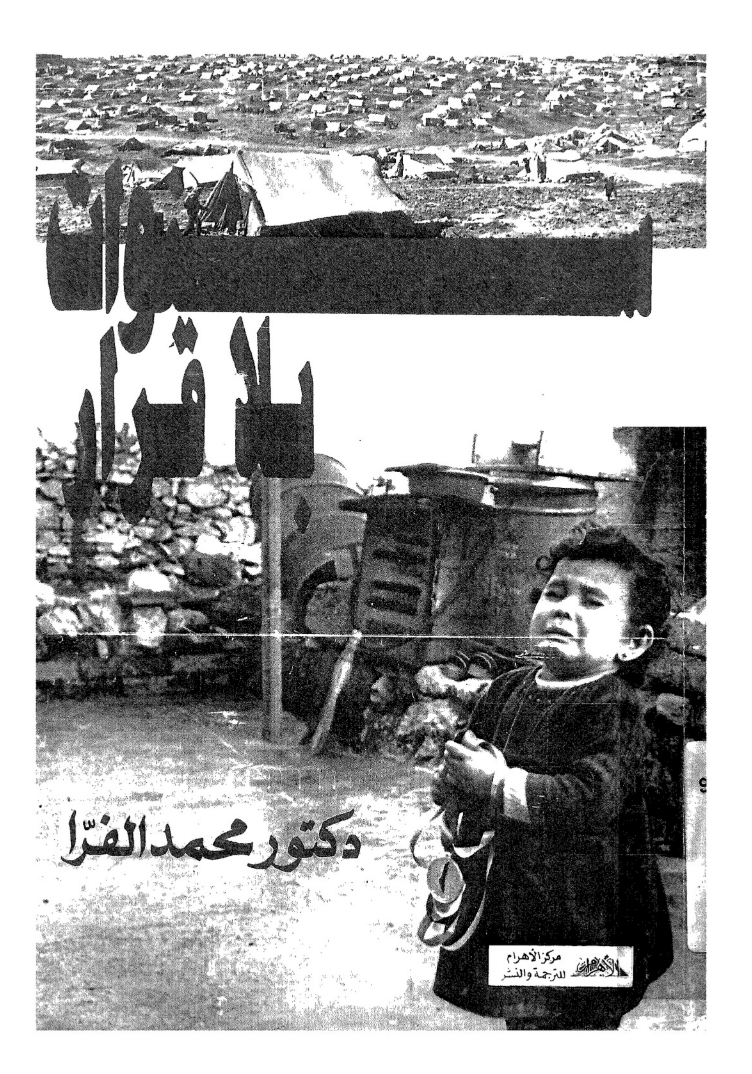
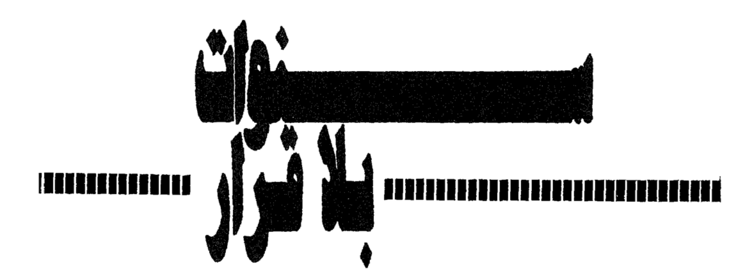


سنوات بلا قرار
دكتور محمد الفرّا
مركز الأهرام للترجمة والنشر

اهداءات ١٩٩٩
مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع
القاهرة

دكتور محمد الفرّا



الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م

الناشر . مركز الأهرام للترجمة والنشر
مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة
تليفون : ٧٤٨٢٤٨ - تلكس ٩٢٠٠١ يوان

المحتويات

الصفحة

الصفحة

إهـــــــداء

إلى زوجتى سلمى الشهابى ، وابنتى هبة ، وولدى هادي ، وإلى جيلهما من الفلسطينيين الذين هم فلسطينيو المستقبل ، وإلى مئات الآلاف من أولاد وبنات فلسطين الذين يولدون ويكبرون بلا دولة بعيدين عن الوطن ، أهدى هذا الكتاب . فاذا كانت هناك عدالة فى هذا العالم الكبير فسياتى يوم ينعم فيه كل منهم ببيت وبحرية وبأرض ، وبالدولة التى وعد بها كل فرد بموجب ميثاق الأمم المتحدة .

الدكتور محمد الفرّا

تمهيـــد

كُتب هذا الكتاب باللغة الانجليزية . وتولت نشره وتوزيعه دار نشر بريطانية . وعندما وصل إلى أيدى بعض القراء العرب ووسائل الإعلام جاء من يطلب منى ضرورة ترجمته إلى العربية . ونشرت مجلة « التضامن » الواسعة الانتشار التى تصدر فى لندن مراجعة للكتاب ثم قالت :

« ورغم أهمية هذا الكتاب للقراء الأجانب ، الذى يبدو أن الكاتب قد استفاد من خلال اقامته فى الولايات المتحدة من طريقة مخاطبتهم ، فهو جدير بأن يترجم إلى العربية كوثيقة من رجل عايش مشكلة بلاده بهويتين ، ومن غير وطن في أعلى هيئة دولية فى عصرنا وفى سنوات اللاحسم » .

وكتب الأستاذ الشاعر هارون هاشم رشيد فى جريدة « الشرق الأوسط » يقول :

« إن الكتاب جدير بأن يحتل المكان المهم فى البيت الفلسطينى ليكون الوثيقة التى يواجه بها أعداءه . . وحبذا لو التفتت جهاتنا الفلسطينية فزرعته فى مكاتبنا فى الخارج وجعلت منه سلاحا . . ترفعه فى وجه من يعتدى علينا . . إنه وثيقة تبرز صراع الخير والشر ، صراع الحق والباطل » .

وأنهى الأستاذ هارون مقاله قائلا :

« لقد جاء فتحا جديدا لكل من يلج هذا الميدان ، وما احوجنا إلى مواصلة هذا الدور لنضع بين يدى أجيالنا مشاعل يهتدون بها فى مسار نضالهم وفى صناعة مستقبلهم » .

واتصل بى الأستاذ الشاعر مقترحا أن يترجم الكتاب إلى اللغة العربية ، فالقارىء العربى ، والفلسطينى بصورة خاصة ، أحوج ما يكون إلى معرفة ما تضمن هذا الكتاب .

ونشرت جريدة « الصباح » اليومية التونسية مراجعة للكتاب اقترحت فى نهايتها :

« ولا شك أن لهذا الكتاب أهمية إعلامية يجب الاستفادة منها على الساحة الأجنبية . كما وإنه جدير بأن ينشر باللغة العربية كوثيقة من رجل عايش مشكلة بلاده وكتب عنها بكل صدق وبساطة ودراية » .

ونشرت مجلة « اقرأ » السعودية معلقة على هذا الكتاب تقول :

« ترجمات كثيرة وكثيرة جدا من هذا النوع تحتاجها المكتبة العربية » .

وكان عدد كبير من الزملاء والأصدقاء المعنيين بالقضية الفلسطينية يلح على ضرورة الاسراع فى إصدار الكتاب مترجما . واقتنعت بضرورة صدوره باللغة العربية . فقد تذكرت أن جيلين من أفراد الشعب الفلسطينى لم يروا بيوتهم المغتصبة ، ولم يعرفوا العقبات التى وقفت فى طريق وصولهم اليها . لكنهم متمسكون بفلسطين كوطن وهوية وحق وتراث . ومن حقهم علىّ أن أضع الكتاب فى متناولهم بالعربية ، وأن أفتح أمامهم الغرف المغلقة فى الأمم المتحدة ، وفى مجلس الأمن بالذات ليعرفوا ما دار فيها حول قضيتهم .

ثم إن الحديث عن الحلول السلمية الذى أخذ يتردد من جديد ، والذى يكاد يكون سرابا ، أو أداة تخدير لا يعرفها الجيل الجديد ، وقد يرى بعض خلفياتها فى هذا الكتاب . إذ يجد فيه المراحل التى مرت بها قضيته فى الصعيد الدولى منذ تقسيم فلسطين فى ٢٩ نوفمبر / تشرين الثانى ١٩٤٧ حتى يومنا هذا . وفيه عرض للمؤتمرات التى عقدت ومباحثات يارينج التى لم تصل إلى نتيجة ، والمباحثات التى دارت بين الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفييتى وفرنسا والتى لم تصل إلى نتيجة أيضا . وهو فى حاجة إلى معرفة دور أمريكا الحقيقى من قضيتنا منذ قرار تقسيم فلسطين حتى اليوم ، ومعرفة صلاتها بإسرائيل التى تطورت حتى أصبحت شريكتها الاستراتيجية .

أقول رحبت بنشر الكتاب بالعربية لأن فيه مادة جديدة ليس بالنسبة للقارىء الأوروبى والقارىء الأمريكى فحسب ، بل وبالنسبة للقارىء العربى أيضا . وزاد من قناعتى ترحيب دور النشر بنشر الكتاب . وقد اخترت من بينها « مركز الأهرام للترجمة والنشر » بدار الأهرام ، لما يتمتع به من مكانة عالية بين دور النشر وتوزيع واسع . وكان اختيارى « للأهرام » لأننى وددت أن يكون الكتاب فى متناول القارىء العربى بصورة عامة ، والقارىء المصرى بصورة خاصة تتحمله ميزانيته ولا يشتريه بعملة صعبة من الخارج .

فمصر البالغة الخمسين مليونا هى أمل المستقبل . وبإرادة مصر العربية وإرادة كل من يؤمن بالعمل العربى المشترك ، ومن يؤمن بالأمة العربية الواحدة ، ومن يؤمن بقوة الوحدة فى زمن لا مكان فيه للضعيف ، ستنهض الأمة العربية من كبوتها ، وستقف بين الأمم حاملة راية التحرير والتقدم والبناء والازدهار .

الدكتور محمد الفرّا



فتى و "برزان"

« نحن شعب صغير ، لكنه شعب عظيم . شعب بشع وهو أيضا جميل ، شعب خلاق وهو أيضا هدام ، شعب اختلطت فيه بالتساوى العبقرية والحماقة . نحن شعب متهور تنكرنا لما بناه أجدادنا ودمرناه ، فمن اجل الله دعونا لا نسمح لشرخ الحائط ان يبلعنا . » .

حاييم وايزمان

كنت فى الثانية عشرة من العمر ، أملك آلة موسيقية كانت عندنا من بقايا الجيش التركى العثمانى اسمها « البرزان » . كان صوتها يصل إلى أطراف المدينة ـ خان يونس ـ ويسمعه الجميع . وخان يونس تقع على بعد بضعة أميال من الحدود المصرية ، وهى آخر مدينة على تراب فلسطين . كان « البرزان » رفيقى الدائم . لم يكن عندى الكثير من الأصدقاء . توفى والدى قبل مولدى بستة أشهر تاركا والدتى لرعاية أربعة أطفال وتربيتهم .

وفى إحدى ليالى الخريف ، جاء الخال توفيق لوالدتى طالبا السماح لى بالتوجه معه فى مهمة خاصة . وضحكت الوالدة قائلة :

ـ أتريد هذا الصغير فى مهمة خاصة ؟ كانت تعرف أن الخال يعمل فى المقاومة الفلسطينية مناضلا ضد الانتداب البريطانى ومقاوما الاحتلال . . وأضافت :

ـ كيف يمكن لهذا الطفل أن يساعدك ؟ . . قال :

ـ أريده ومعه البرزان . وهمس فى أذن والدتى قليلا ولم أسمع ما قال . . هنا ابتسمت الوالدة والتفتت لى :

ـ ولدى ستكون مهما هذه الليلة . . ستخدم وطننا . . أذهب مع توفيق . افعل ما تؤمر به وتأكد من ضرورة إطاعة أوامره . .

أردت مرافقة توفيق فى الحال ، لكنه التفت لى وقال :

ـ لا . . ليس الآن . . سآتى لآخذك خلال ساعتين أو ثلاث . . نم الآن ساعتين إذا أردت فأمامك ساعات من السهر . طبعا لم أستطع النوم . كنت متشوقا للقيام بمهمة أجهل تفاصيلها . . ومتحمسا لها .

وجاء توفيق بعد ثلاث ساعات . وجلست وراءه على ظهر حمار أبيض سريع الركض . وانطلقنا متجهين شمالا لمدة من خمس عشرة إلى عشرين دقيقة . قطعنا مسافة أربعة أميال بعيدا عن المدينة . . فى منطقة اسمها « القرارة » . لم يتجه توفيق نحو الطريق المعتاد بل توجه إلى طريق جديد ضيق لا أعرفه . وعندما وصل للمكان المطلوب ، طلب منى أن أجلس فى حفرة عميقة أعدت لى قبل ذلك . كان معه مشعل كهربائى يعمل بالبطارية . لم يكن هناك غيرنا . وسحب توفيق ساعة جيب يمكن قراءة عقاربها بسبب الفسفور المضىء فيها .

قال لى إننى فى حوالى منتصف الليل ، سأرى من بعيد قافلة دبابات قادمة من الشمال نحو الجنوب باتجاهنا . وأن علىّ أن انتظر وبعد ربع ساعة سأراها تقترب أكثر وأكثر ، ثم بعد دقائق أخرى ستكون على الطريق الرئيسى المواجه لى . وفى هذه اللحظة علىّ أن أنفخ فى البرزان ، وسأسمع بعد ذلك الرد على البرزان بأنواع الأسلحة والقنابل وستطير طلقات الرصاص فى كل اتجاه . لكن علىّ أن لا أخاف . وأضاف إننى سأسمع انفجارات لألغام وقنابل كثيرة ، وأن علىّ أن أمكث فى الحفرة بدون حركة إلى أن يصلنى توفيق . سيظهر القمر فى السماء وسأرى الأشجار والفواكه ، وعلىّ أن لا اتحرك . وبينما كان يتحدث معى ، تذكرت ما كنت أسمعه عن الذين يحاربون القوات البريطانية من أجل الاستقلال . **لم أكن أعرف آنذاك ما معنى « استقلال »** .

ففى كل ليلة كانت هذه القافلة العسكرية ، تأخذ نفس الطريق وتستعمل الأضواء الكاشفة لارهاب الناس وإيهامهم بأنهم تحت نظر قواتها . كنا نحن الأطفال نذهب إلى أسطح المنازل لنرى الدبابات وأضواءها الكاشفة . وكثيرا ما سمعنا إطلاق النار . ولم أكن أعرف من الذى يطلق الرصاص على من . ولا ظننت أننى سأصبح فى يوم ما مشتركا فى مثل هذه العمليات . لكن فى تلك الليلة جلست فى الحفرة وإلى جانبى البرزان . كنت مملوءاً حماسا وفرحا فى انتظار تنفيذ ما كلفت به . تركنى توفيق أسبح فى خيالى وأفكارى . جلست فى الحفرة محاطا بأشجار الزيتون واللوز والخوخ والتين والعنب والمشمش . كانت هذه البساتين الجميلة فى جنوب فلسطين محاطة بأشجار الصبار . انتظرت بقلق وصول القافلة . كان كل شىء هادئا فى الميدان . نامت الطيور . . ونام المزارعون الذين صرفوا النهار فى الحقول يفلحون الأرض . . وبقيت وحدى جالسا فى الظلام . جاهزا لتنفيذ المهمة التى عهد بها إلىّ . هدوء يخيم على البساتين . وصمت طويل من جانبى . وأفكار تأتى وتروح . وشعور غريب حول ما ستحمله الليلة من أحداث .

ظننت أن الوقت سيمضى سريعا . لكن انتظار منتصف الليل كان صعبا ، وكأن الساعة

واقفة لا تتحرك . كنت أنظر إلى الساعة ، وأضعها إلى أذنى ظانا أنها توقفت . فما أصعب الأنتظار . . . . .

وفجأة رأيت نورا عاليا فى الفضاء . نظرت للساعة ولم تكن تشير إلى منتصف الليل بعد . وبعد خمس عشرة دقيقة رأيت الدبابات تقترب . وبعد دقائق أخرى وصلت الدبابات إلى المكان المحدد لى لاستعمل البرزان . فبدأت أنفخ فى البرزان بكل قوتى . وبسرعة بدأ إطلاق النار بين الفريقين . وانفجرت القنابل ، كما انفجرت الألغام المغروسة فى عرض الطريق حيث تسير الدبابات . كنت أسمع صراخ الجنود بعد نسف الدبابات التى طارت أجزاء منها فى الهواء ، واستقرت فى حقول الفواكه ، أوفوق أشجار الصبار المحيطة بالأرض . وأخذت الأضواء الكاشفة تطل علىّ من كل جانب وتتسلل إلىّ من بين أغصان الأشجار . كنت أسمع الرصاص وأشعر بأزيزه فوق رأسى . بقيت ملتصقا بحفرتى بلا حركة ، وقد شق الخوف طريقه إلىّ . وخف إطلاق النار واستمر صراخ الجنود الجرحى . وفجأة توقف كل شىء ، ولم أعرف ماذا جرى . ولم يحضر توفيق الذى لا يعرف مكانى سواه . وأخذت أسأل نفسى : ماذا لو كان توفيق قد استشهد ؟ ماذا أفعل ؟ أأبقى وحيدا فى الظلام ؟ كنت أخشى القيام بأية حركة حتى بعد أن لف القمر الحقول بالضياء . وأخيرا ، قررت البقاء حيث أنا حتى الصباح . وبعدها أمشى إلى البيت ثم المدرسة .

وسمعت بعد ساعتين نهيق حمار . وبعد دقائق وصل توفيق إلى المكان فرحا ضاحكا راكبا حماره الأبيض . كنت فى تلك اللحظة أسعد انسان فى فلسطين .

قال توفيق : كنت رائعا . . كنت رجلا .

سـألته : ماذا جرى ؟

قـال : حطمنا دبابتين وقتلنا عددا من الجنود .

قلت : لكن لماذا ؟

قـال : قوات الاحتلال تريد اعطاء وطننا وأرضنا لليهود ، وعلينا أن نكرههم على الانسحاب قبل أن يغرزوا اليهود فى أرضنا .

سـألته : ولماذا جئت بى إلى هنا وما قيمة هذا البرزان ؟

ضحك وقال : كان لابد من هذا لايهام البريطانيين بأننا منظمة تحرير تتميز بالتنظيم الكامل . بينما الواقع أنه ليس لدينا منظمة وكل منا يحارب من جهته للدفاع عن أرضه . ننظم أنفسنا بشكل فردى محدود ولا يعرف عنا أحد . عندما تكبر ستقدر أهمية الوطن ،

وأيضا أهمية المحافظة على الأرض حرة بعيدة عن المعتدين . . وأضاف : هل تعرف أن هذه الحقول والبساتين التى تخصنا نملكها من الأرض حتى السماء . .

قلت : أتعنى أننا نملك الأرض وكل ما فيها ، وما عليها من شجر وماء وهواء حتى ذلك القمر المطل علينا من هناك ؟

قال : نعم . ثم أضاف : طبعا ستفهم هذا مستقبلا . أنت صغير الآن .

وفى البيت وجدت أمى الحبيبة تنتظرنى قريبا منه ، والقلق على وجهها ، أخذتنى بالأحضان بكل حب أم لابنها . حياها توفيق قائلا :

ـ هذا هو محمد . من حقك أن تعتزى به لأنه رجل .

قالت لى : يا ولدى . . لقد جلبت لى الفخر والاعتزاز والسعادة .

ومشينا إلى البيت . طلب توفيق من والدتى أن تقول لى أن لا أبوح بسر ما جرى لأى من زملائى فى المدرسة . وسألته الوالدة الانتظار لتناول الطعام ، لكنه اعتذر لارتباطه بأعمال أخرى ، وشرب كوبا من القهوة وغادر البيت .

وجدت الوالدة قد أعدت كمكافأة لى طبقى المفضل وهو « حمام محشى » ، وطلبت منى أن لا أقص على تلاميذ المدرسة ما قمت وتوفيق به . لم يعجبنى ما سمعت ، كنت أعد نفسى لأقص القصة كاملة على زملائى لكن ها هى والدتى لا تريدنى أن أفعل ذلك .

قلت لها : لم لا . . يا والدتى ؟

قالت : هذا يضرك وتوفيق وكل من عمل معه .

وهكذا تعلمت المحافظة على السر فى هذه السن المبكرة .

وفى اليوم التالى كانت الأمور التى حدثت لا تصدق . إذ اعتقلت السلطات البريطانية اثنين من كبار العائلة هما عبد الرحمن الفرّا رئيس بلدية خان يونس ومصطفى حسن الفرّا مختار (عمدة) المدينة ، وكذلك الحاج سليم الأغا رئيس البلدية السابق ، والشيخ سعيد حمدان الأغا خطيب الجامع الكبير ونفتهم من خان يونس : عبد الرحمن والحاج سليم نفيا إلى سمخ ومصطفى والشيخ سعيد نفيا إلى بيسان لمدة ستة أشهر . كما نفت واعتقلت عددا آخر من وجوه العائلات الأخرى إلى أماكن مختلفة . وبعد ذلك فقط عرفت أن هؤلاء المعتقلين كانوا بالفعل يعملون مع المقاومة . كانوا يذهبون لعملهم العادى فى النهار ويتحولون إلى رجال

للمقاومة فى الليل بدون علم ولا معرفة سلطات الانتداب . وعندما علمت ذلك تذكرت كيف أن الحاكم البريطانى كان يزور بيت رئيس البلدية للغداء وبعد رحيله عن خان يونس بساعات ، يسارع الرئيس بقيادة فريق من الرجال لمقاومة سلطات الاحتلال . وقد نقل حاكم اللواء البريطانى إلى يافا ، لفشله فى قمع المقاومة فى خان يونس . وبعد أشهر حاول أخى قاسم وابن العم عادل إقناع هذا الحاكم الموجود فى يافا بالتوسط لاطلاق سراح المعتقلين . كان ذلك اليوم يوما مطيرا والسماء ترعد والبرق ينذر بليلة عاصفة . . وباءت جهودهما بالفشل ورفض الحاكم « المستر أوبرى ليز » التوسط لأنه عرف دور المعتقلين فى المقاومة ، وعرف أيضا أنهم سبب ما أصابه من نقد ومهانة ، بعد أن أعتبرته سلطاته متعاونا مع المقاومة ، مع أنه لم يكن يعلم شيئا من أمرها طيلة وجوده فى لواء غزة . لم يشأ التدخل لاطلاق سراح المبعدين رغم أنه لم يكن من مؤيدى الحركة الصهيونية ، ولم يكن راضيا عن نواياها التوسعية ولا متفقا مع سياسة حكومته نحوها .

وشهد عبد الرحمن ومصطفى قبل وفاتهما قيام الدولة اليهودية على تراب وطنهما . وكان بعض أبناء العائلة قد انضم للمقاومة . واعتقل وعذب واستمر حاملا رسالته . وقررت السلطات الاسرائيلية حبس ابن عبد الرحمن خمسة وعشرين عاما ، وتوفى عبد الرحمن قبل خروج ابنه مصطفى من السجن ، وجىء به لحضور جنازة والده وهو مكبل بالحديد فى يديه ورجليه .

وهناك قضية قاضى المحكمة المركزية بمدينة غزة الأستاذ شوقى عبد الكريم الفرّا ، الذى سُحب عام ١٩٦٨ من دار القضاء إلى دار السجن متهما بالتعاون مع حركة مقاومة الاحتلال الاسرائيلى فى قطاع غزة . وبعد أن قضى بعض الوقت معرضا لأنواع التعذيب والاضطهاد هرب من السجن واختبأ اربعين يوما فى بستان قريب من المدينة . ثم اكتشفت مكانه قوات الاحتلال وجاءت وطوقت المكان . واقتربت من مخبئه قليلا . . قليلا . وصرخت طالبة منه الخروج بأمان . وعندما ظهر أطلقت الرصاص عليه بدون أى إنذار فأردته قتيلا ، وزعمت أنه حاول الهرب ثانية فأطلقت عليه النار .

وكان للقاضى شوقى جنازة مهيبة حضرها عدد كبير من أهالى فلسطين وابنه قاسم الفرّا ، قائلا : « إن شوقى عريس شهيد ، ونحن لا نودعه بالبكاء والعويل بل بالأهازيج والزغاريد . ونحن إذا أردنا لوطننا خلاصا وتحررا من الاستعمار والصهيونية ، من المحيط إلى الخليج ، فعلينا جميعا أن نسير فى طريق النضال والاستشهاد الذى سار فيه شوقى . وعاشت فلسطين عربية حرة » .

كان أعضاء مجلس الأمن يناقشون جريمة أخرى من ممارسات اسرائيل التعسفية فى الأراضى المحتلة عندما وصلت أنباء هذه الجريمة الجديدة . عبّر رئيس المجلس وأعضاؤه عن تعازيهم لى ، ولأسرة الفقيد ولأفراد العائلة . كنت مقدرا وشاكرا لهم عواطفهم وتعازيهم فى هذا الحادث المفجع ، وسجل المجلس ذلك فى محضر اجتماعه .

المظاهرات ضد الاحتلال

أنهيت دراستى الابتدائية فى خان يونس وأتممت دراستى للاستعداد للدراسة الجامعية فى يافا ، وكنت أعيش مع أخى الأكبر عبد السلام . كان حلمى أن أكون محاميا . وعملت قبل سفرى لأمريكا فى يافا بمكاتب الأستاذين المحاميين عزيز شحادة والياس ناصر . واستفدت كثيرا خلال الفترة التى عملت فيها ، واكتسبت خبرة من أستاذين خبيرين مجليين فى ميدان المحاماة . كان هدفى هو انهاء دراساتى القانونية والعودة إلى يافا للالتحاق بمكاتب المحاميين شحادة وناصر . وهذا كان باتفاق معهما . وأنهيت دراساتى ونلت درجاتى العلمية فى القانون . لكن الاسرائيليين كانوا قد أخذوا يافا وطردوا معظم سكانها قبل عودتى اليها . وذات يوم أثناء إقامتى فى يافا فى أواخر عام ١٩٣٨ حوالى الرابعة بعد الظهر رافقت أخى إلى الجامع الكبير فى يافا لصلاة العصر . وفى الطريق واجهتنا مظاهرة ضخمة ضد الاحتلال . ولفتت نظرى شعارات فى المظاهرة تطالب **بمنع الهجرة ، ومنع مصادرة الأراضى والاستقلال التام** . وكنت وأخى نمشى على مهل ، نرى الجنود البريطانيين يهاجمون المتظاهرين ونحن فى طريقنا إلى الجامع الكبير ، لا نخشى أن يصيبنا أى ضرر من هؤلاء الجنود لأن لا علاقة لنا بما يجرى ! . وفجأة تلقى أخى ضربة بمؤخرة البندقية على رأسه أحدثت كسراً فى جمجمة الرأس ، وسقط إلى جانبه عدد آخر من رجال المظاهرة . أما أنا فقد لذت بالفرار خوفا من بنادق الجنود . وعدت بعد لحظات لأجد أخى ملقى على الأرض فى بركة من الدماء ، ووجدت إلى جانبه عشرات الجرحى . وبرك الدم الأحمر تلمع تحت رأس كل جريح . ورأيت سيارات الاسعاف تنقل هؤلاء لا أدرى إلى أين ؟ واختفت السيارات . وبقيت وحدى أنظر واقفا بين برك الدم لا أدرى ماذا أفعل ! . لمْ أفهم لماذا حدث هذا لأخى الذى لا علاقة له بالمظاهرة . ثم لماذا تقمع مظاهرة سلمية بهذه القسوة الوحشية الجبارة . . ذهبت إلى البيت ، وقصصت القصة على زوجة أخى « علياء » التى بكت كثيرا ، ثم اتصلت بشريك أخى وجارنا أبى محمود . وسأل هذا عن مكان الجرحى وعلم أنهم فى مستشفى الحكومة المطل على البحر الأبيض المتوسط فى حى العجمى ، فذهبنا إلى المستشفى لنواجه تقريرا يقول : « أجريت عملية لعبد السلام الفرّا وهو فى حالة خطرة » . وأضاف التقرير : « تمنع الزيارة » . رجونا الممرضة أن تسمح لنا برؤيته من بعيد وسمحت لنا بذلك . أما الزيارة المسموح بها ، فجاءت بعد أسبوع عندما تحسنت حالته . دخلنا غرفته ، فوجدنا عنبرا مكتظا بأسرَّة المرضى كلهم بلباسهم الأبيض ، ورأيت أخى يجلس على مقعد يتناول طعام الافطار . قال : إننى اتعبد كثيرا لكننى لا أستطيع الصلاة . ابتسمت له ورجوت له الشفاء العاجل لأرافقه ثانية إلى الجامع الكبير للصلاة .

واستمرت الهجرة اليهودية إلى فلسطين واستمرت المظاهرات ضدها وقمع المظاهرات وسفك الدماء ومقاومة الاحتلال . ولعجز سلطات الاحتلال عن قمع المظاهرات ، أصدرت حكومة الانتداب أمرا بمنع التجول من مغيب الشمس حتى شروقها . وفى أحد الأيام

أمر الحاكم بجمع كل سكان حى النزهة فى ملعب البصَّة المحاط بأشجار البرتقال الجميلة ، حيث اعتاد النادى الرياضى الاسلامى تنظيم مباريات لعب الكرة والتنافس على البطولة مع غيره من نوادى فلسطين ومنها نادى الشباب العربى فى حيفا والنادى الأرثوذكسى فى يافا ، ونادى الخالدى فى القدس وغيرها من النوادى . وكنت وأخى ممن جاءوا إلى البصَّة ، وبين من اختارهم رجال الانتداب ليقيموا تلك الليلة فى السجن . لا أعرف لماذا اختارونى ؟ ولماذا اختاروا أخى ؟ فأنا بعيد كل البعد فى هذه السن عن أعمال المقاومة ، وأخى رجل متدين يقضى معظم وقته فى التعبد والصلاة ولا يتدخل فى السياسة . وضع البوليس علامة على يد كل منا بحبر بنفسجى لا يمحى إلا بعد بضعة أيام أو أكثر . لم أفهم سببا لذلك إلا المزيد من الارهاب والضغط والاذلال .

ومرت الأيام . .

قيـام منظمة النجـادة

... ورأينا عصابات يهودية إرهابية تعمل ضد أهلنا وشبابنا وشيوخنا حتى تكرههم على ترك بيوتهم وأراضيهم ليصبحوا لاجئين . **وشعر البعض منا أن هناك حاجة لإعداد الشباب للدفاع عن أهلهم وأنفسهم والحث على البقاء** . واجتمع بعض شباب نادى يافا الرياضى الإسلامى فى مقر النادى بشارع جمال باشا لإعداد منظمة للدفاع عن وطنهم وأهلهم وطمأنة الأهل حتى لا يقدموا على الرحيل . وكان لابد لهذا الجيل الناشىء من أن يتدرب على استعمال السلاح ضد أى عدوان أو اعتداء تقوم به المنظمات الإرهابية مثل شتيرن والإرجون .. كان هذا قبل عام من توصية الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين فى ٢٩ نوفمبر/ تشرين الثانى ١٩٤٧ . كنت بين من حضر الاجتماع . وشهدت تشكيل المنظمة التى سميت « **النجادة** » وكانت المادة الأولى فى دستورها تقول :

« لا حزبية ولا طائفية ولا عائلية » .

ولاقت هذه الفكرة وهذا الشعار ترحيبا لدى أفراد الشعب الفلسطينى الذى مل الخلافات بين الأحزاب الفلسطينية ، وأراد شيئا جديدا وفكرة يلتف حولها جميع أفراد الشعب الفلسطينى ، ولاقى هذا الشعار تأييدا لدى الشباب الفلسطينى فى جميع أنحاء فلسطين .

وهذا ما أذكره من نشيد النجادة :

نجاد يا وجـه العـــــلا ∴ وخفقــة العــــلم
كـن للــــبلاد الأمــــلا ∴ والســيف والقـلم

* * *

فى حالكات النوب ∴ لا تهب
واهتف ببلاد العرب ∴ للعرب

* * *

بلادى بلاد الشباب الأبى ∴ إذا انتابك الشر من أجنبى
فنجادك الفارس اليعربى ∴ يثرها مندى الشرق والمغرب

فدا قدسك الاقدسى الطيب

* * *

بلادى سنمشى ∴ ولسنا نهاب
ونزحف فى الحالكات ∴ الصعاب
تميد الجبال لنا ∴ والهضاب
وعدتنا سيفنا ∴ والكتاب

ونور الشيوخ ونار الشباب

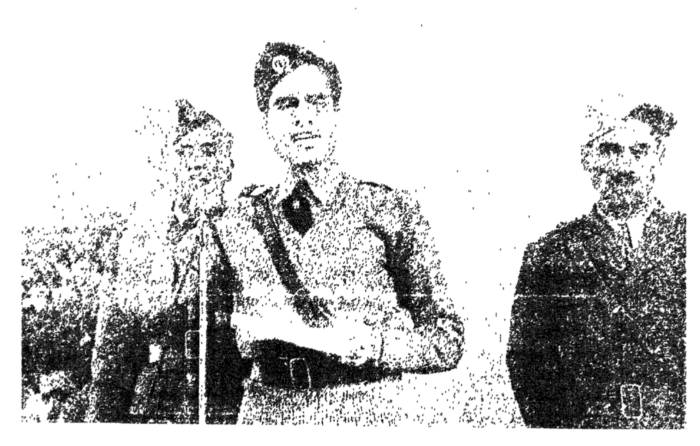
* * *

نجاد يا وجه العلا ∴ وخفقة العلم
كن للبلاد الأملا ∴ والسيف والقلم

* * *

وقبل نهاية العام كان للمنظمة وجود فى كل قرية ومدينة . وعقدت اجتماعها السنوى فى ملعب البصّة الذى كان عدد من رجالها قد اعتقل فيه . وظهرت منظمة آخرى اسمها منظمة « **الفتوّة** » . وأخيرا ، تم دمج المنظمتين تحت اسم « **منظمة الشباب العربى** » وكان مركزها فى يافا .

واختلف الأعضاء على من سيرأس المنظمة الجديدة . فقد اعترضت الأكثرية الساحقة على قبول أحد رئيسى المنظمتين الموحدتين ليقود المنظمة الجديدة . كانوا لا يريدون أن يرأسها سياسى ، بل لابد من رجل ذى خبرة عسكرية . ولعدم وجود من يتمتع بالكفاءة المطلوبة ، **استعانوا بمصر حيث وجدوا ضالتهم فى اللواء محمود لبيب المعروف بتفانيه من أجل القدس وتعاطفه مع القضية الفلسطينية** . ورحب اللواء لبيب بذلك وانضم إلى المنظمة الجديدة ، وزاد هذا من حماس أعضاء المنظمة . وكان الإصرار على كلمة « **العربى** » فى اسم المنظمة لأن جميع أهل فلسطين كانوا ينادون بالوحدة العربية ، والحفاظ على عروبة فلسطين ووحدة التراب فى كل مكان ، ولأن أجدادهم كانوا يرون ضرورة تعريب قضية فلسطين ، ويعلقون الآمال الكبيرة على الشقيقة الكبرى مصر .



□ المؤلف يلقى خطبته فى اجتماع البصّه أمام أعضاء منظمة النجادة .

واقترب موعد انسحاب بريطانيا من فلسطين ، وزادت الهجرة اليهودية وزاد عدد الإرهابيين اليهود واقترب موعد اعلان الدولة اليهودية ، كما اقترب موعد حرب ستحوضها ضدنا المنظمات الإرهابية الصهيونية حال إعلان الدولة اليهودية

كانت رغبة مفتى فلسطين الأكبر الحاج محمد أمين الحسينى ورغبة المنظمة العربية الفلسطينية أن يخوض الشعب الفلسطينى وحده الحرب ضد منظمات الإرهاب الصهيونية ، وأن يكون دور الدول العربية دور المساعد الداعم للشعب الفلسطينى بالسلاح وبالمال والرجال . غير أن الدول العربية المجاورة رأت أن تخوض الحرب ، وأن يكون دور الشعب الفلسطينى ثانويا جدا . وهكذا كان .

السفر إلى الولايات المتحدة للالتحاق بالجامعة

تجاه ذلك قررت عدم تأخير الذهاب لجامعتى فى امريكا أكثر مما تأخرت وأخذت أعدّ العدّة للسفر

وكان من المقرر أن يتم سفرى إلى أمريكا عن طريق حيفا بحرا على الباخرة « المارين كارب » . وبدأت مغامراتى من أجل العلم ..

كانت الرحلة محاطة بالمخاطر . فالسفر برا إلى حيفا لابد أن يتم بواسطة سيارة أجرة . وأخويّ عبد السلام وقاسم يصران على مرافقتي مع جاري فريد خورشيد حتى سلم الباخرة . أما والد فريد ، فقد قدر المخاطر المحيطة بالرحلة فكتب آية قرآنية وقسمها واحتفظ بقسم منها وأعطى الآخر لابنه ، وهذا اعتمادا على إيمانه أن فريد سيعود ليلتقى الجزء الذى يحمله من الآية بذاك الذى احتفظ به والده ، أما أخى عبد السلام فقد قال : بإرادة الله ستكون الرحلة سالمة .

وتحرك التاكسى عند الفجر وكانت رائحة أريج زهر البرتقال تغمر الطريق وتنعشنا . وكان المزارعون قد بدأوا العمل وأخذوا يغنون أغانى وطنية . وبعد دقائق بدأ الرصاص يوجه إلى سيارتنا وأصابت إحدى رصاصات الإرهاب الصهيونى إحدى عجلات السيارة وتوقفنا ، وشرع السائق فى إبدال عجلة السيارة ، واختبأ كل منا وراء صخرة إلى أن ينتهى السائق من مهمته . ووصلنا حيفا عند الظهر ونزلنا فى فندق بشارع الملوك . وفى اليوم التالى كان علينا تأكيد الحجز وتسلم التذاكر ، ولم يسمح لى أى من أخويّ بالقيام بالعملية بنفسى . وتجاه إصرارهما ذهبنا جميعا ومعنا فريد إلى مكتب الملاحة وأجرينا اللازم ، وعدنا إلى الفندق . حتى إذا ما تنفس الصبح ، كنا جميعا متجهين إلى الميناء حيث ترسى « المارين كارب » . وكان أخى يغطى رأسه بطربوش أحمر ، فطلبنا إليه أن يتركه فى الفندق ـ كما فعلنا ـ حتى لا يكون هدفا لإطلاق النار علينا ، لكنه رفض قائلا « الله معنا » . ووصلنا بأمان إلى الميناء ، وأقلعت الباخرة فى ١٧ ديسمبر/ كانون الأول ١٩٤٧ . وحضر أخواى وفريد إلى الميناء . ولما كانت الباخرة راسية داخل البحر بعيدا عن الميناء ، فقد كان علينا ركوب قارب صغير يوصلنا إليها . وأصر أخواى على مرافقتى حتى سلم الباخرة . تعانقنا هناك وافترقنا . كانت لحظات عاطفية مثيرة تلك التى قضيناها إلى جانب سلم الباخرة والقارب يتأرجح بنا يمينا وشمالا . كنا فى حالة قلق واضطراب ، فالرصاص أخذ يطلق فى كل مكان والمستقبل مجهول . ولا يعرف أحد ما هو مصير فلسطين . ونحن الأخوة هل نلتقى من جديد ؟ .. وفى فلسطين ؟ .. هذا ما جعل وداعنا فريدا محاطا بالكثير من القلق . وكنت أنا بالذات أخشى أن لا يصل أخواى إلى يافا سالمين .

ووصلت بعد أكثر من أسبوعين إلى نيويورك . تلك المدينة الصاخبة القاسية الجميلة التى لا تنام . وهى أول بلد غريب وصلته . وبعد يومين توجهت إلى بوسطن وسجلت فى كلية الحقوق بجامعة « صافولك » ، وبدأت دراستى فى الجامعة الأمريكية . أمريكا بلد العجائب ، حيث كل شىء فيها غريب علىّ .

وأخذت فى كل صباح اشترى جرائد المدينة وأفتش فيها عن أخبار بلادى وقضيتى . وتبين لى أن هذه الجرائد لا تنقل الحقيقة . وأن أكثرها اعتدالا وموضوعية جريدة « الكريستيان ساينس مونيتور » . أخذت أعد الرسائل لتصحيح ما تنشره بعض جرائد بوسطن من أكاذيب . لكن ما كنت أكتبه لم يجد طريقه إلى النشر . وغضبت لهذه المعاملة وذهبت إلى جريدة « الكريستيان ساينس مونيتور » وطلبت مقابلة المسؤول عن الشرق

الأوسط . وقدمتنى الفتاة التى تعمل فى قسم الاستقبال إلى المستر روبين مارخام ، ونقلت له قصتى . وابتسم الرجل وأخذنى إلى غرفة الاجتماعات ، وأخذ يصغى بهدوء لكل ما أقول . كان الرجل منصفا ، محايدا ، متفهما لكل ما قلته له . أوضح لى نفوذ الصهيونية ووكالات الاعلان والمتاجر الكبيرة . سألنى : ماذا كتبت ؟ وتناولت رسالتى الموجهة لمحرر الجريدة وسلمتها له . ووعدنى بنشرها شريطة أن ينشر إلى جانبها مقالا آخر بنفس الحجم لكاتب يهودى . قلت : لا أمانع بل أرحب لأن ما كتبته هو الحقيقة . ودعانى مارخام إلى بيته ووجه الدعوة لعدد من أصدقائه الأمريكيين للاستماع إلى ما سأقوله . كانت سهرة جميلة . وهناك تكونت لدىّ قناعة أن الأمريكيين شعب لطيف طيب القلب تستغله الصهيونية كل الاستغلال .

حرب ١٩٤٧
واحتلال القسم الأكبر من فلسطين

فى بداية صيف عام ١٩٤٨ احتل المستوطنون اليهود بقوة السلاح معظم أراضى فلسطين ، بمساعدة الرئيس الأمريكى هارى ترومان فى سنة انتخابه ، وبمساعدة الحركة الصهيونية فى الخارج . واستمرت الحرب وفقدت الاتصال بالأهل . ونفد ما معى من نقود . ولم أكن أعرف أحدا استطيع اللجوء إليه للاستدانة ، وقدرت أن هذه لابد أن تكون مشكلة كل طالب فلسطينى فى الولايات المتحدة . فكيف نجد الطريق إلى حل هذه المشكلة ؟ وبحثت المسألة مع صديقين زميلين أحدهما عبد السلام الدجانى الذى تربيت واياه سوية ، وفى نفس حى النزهة بيافا .. وهو رفيق العمر الذى خططت معه للحضور لأمريكا ونحن الآن فى جامعة واحدة وصف دراسى واحد . واتفقت مع الصديقين على تأسيس منظمة للطلاب العرب . وانتخب أحدنا رئيسا والثانى نائبا للرئيس والثالث أمينا لصندوق لا قرش فيه ، وكتبنا للطلاب طالبين منهم انتسابهم للمنظمة وإعلامها عن مشاكلهم .. وجاءت عشرات الردود بالترحيب ، وطلب الدعم لتسديد أقساط الجامعة .. ووصلت إحدى هذه الرسائل من الصديق فريد . وأردنا نقل هذه الرسائل إلى السفراء العرب المعتمدين لدى الأمم المتحدة فى نيويورك . ووافق البعض منهم على استقبالنا ، وكان منهم فارس بك الخورى سفير سوريا آنذاك . وكان أحد زملائى غير دبلوماسى مع هذا الدبلوماسى الكبير . قال إن الدول العربية هى التى أضاعت فلسطين ويجب عليها العمل على تحريرها ، ومساعدة الطلاب وحل مشاكلهم المالية .

اجتماع مجلس الأمن الدولى

تميز فارس بك بالصبر وكان رده هادئا مجاملا . ودعانا للغداء ، فاعتذر الصديقان وقبلت . وذهبنا إلى الغداء ، وبعد ذلك دعانى لحضور اجتماع مجلس الأمن فقبلت . وبعد ساعة وصلت سيارة كاديلاك سمراء كبيرة نقلتنا إلى مقر الأمم المتحدة . وسألنى فارس بك فى

الطريق ماذا أدرس ؟ ولم يكن سعيدا عندما علم أننى أدرس القانون . قال : إن المطلوب دراسة ما يتعلق بثروات الأرض وزراعتها لا السياسة والقانون . وفى الطريق قال لى : « **إن الدول العربية أخطأت بقبول إيقاف إطلاق النار . لقد نصحناها بأن لا تقبل وقلنا لها إنها حيلة إلى أن تستعد قوات اليهود أكثر .. لكنهم لم يقبلوا النصيحة** وكان أن هزمنا فى الحرب ونفذت إسرائيل سياسة الأمر الواقع كما قلت وتوقعت » .

وفى مجلس الأمن ، قدمنى فارس بك إلى أفراد وفده ثم أجلسنى خلفه فى المجلس . وألقى خطابه حول فلسطين . وأعجبت بالرجل وبعقله الكبير وتفكيره الرزين وحسن تقديره للأمور . وعلى أثر تلك الجلسة تحمست فى أن أنهى دراستى وأسعى للالتحاق بالأمم المتحدة للدفاع عن فلسطين . لكنى تذكرت أن فلسطين ليست عضوا فى الأمم المتحدة وأن المنظمة هى للأعضاء فقط .

ما هى الحركة الصهيونية ؟

وحتى زيارتى لفارس بك ومجلس الأمن لم أكن أعرف الكثير عن الصهيونية ، وما سمعته فى مجلس الأمن فتح عينى على أمور كنت أجهلها . وقررت أن أعرف المزيد عن هذه الحركة التوسعية . وعدت إلى بوسطن . وفى عطلة الأسبوع توجهت إلى المكتبة العامة ، وطلبت شيئا عن الصهيونية ، فأعطتنى أمينة المكتبة كتابا اسمه : « العقائد الأوروبية » ، وجدت فيه فصلا عن الصهيونية . **قرأت عن المؤتمر الصهيونى الأول الذى عقد فى مدينة بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ ، وتبين لى أن هذه الحركة تدعو إلى الاستعمار الاستيطانى فى فلسطين ، وإحضار جميع يهود العالم للإقامة فيها ، وخلق دولة يهودية بالتدريج إلى أن تصبح جميع الأرض لإسرائيل .**

وفى هذا الوقت بالذات وجدت أننى لا أستطيع الاستمرار فى الجامعة بسبب الصعوبات المالية التى كنت أواجهها . فقد اضطر أخى عبد السلام وأسرته لترك مدينة يافا بسبب الضغط الصهيونى والإرهاب الذى كان يمارس ضد سكان المدينة ، ولم يكن ليستطيع مغادرة يافا لولا أن أخى قاسم استأجر قاربا من خان يونس إلى يافا متحملا الكثير من المتاعب بسبب هياج البحر وارتفاع أمواجه ، الأمر الذى أدى إلى إصابته بدوار البحر . وكنت اتطلع إلى أخوىّ لتأمين حاجاتى المادية ، والآن ترك أخى الأكبر كل شىء فى يافا ، وعاد إلى خان يونس واستولت المنظمات الإرهابية على كل الأموال المنقولة وغير المنقولة . وتجاه هذه الصعوبات التى واجه مثلها أو أكثر منها غيرى من الطلاب الفلسطينيين ، قمت بإبلاغ الزملاء بنتائج اتصالاتنا بالسفراء العرب ، مذكرا أن الردود قد تستغرق وقتا طويلا ، ومن الخير أن نقضى الصيف فى مدينة شيكاغو للعمل فى مصانعها ، ولأن فرص العمل فى تلك المدينة متوافرة أكثر من غيرها .

العمـل فى مصـانع شيـكاغو

فى اليوم التالى لوصولنا ، قرأنا بجريدة محلية إعلانا يدعو الطلاب الذين يبحثون عن عمل إلى التقدم لامتحان ، حتى إذا ما نجحوا يجرى تمرينهم لعمل يصل دخله الأسبوعى لمئتى دولار أو أكثر . وأخذنا نجمع الدولارات التى يمكن أن نحصل عليها خلال أشهر الصيف الثلاثة إذا وفقنا فى العمل ، فإذا بها تفوق حاجاتنا لسنتى الدراسة . لم نعرف ما هو هذا العمل المغرى ، وذهبنا إلى المكان المخصص لذلك ، وفزنا جميعا فى الامتحان ، ووصلتنا برقيات تهنئة بالنجاح من الشركة المعنية ودعوة لحضور فترة التمرين .

تناولنا الافطار فى الشركة ، وبدأ التمرين بمحاضرة عن نوعية العمل . قال المسئول : سنعرفكم كيف تنجحون فى بيع ماكينة لتنظيف السجاد ، اسمها « فلتركوين » ، وكلما ازداد البيع ازداد الربح ، لأن كلا منا يتقاضى سبعة وتسعين دولارا ونصفا عن كل ماكينة تباع . وقال المحاضر : « كل منكم يحمل ماكينة ويذهب من بيت إلى بيت .. يقرع الجرس فتفتح سيدة البيت له الباب ، وهنا عليه أن يبتسم لها ثم يشيد بجمال ترتيب البيت أو جمال ما يراه أمامه فى غرفة الجلوس ، وعليه أن يبقى مبتسما حتى لو أغلقت السيدة الباب فى وجهه » . وبعد المحاضرة مباشرة ، اعتذرت لصاحب المصنع ، معترفا بعدم مقدرتى تحقيق ما يريده ، وانسحبت من العمل ولم يبدأ بعد . وكذلك فعل عدد من الزملاء . وأخذنا نبحث عن عمل جديد .. وبعد ذلك توزعنا على مصانع مختلفة . عملت أنا أولا فى مصنع لحام مواسير حديدية لصناعة السراير ، وبعد شهر تركت العمل إلى عمل آخر ، وهو يتعلق بتقطيع الحديد لأحجام مختلفة بواسطة ماكينة ضخمة تزن عشرات الأطنان .. وخطرها شديد على اليدين إذا لم يكن المرء صافى الذهن مركزا على كل حركة من حركاتها .. ذلك أن عليه أن يحاول بملقط حديدى صغير سحب القطعة المقطوعة فى أثناء ارتفاع الماكينة الضخمة لا فى أثناء عودتها لقطع غيرها ، أى فى أثناء ارتفاع الماكينة إلى أعلى وقبل عودتها ثانية .

كانت هناك ماكينة أخرى لصنع البراغى وكانت معقدة ، لكنها مسلية ولا تسبب الأخطار التى تسببها ماكينة قطع الحديد . فطلبت من مدير المصنع أن أعمل على هذه الماكينة ، ووعدنى أن يكتب لى فى أى وقت تخلو فيه الوظيفة . كان مدير المصنع من أصل إيطالى عمره حوالى الأربعين ، عريض البنية له شكل المصارع . وكان يتحرك طيلة النهار بزيه الأزرق الخاص لمراقبة العمل ، والسيجار الكوبى فى فمه ينظر لعداد كل ماكينة ليعرف مدى إنتاجها وليطمئن على أن العمل يسير على أحسن ما يرام .

وفى عام ١٩٥١ وقبل أشهر من قيام ثورة مصر ، تلقيت دعوة لحضور اجتماع لتكريم الدكتور محمود فوزى مندوب مصر الدائم لدى الأمم المتحدة آنذاك فى جامعة هارفارد . وذهبت إلى قاعة الاجتماع ، ولاحظت أن الدعوة موجهة لطلاب مصر فقط وقدرت أنها

وصلتنى بطريق الخطأ لأن عنوانى « قطاع غزة/مصر » .. لكن لم أصل إلى هذه النتيجة إلا بعد أن أنهى فوزى بك كلمته ، وأخذ يرد على أسئلة الطلاب وجميعهم مصريون . لم أشارك فى الأسئلة ، وذهبت لفوزى بك بعد نهاية الاجتماع وقلت له : إننى فلسطينى من مدينة خان يونس ، وقد أكون دعيت لهذا اللقاء خطأ .. وقبل أن انهى كلمتى قال بابتسامته وهدوئه المعروفين : « وماله كلنا عرب » . وشجعنى هذا على سؤاله .. قلت له : أنا تلميذ وأراسل روز اليوسف ، وأود أن أنقل لها رأيك فى : كيف ترى تحقيق الإعلام العربى الناجح فى أمريكا ؟ .

وأجاب فوزى بك : « سأقول لك رأيى الصريح ولى شرط واحد وهو أنك عندما تكتب لروز اليوسف إياك أن تذكر اسمى » .. وأضاف بالانجليزية "Do not quote me" .. تصرف بحكمتك ولا أريد أن أقول لك كيف تنقل هذا الحديث . ثم قال : « **المطلوب قبل الدعاية لأى بيت أن يكون نظيفا جميلا يثير إعجاب الزائر ، اما الإعلام عن بيت ممزق ، مهلهل ، مهدد بالسقوط ، فهذا إعلام قصير الأجل لأن زيارة البيت تكشف عيوبه** . إذن عليك أن تنظف وترمم بيتك قبل الإعلان عنه » .

وأرسلت هذا الخبر زيادة فى الحرص إلى أستاذ وصديق لى هو المحامى إلياس ناصر ــ وكان قد رحل بعد نكبة فلسطين إلى مصر ، وأصبح من المحررين فى مجلة روز اليوسف ــ وقلت له : إن الخبر هو من محمود فوزى لكن يجب الا يظهر اسمه فى روز اليوسف . ونقل صديقى إلياس ناصر الخبر إلى (فاطمة اليوسف) صاحبة المجلة ، مع رجاء وتأكيد ضرورة تجنب الإشارة من قريب أو بعيد إلى اسم فوزى بك الذى هو مصدر الخبر . ولما كانت لروز اليوسف معركة مع القصر ومع الملك فاروق بالذات ، وهذه فرصة ذهبية لإشعال المعركة أكثر مع القصر ، فقد نشرت الخبر وأبرزته على غلاف المجلة وفى صفحة خاصة من صفحاتها . وكان الاعلان بالقلم العريض « محمود فوزى يقول : لابد من إصلاح البيت قبل الدعاية له » .

ووصلتنى روز اليوسف . وأسقط فى يدى عندما قرأت اسم فوزى . ماذا لو قابلت الرجل الدبلوماسى الكبير .. كيف أبرر ما حدث ؟ . وبعد أشهر قامت الثورة المصرية ، ومرت أشهر قليلة أخرى جاء بعدها فوزى وزيرا للخارجية . التقينا كثيرا فى الأمم المتحدة ، لكننى لم أقل له شيئا عن قصته وقصتى مع روز اليوسف .

وبعد حرب ١٩٦٧ ، جاء فوزى إلى نيويورك فى طريقه إلى واشنطن للتعزية باسم الرئيس جمال عبد الناصر فى وفاة الرئيس الأمريكى السابق إيزنهاور ، وطلب من سفيره محمد عوض القونى دعوتى لمقابلته . وذهبت وإذا به طلب لقائى للإشادة بجهودى فى مجلس الأمن فى أثناء الحرب ، ويبلغنى تقدير الرئيس عبد الناصر لى . هنا فى هذا الجو المريح قصصت على محمود فوزى بك قصتى وقصته مع روز اليوسف عام ١٩٥١ . ضحك الرجل كثيراً وقهقه عندما سمع تفاصيل القصة . وحرصت بعد ذلك على مرافقة أخى السفير القونى

والسعى لمقابلة فوزى بك فى عزبته الجميلة فى كل زيارة لى للقاهرة ، وكانت آخر زيارة عندما وجدناه على فراش الموت . وكانت معى علبة من التمر التونسى الذى كان يحبه ، والعلبة مصنوعة من المخمل الأحمر وهى أشبه بمجلد كتاب .. التفت لها وقال : « لن أقرأ كتابك هذا يا محمد .. لقد توقفت عن القراءة » . وفتحت كريمته العلبة وضحك عندما رأى فيها غير ما توقع .

العودة إلى الجامعة

وعدنا جميعا إلى جامعاتنا .. وللأسباب سالفة الذكر عدنا فى الصيف التالى للعمل فى مصانع شيكاغو ، ثم إلى جامعاتنا . وتعرفت فى أثناء وجودى فى بوسطن على شاب فلسطينى نشيط أمريكى الجنسية هو موسى العلى من البيرة . وقامت بيننا صداقة متينة . وكان على وشك شراء مطعم . وعرض علىّ أن أشاركه بحصة إذا ساهمت بما توفر لدى من رأس المال ، وأن لا تكون لى أية علاقة بالمطعم إلا المشورة عند الحاجة . وشاركته بحصة متواضعة مما وفرته وطلب الىّ تسمية المطعم ، فسميناه « منار ستار » Manar Star . وأخذ المطعم يؤمن لى وله مبلغا قليلا من الدخل كل شهر . لكن سرعان ما توقف هذا الدخل ، فقد اختار الشريك أن يغامر بإدخال قسم فى المطعم للأكل الصينى . ولم ينجح القسم الصينى . وأخذ القسم الصينى يقضى على دخل القسم الأمريكى . ونزل الدخل إلى الصفر ، وأخذت الخسائر تهدد استمرار المطعم . وعندما زرت موسى فى مطعمه عرض علىّ ما انتاب المطعم ، وسألنى ماذا يفعل ، واقترحت إقفاله بلا تردد ، وإلا فمصيره الافلاس . وأسرع موسى بإقفاله . وعند تصفية العمل ، أراد موسى أن يدفع لى حصتى مما بقى من رأس المال وهو ما يقارب المائة دولار . وطلبت إليه عدم تسديد هذا المبلغ لتبقى الشركة - ولو رمزيا - قائمة . وهكذا كان ، كنت التقى بموسى كل يوم أحد ويأخذ يحدثنى عن طموحاته فى المستقبل . وهو يصر على أن يصبح مليونيرا . وعدت إلى الوطن ، وبقى موسى فى أمريكا ، ولا أدرى مدى ما حققه من طموحاته . كانت خبرة جديدة فى عالم أمريكا الواسع الكبير .

وأتممت دراستى وحصلت على درجة البكالوريوس فى الحقوق وتخرجت . وكنت سعيدا جدا عندما سرت فى شهر يونية / حزيران عام ١٩٥٠ مع جمهور المتخرجين .. ألبس روب التخرج الأسود والكاب الأسود المزدان بشبرة ذهبية اللون . وعندما تسلمت من رئيس الجامعة شهادة الحقوق ، لم أكن أنوى إكمال دراساتى العليا مطلقا . لكن إلى أين أذهب ؟ **فأنا رجل بلا وطن** . ولم أجد أمامى إلا العودة إلى جامعة أخرى وهى جامعة بوسطن للحصول على درجة الماجستير فى الحقوق ، التى نلتها بعد سنة لأواجه المشكلة نفسها : إلى أين أذهب ؟ .. فى هذا الوقت وصل ابن عمى صبرى الفرا ، الذى أصبح فيما بعد طبيبا مشهورا فى مدينة هوليود ، ولم يكن لدى أية نصيحة أقدمها لصبرى عدا كلمات التشجيع ودعوات النجاح . وتجاه هذه الحيرة قررت العمل للحصول على شهادة الدكتوراه . قدمت لى جامعة بنسلفانيا منحة دراسية ، وأقمت فى ولاية بنسلفانيا تمشيا مع انظمة الجامعة . وبعد أشهر قليلة . تلقيت رسالة من السفير فريد زين الدين مندوب سوريا الدائم لدى الأمم

المتحدة ، يعرض علىّ العمل فى البعثة السورية بنيويورك . ويطلب إلىّ مقابلته . وبينت لفريد زين الدين الصعوبات التى تحول دون قبول ما عرضه علىّ .. ذلك أننى مكلف بالاقامة فى الجامعة بمدينة فيلادلفيا لمدة سنة ، وهذه فى ولاية ثانية تبعد كثيرا عن نيويورك . وجاء الأستاذ فريد بفكرة العمل فى الأمم المتحدة مع البعثة السورية لمدة نصف أسبوع ، وأن يكون النصف الثانى فى الجامعة ، وأن تكون مدة الاقامة فى الجامعة سنتين بدل سنة واحدة . وجدت الفكرة ممتازة ، غير أننى ظننت أنها لا تتفق وأنظمة الجامعة ، وهى لذلك صعبة التحقيق . وفوجئت فى الأسبوع التالى بفريد بك يتصل بى ويزف لى خبر موافقة رئيس الجامعة ومجلس الأمناء على طلب الدولة السورية .

العمل فى البعثة السورية

أخذت أعمل مع السفير فريد زين الدين السياسى البارع ، والدبلوماسى القدير ، وأعطانى صلاحية المشاركة فى مناقشات الأمم المتحدة . وكانت المادة الأولى التى باشرت الإعداد لها ، والمشاركة فى وضع أسسها هى : « المواثيق الدولية لحقوق الانسان » ، **وقد أوليت هذه المادة اهتماما خاصا لأن كل ما كان يناقش حولها له ارتباط مباشر بالقضية الفلسطينية** .

ونلت الدكتوراه فى القانون الدولى سنة ١٩٥٨ . واستمر عملى مع الوفد السورى . وعندما نقل فريد جاء خلفا له السفير رفيق العشا . وكانت علاقاته العامة فى الأمم المتحدة ممتازة . وكان لا يتردد فى مساعدة كل ذى حاجة فى المنظمة الدولية من العرب . كان تعاونى مع الأخ رفيق العشا على أحسن ما يرام فهو متميز بحب العمل الجماعى ، وخلق جوا من التفاهم بين أسرة الوفد . وبعد سنة انتقلت للعمل بمكتب جامعة الدول العربية فى نيويورك حيث عينت رئيسا لقسم الأمم المتحدة بمكتب الجامعة . وكان مدير مكتب الجامعة السفير كامل عبد الرحيم وهو دبلوماسى مصرى عريق . وكان أمين عام جامعة الدول العربية الدبلوماسى الكبير عبد الخالق حسونة باشا . وكان للباشا مكانته واحترامه بين الوفود العربية ، يعمل دائما على تحقيق وحدة الكلمة فى الأمم المتحدة ، دقيق جدا فى كل تصرفاته ، وقد استفدت من خبرته ودرايته وحسن تسييره للأمور الكثير . وأخذت ألبى دعوات الجامعات الأمريكية لتقديم المحاضرات فيها حول قضايا فلسطين والمغرب وتونس والجزائر والوحدة العربية وغيرها .

وفى عام ١٩٥٩ ، اتصل بى السفير الأردنى بواشنطن السيد مدحت جمعة « أبو مازن » ، وأبلغنى بأنه تلقى برقية من دولة سمير الرفاعى رئيس وزراء الأردن آنذاك يعرض علىّ العمل فى وزارة خارجية الأردن . لم أقابل رئيس الوزراء إلا مرة واحدة ، وكان الأخ المرحوم عبد المنعم الرفاعى والأخ زيد الرفاعى قد اقترحا اسمى للعمل فى وزارة الخارجية الأردنية . وطلبت من السفير اعطائى مهلة للتفكير فى الأمر . واستشرت أخى

قاسم ، والصديق فريد زين الدين ، كلاهما شجعنى على القبول ، وقبلت العرض ، **وكانت مهمتى الأولى فى الأمم المتحدة** . وخلال أقل من سنة تغيرت حكومة الرفاعى ، وخلفتها حكومة هزاع المجالى ونقلت إلى عمان ، ثم عدت إلى الأمم المتحدة لأصبح الرجل الثانى فى البعثة ، وكان الرجل الأول فيها هو عبد المنعم الرفاعى . أما فريد خورشيد جارى فى حى النزهة بيافا الذى رافقنى على الباخرة فقد نال درجته فى الهندسة ، ولأن مدينته قد احتلت من قبل اسرائيل فقد تزوج وسكن فى عاصمة الولايات المتحدة الأمريكية واشنطن . حضرت فى ديسمبر/ كانون الأول ١٩٨٤ حفل استقبال أقامه أبو الهدى تاجى وحرمه ، وهو رجل أعمال ، والتقيت بفريد هناك ، كانت مفاجئة له ولى ، فهذا أول لقاء منذ عشرين سنة استعرضنا فيه الذكريات .

وفاة الوالدة الحبيبة

فى إحدى الأمسيات تأجلت اجتماعات الجمعية العامة بعد مناقشات مملة طويلة شاقة ، وذهبت إلى منزلى لانتظار ضيوف سيحضرون لتناول العشاء فى حفل أقمته على شرف صديق زميل فى وزارة الخارجية ـ هو حسن ابراهيم ـ وقبل الصعود إلى منزلى ، توقفت عند صندوق البريد الخاص فى العمارة ووجدت رسالة تنتظرنى من أخى قاسم . كانت رسالة طويلة أثارت قلقى لأننى لم أعتد تلقى رسائل من أخى تتعدى نصف الصفحة ، أو صفحة واحدة على الأكثر . تساءلت هل أقرأها الآن أم بعد العشاء لأن الضيوف على وشك الوصول ، وقررت تلاوتها بسرعة .

تبدأ الرسالة بملاحظات حول طفولتى وذكرياتنا المشتركة ، وأشار إلى مدرستى وإلى ليلة البرزان مع توفيق . وذكر الخيول التى أحببتها ، والتى كثيرا ما سببت لى المشاكل . وتعرض بعد ذلك إلى حنان والدتى فى الأزمات والمشاكل ، وحبها الخاص لى لأننى الابن الوحيد الذى لم ير أباه . وأخذت استغرب أن يذكر أخى كل هذه الأمور فى رسالة طويلة . ولماذا سرد هذا التاريخ القديم والحديث ؟ ولماذا الآن ؟ . . واستمر أخى يتحدث عن أمى ويتعرض لتفاصيل دقيقة تبرز مآثرها وحنانها الذى يفوق حنان كل الأمهات . وبدأ الخوف على أمى يشق طريقه الى قلبى . لا أريد أن تموت أمى وأنا البعيد عنها كل هذا البعد . أريد أن أعود من وراء المحيطات لأراها بخير وصحة وعافية . أريد أن أراها مرة ومرة . وأخذت أقرأ بسرعة هذه الرسالة الطويلة التى أخذت تبعث القلق فى نفسى . وعندما وصلت إلى الصفحتين الأخيرتين شعرت أن كل التركيز هو على الأيام القليلة الأخيرة وما كانت تقوله والدتى وتفعله . وأخذ أخى يعمل إلى إنهاء رسالته وأخذت أشعر أن والدتى قد رحلت عن هذه الدنيا . وأن أخى يعطينى الأخبار بالتقسيط حتى يعدنى لاعلان الخبر المحزن الذى رفض إبلاغى أياه برقيا لمعرفته ما للوالدة فى نفسى من حب ومكانة . ولأن الصدمة التى قد تبعثها البرقية قد تكون كبيرة . وعندما وصلت إلى نهاية الرسالة ، قال أخى إنه يكتب لى بعد الجنازة مباشرة ، وأن الوالدة أصيبت بانفجار فى المخ لم يمهلها طويلا . وقبل أن تفارق

الحياة لم تعد تقوى على النطق فأشارت إلى فستان كنت أهديتها أياه ، فعرف أخي أنها تشير لى فطمأنها ووعدها أن يساعدنى على الزواج القريب فاطمأنت وابتسمت ثم فارقت الحياة .

وقبل أن أعيد الرسالة إلى غلافها ، طرق بعض الضيوف الباب فأسرعت لاستقبالهم وتركت الرسالة على سرير النوم . وأخذ الضيوف يتوافدون . وأخذت أجاملهم والموسيقى العربية تملأ البيت والكل يضحك ويتجاوب مع انغام الموسيقى بأصوات جميلة ومرح لا يعرف الحدود . والكل يشعر أننى أسعد مضيف تلك الليلة . تناولنا العشاء . وعند نهاية السهرة كنت وعدت صديقى حسن ابراهيم أن أذهب معه وبعض الأصدقاء لقضاء باقى السهرة فى نيويورك التى لا تنام . وعدت وحسن فى الثانية صباحا إلى المنزل ليقيم معى إلى أن يغادر إلى عمان . ذهب إلى غرفته وتمنيت له ليلة سعيدة ، وعدت إلى غرفة نومى لأجد الرسالة ما زالت قابعة على فراشى . وعادت لى كل ذكرياتى مع الوالدة فى لحظة . ولم أعد أستطيع إخفاء شعورى أكثر من الساعات الست التى مرت .. انفجرت باكيا وسمعنى ضيفى وجاء راكضا مندهشا مستغربا . لم يفهم ما الذى حدث ، ووجد الرسالة على الفراش فقرأها . وكان حزينا جدا ومستغربا . لم يفهم كيف استطعت التمثيل عليهم طيلة هذه المدة .. كيف تحملت كل هذا ؟ .. لماذا نفذت الوعد وسهرت معهم بعد العشاء ؟ .. كيف استطعت إخفاء شعورى لاسعاد ضيوفى ؟ . وسألنى : كيف تحملت كل هذا ؟ طلبت إليه أن ينسى كل هذا ، وأن يذهب إلى النوم . ذهب حسن وبقيت وحدى مستلقيا على فراشى . أنظر لسقف الغرفة الأبيض وأتذكر كل كلمة جاءت فى هذه الرسالة عن طفولتى ووالدتى وحبها وتعلقى بها . كنت أراها فى كل ذكرى مرت أمامى .. أرى المرأة التى وهبت كل حياتها لأطفالها ولى على وجه الخصوص . لم أر أبى وها أنا قد فقدت أمى التى فارقت الدنيا ولم تودعنى وأنا فى بلاد الغربة . كنت فى هدوء تلك الليلة أشعر أننى اسمع صوتها وأصغى إلى نصائحها وتوجيهاتها . انتابنى شعور غريب فى تلك اللحظات من الليل .. لم أستطع النوم بعد ذلك وطال انتظار الفجر ..

قضيت الليل الطويل أفكر فى هذه الوالدة العظيمة . شعرت بالوحدة وشعرت بنوع من الاحباط لأننى لم أحضر جنازتها . ولأننى لم أحضر الجنازة شعرت أنها لم تمت . كانت وصيتها أن تدفن فورا واجراءات اللحاق بالجنازة طويلة ومعقدة . **وهذا هو حال كل فلسطينى يعيش بعيدا عن الأهل . حرية التنقل بين دول الوطن الواحد معقدة بالنسبة للفلسطينيين . هم نوع آخر من المواطنين : إنهم محرومون من كثير من مثل هذه التسهيلات التى هى تسهيلات عادية وبديهية بالنسبة للآخرين . لكن هذا قدرهم الذى يتحملونه بروح عالية ، لأنهم مؤمنون بالله وبالوطن وبأن الوضع لابد ان يتحسن ولابد لهذا الليل من آخر .**

كنت متعلقا بأمى كثيرا فى أثناء طفولتى وبعدها . أذكر أننى كنت أنام فى حضنها عندما كانت تجلس لاعداد بعض شؤون البيت ، وتأخذ تغنى لى كى أنام . وكانت أغانيها وطنية حزينة تتساقط على أثرها الدموع من عينيها . وكانت هذه الدموع أحيانا تسقط على

خدى . وهى دموع حارة . واستيقظ مذعورا فتحضنننى وتضمنى إلى صدرها وتقبلنى فأنام ثانية .. لم أكن أفهم لماذا هذا النوع من الأغانى الوطنية الحزينة . ولماذا الدموع المنهمرة من عينيها ؟ ! .

وعندما جئت إلى الولايات المتحدة الأمريكية للدراسة كانت تبعث لى الرسائل « لا شىء مستحيل فى هذه الحياة .. أى شىء يستطيع غيرك عمله .. تستطيع أنت عمله كذلك .. » .

ورغبتى الآن هى أن أزور قبر أمى .. هناك فى خان يونس . رغبتى أن اسير فى المقبرة ، وان اشعر انننى امشى فى جنازة والدتى . اريد ان اجلس إلى جانب قبرها واتلو بعضا من آيات الذكر الحكيم هناك . رغبتى أن اجلس فى هدوء القبور لساعة أو أكثر . لكن حتى هذا مستحيل فى هذه الأيام . إن وطنى محتل من قبل قوات الاحتلال الاسرائيلية ، وحتى المقبرة لم تعد تنعم بالهدوء . لا أستطيع الوصول إلى بلدى ، فالاسرائيليون هناك ... ! ! .

□ □ □



القضية الفلسطينية.. ومراحلها

« لا شىء يمكن ان يغنى عن حاجة الشعب لكى ينتظم فى دولة فى الأرض التى يعيش فيها والتى تخصه » .

يعقوب تايقرمان
مؤلف ومحرر صحفى يهودى ارجنتينى وهو من الكتاب الذين لهم عمود خاص فى الصحف

عندما أصبحت ممثلا لدولة عضو فى الأمم المتحدة ، صرفت وقتا طويلا أدرس بعمق النزاع الفلسطينى ـ اليهودى والقضية الفلسطينية من جذورها . **وجدت أن حقوق الشعب الفلسطينى معترف بها قبل الاسلام وبعده ، وان سكان فلسطين كانوا عربا . وأن فلسطين كانت وطن الفلسطينيين قبل أن يكون أى يهودى فيها** . وأن المؤتمر الصهيونى الأول أراد التنكر لهذه الحقوق وخلق دولة يهودية على تراب الشعب الفلسطينى .

وجرت محاولات كثيرة لتحقيق ذلك . منها مفاوضة السلطان عبد الحميد عندما كانت فلسطين جزءا من الدولة العثمانية . وعندما ذهب هرتسل لاغراء السلطان بحل مشاكل الدولة العثمانية المالية مقابل فلسطين ، كان رد السلطان :

« لا أستطيع أن أعطيك ما تريد . أنت تريد الأرض . والأرض ليست لى بل هى لشعبى » .

وفيما يلى النص الكامل لرسالة السلطان عبد الحميد الموجهة لسماحة الشيخ محمود أبى الشامات حول الموضوع :

تعريب الكتاب الوارد من المرحوم السلطان من سلانيك ـ باللغة التركية ـ بتاريخ ٢٢ سبتمبر/ أيلول ١٣٢٣ إلى رشادة العلامة المرحوم الأستاذ الشيخ محمود أبى الشامات المتعلق بأسباب خلعه من خلافته الاسلامية .

ياهــــو

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين .

أرفع عريضتى إلى شيخ الطريقة العلية الشاذلية ، إلى مفيض الروح والحياة ، إلى شيخ أهل عصره الشيخ محمود أفندى أبى الشامات وأقبل يديه المباركتين راجيا دعواته الصالحة .

بعد تقديم احترامى ، أعرض أننى تلقيت كتابكم المؤرخ فى ٢٢ مارس / آذار من السنة الحالية ، وحمدت المولى وشكرته أنكم بصحة وسلامة دائمتين .

سيدى : إننى بتوفيق الله تعالى مداوم على قراءة الأوراد الشاذلية ليلا ونهارا ، وأعرض أننى ما زلت محتاجا لدعواتكم القلبية بصورة دائمة .

بعد هذه المقدمة أعرض لرشادتكم ، وإلى أمثالكم أصحاب السماحة والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كامانة فى ذمة التاريخ .

إننى لم اتخل عن الخلافة الاسلامية لسبب ما ، سوى أننى . . بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم (جون تورك)(*) وتهديدهم اضطررت وأجبرت على ترك الخلافة .

إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا وأصروا علىّ بأن أصادق على تأسيس وطن قومى لليهود فى الأراضى المقدسة (فلسطين) . ورغم إصرارهم فلم اقبل بصورة قطعية هذا التكليف . وأخيرا ، وعدوا بتقديم (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة انكليزية ذهبا ، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضا ، وأجبتهم بهذا الجواب القطعى الآتى :

(إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهبا ـ فضلا عن (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة انكليزية ذهب ـ فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعى . لقد خدمت الملة الاسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فلم أسوّد صحائف المسلمين آبائى وأجدادى من السلاطين والخلفاء العثمانيين . لهذا لن أقبل بتكليفكم بوجه قطعى أيضا) .

(*) تركيا الفتاة

وبعد جوابى القطعى اتفقوا على خلعى . وأبلغونى أنهم سيعيدوننى إلى سلانيك ، فقبلت بهذا التكليف الأخير .

هذا وحمدت المولى ، وأحمده أننى لم أقبل بأن ألطخ الدولة العثمانية والعالم الاسلامى بهذا العار الأبدى الناشىء عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية فى الأراضى المقدسة (فلسطين) .

وقد كان بعد ذلك ما كان ، ولذا فإننى أكرر الحمد والثناء على الله المتعال ، وأعتقد أن ما عرضته كان كافيا فى هذا الموضوع الهام ، وبه أختم رسالتى هذه .

ألثم يديكم المباركتين ، وأرجو واسترحم أن تتفضلوا بقبول احترامى ، سلامى إلى جميع الاخوان والأصدقاء .

يا أستاذى المعظم ،

لقد أطلت عليكم البحث ، ولكن دفعنى لهذه الاطالة أن تحيط سماحتكم علما ، وتحيط جماعتكم علما أيضا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فى ٢٢ سبتمبر/ أيلول ١٣٢٩(*)
خادم المسلمين
عبد الحميد بن عبد المجيد

واستمرت المؤامرات الصهيونية إلى أن جاءت الحرب العالمية الأولى ، **وعندها حصلت الحركة الصهيونية على وعد بلفور البريطانى بتاريخ ٢ نوفمبر/تشرين الثانى ١٩١٧ والذى أيد إنشاء وطن قومى لليهود على تراب فلسطين** ، شريطة أن لا يجحف هذا الوعد بالحقوق الدينية والمدنية لغير اليهود فى فلسطين ولا بحق اليهود فى الدول الأخرى .

وواضح تماما أن البريطانى بلفور « وزير الخارجية » لا يملك شيئا فى فلسطين لينقل ملكيته إلى اليهود . وأن الشعب الفلسطينى الذى هو صاحب الحق الوطنى فى فلسطين لم يكن طرفا فى هذا الوعد ولم يستشر بشانه ولم يوافق عليه ، بل قاومه واستمر فى مقاومته حتى نهاية الانتداب . واستمرت مقاومة الدولة اليهودية بعد ذلك حتى يومنا هذا . وإن بريطانيا تستطيع إهداء اليهود إحدى الجزر البريطانية إذا شاءت ، لكنها لا تستطيع التصرف بحقوق الآخرين . .

(*) تاريخ تركى شرقى

ثم إن هذا الوعد يتعارض مع التزام بريطانيا للشريف حسين شريف مكة ، الذى تعهدت بموجبه بتحقيق الاستقلال لجميع الشعوب العربية بما فيها شعب فلسطين .

لهذا استمرت مقاومة الدولة اليهودية بإمكانيات الشعب الفلسطينى المحدودة . ولكن تحقيق النصر ضد الامبراطورية البريطانية والحركة الصهيونية العالمية ، كان أمرا مستحيلا . واستمر العدوان على فلسطين من إرهاب صهيونى ، واستعمار استيطانى ، وتوسع على حساب الفلسطينيين . واستمرت المقاومة الفلسطينية .

وفى اثناء دراستى للقضية ، تبين لى أن اللجنة الملكية الموفدة من بريطانيا عام ١٩٣٧ للتحقيق فى اسباب المظاهرات والمقاومة الفلسطينية قد توصلت إلى النتيجة الواضحة ، وهى **ان بريطانيا لم تلتزم بإنشاء « دولة يهودية » ، بل تعهدت بتسهيل « نمو وطنى »** . . اما أن يتطور الوطن إلى دولة ، فهذا يعود إلى مدى مقدرة اليهود على التوسع فى هذا الوطن وتطويره ليصبح دولة .

ومن هنا أخذ اليهود ، بإيحاء بريطانيا ومعرفتها ، يضاعفون الهجرة بالطرق غير المشروعة إلى فلسطين . . ويسعون إلى تملك الأرض والاستيلاء عليها لتحقيق الدولة .

إحالة القضـية للأمم المتحدة

فى عام ١٩٤٧ وبعد الكثير من التخبط والمخالفات ، قررت بريطانيا التخلى عن انتداب فلسطين وإحالة القضية إلى منظمة الأمم المتحدة . وطالبت الأمم المتحدة بإدراج القضية فى جدول أعمال الدورة العادية للجمعية العامة . كما طالبت بدورة خاصة لتشكيل لجنة لدراسة القضية والإعداد لعرضها على الدورة العادية .

وبعد موافقة أكثرية الأعضاء على الاقتراح بعقد دورة خاصة ، عقدت الدورة من ٢٨ أبريل/نيسان إلى ١٥ مايو/آيار ١٩٤٧ . وكانت المادة الوحيدة فى جدول أعمالها هى المادة المقترحة من بريطانيا لتشكيل لجنة خاصة لإعداد دراسة مبدئية للقضية . وتقدمت مصر والعراق ولبنان والمملكة العربية السعودية وسوريا بطلب إدراج مادة أخرى تدعو إلى إنهاء الانتداب على فلسطين وإعلان استقلالها ، غير أن الجمعية العامة رفضت هذا الاقتراح ، وشكلت اللجنة الخاصة التى **اقترحت تقسيم فلسطين إلى دولتين : واحدة يهودية ، والثانية عربية** . وقد تبع تقرير اللجنة مناقشات طويلة ركزت فيها دول كثيرة على أن ما جاء فى وعد بلفور حول وطن قومى للشعب اليهودى ، سواء كان معناه وطن أو دولة ، يتعارض مع الحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى . ومع ذلك فنتيجة للضغوط الكثيرة التى جرت على الدول الصغيرة والتى سيرد ذكرها فى مكان آخر من هذا الكتاب ، **أوصت الجمعية العامة بتاريخ ٢٩ نوفمبر/ تشرين الثانى ١٩٤٧ باكثرية ٣٣ صوتا ضد ١٣ وامتناع ١٠ عن**

التصويت بتقسيم فلسطين إلى دولتين : واحدة يهودية ، والثانية عربية . وهكذا أنشأت للأقلية اليهودية فى فلسطين بقوة السلاح دولة فى ١٥ مايو/آيار ١٩٤٨ . أما الشعب الفلسطينى فقد أعلن أن هذه التوصية تخالف الميثاق ، وهى غير قانونية ، وأنه لا يجوز تقسيم البلاد ضد رغبة الأكثرية الساحقة من سكانها . وطالبت المجموعة العربية برفع جميع هذه النقاط إلى محكمة العدل الدولية للبت فيها ، لمعرفة مدى قانونية ما اتخذته الجمعية العامة من إجراء . وضاعفت الولايات المتحدة جهودها وضغوطها وتهديداتها للدول الصغيرة لافشال هذا الاقتراح . وهكذا كان .

كانت الدول العربية ترى ان الحل الأمثل الذى لا يؤدى إلى سفك الدماء هو خلق دولة علمانية للعرب واليهود فى فلسطين وإنشاء كانتونات ، كما هو الحال فى سويسرا . لكن هذا ما قاومه وايزمان بكل شدة .

واليوم ، أصبحت فلسطين جميعها محتلة من قبل إسرائيل مضافا إليها أراض لسوريا ولبنان . والشعب الفلسطينى بعضه طرد من دياره ، وبعضه بقى تحت الحكم والتعسف الاسرائيلى . والذين طردوا لاجئون منتشرون فى جميع بقاع العالم ، ومحرومون من حقوقهم الوطنية المشروعة .

هذه هى خلفية حروب الثمانية والثلاثين عاما الماضية . . لم يكن دور الشعب الفلسطينى فيها غير مقاومة مشروعة لاحتلال غير مشروع .

سأتحدث عن حرب الأيام الستة فى مكان آخر من هذا الكتاب . وما أريد أن اقوله الآن : إن سفير إسرائيل قد كرر بتاريخ ١١ أكتوبر/تشرين الأول ١٩٦٩ فى الجمعية العامة للأمم المتحدة شعاره المفضل ، وهو أن العرب هم الذين بدأوا الحرب عام ١٩٦٧ . . وكرر خرافة أن الحروب الثلاث فى ١٩٤٨ ، وفى ١٩٥٦ ، وفى ١٩٦٧ ، قد بدأها العرب . والعكس هو الصحيح ، فقد ثبت أن الاسرائيليين قد اختاروا السنوات الانتخابية لبداية جميع هذه الحروب ، ولم يعد الاسرائيليون ينكرون ذلك .

وحقيقة أن الاسرائيليين هم الذين بدأوا حرب عام ١٩٦٧ اصبحت اليوم معروفة للجميع ، خصوصا بعد ما ذكره قائد الطيران الاسرائيلى موردخاى هود لجريدة « الصنداى تايمز » اللندنية بتاريخ ١٦ يولية/ تموز ١٩٦٧ حول خطة اجتياح الأراضى العربية بقوله :

« ستة عشر عاما من التخطيط دخلت فى الثمانين دقيقة الأولى من حرب ١٩٦٧ . لقد عشنا مع الخطة ، ونمنا مع الخطة ، وأكلنا الخطة إلى أن أحسنا التدريب عليها لدرجة الكمال » .

هذا يوضح مجمل القضية الفلسطينية ، **فهى قضية تاريخها سلسلة من اعمال**

اللاعدالة التى ترتكب ضد شعب برىء ليست له جماعات ضغط (لوبى) فى واشنطن ، ولا يتمتع بالوسائل التى تتمتع بها إسرائيل ليسمع صوته لأمريكا . ولهذا ، فإن المشاكل قد بدأت حتى قبل مولد الدولة اليهودية على تراب الشعب الفلسطينى .

دير ياسين وطرد السكان

ومع الوقت تعمقت فى دراستى لأسباب رحيل بعض الشعب الفلسطينى إلى خارج وطنه . ووجدت الجواب فى كتاب « يا قدس » الذى كتبه كاتبان ـ أمريكى وفرنسى ـ هما لارى كولنز ودومنيك لابيير . والكتاب يبين بالحجة والاثبات دور « الإرجون » و « شتيرن » وغيرهما من المنظمات اليهودية الارهابية فى تحقيق ذلك . فعندما أرادت هذه المنظمات إرهاب الشعب الفلسطينى ، لجأت إلى المذابح والابادة على نحو لم يشهد العالم له مثيلا . هذه مجزرة دير ياسين يتحدث عنها الكاتبان ويقولان : « إن أحد أبطال هاتين المنظمتين أطلق رصاصته فى عنق امرأة كانت حاملا فى شهرها السابع ، وبعدها بقر بطنها بسكين » ، وامرأة ثانية قتلت « عندما كانت تحاول إنقاذ الجنين من بطن أمه الميتة » . ويتحدث الكتاب عن مجازر أخرى ارتكبت فى بيت بعد آخر : « وتحولت دير ياسين شيئا فشيئا إلى جهنم مملوءة بالصراخ ، وانفجار القنابل ، ورائحة الدم والبارود والدخان . . واستمر مجرمو هذه المذابح فى ارتكاب جرائم القتل والنهب ، وأخيرا الاغتصاب » .

لم ينكر زعيما إرجون وشتيرن « بيجين وشامير » مسئوليتهما عن ذلك . ويشير ملف المخابرات البريطانية « سى ـ اى ـ دى » إلى يوميات مندوب الصليب الأحمر بتاريخ ١٣ و ١٥ و ١٦ ابريل/نيسان ١٩٤٨ ، التى جاء فيها أن ضابطا بريطانيا زار قرية سلوان المجاورة ، حيث يقيم مئتان إلى ثلاثمائة لاجىء من دير ياسين وقام باستجوابهم . وتوصل الكاتبان إلى النتيجة التالية : « لا شك أن مآسى جنسية قد ارتكبها اليهود ، وأن عددا من بنات المدارس الصغار قد اغتصبن ، ثم ذبحن ، وأنه اعتدى جنسيا على نساء كبار السن ، وأن قصة معروفة لفتاة قد قطعت نصفين ، وأن عددا من البنات القاصرات قد ذبحن وقتلن » . أما مندوب الصليب الأحمر الدولى فقد قال : « رأيت امرأة مسنة قالت إن عمرها ١٠٤ سنوات ضربت على رأسها بمؤخرة البندقية ، وأن أساور النساء قطعن من أيديهن ، والخواتم أخذت من أصابعهن ، وبعض آذان النساء قد قطعت من أجل سرعة الحصول على حلقانهن » . هذه وثائق وردت فى الكتاب . وقد أضاف رينيه ، مندوب الصليب الأحمر فى مذكراته :

« أول شىء رأيته هو أفراد يركضون يدخلون البيوت ثم يخرجون منها ويحملون أسلحة « استن » والبنادق والمسدسات والسكاكين ، كان منظرهم أشبه بالمجانين . رأيت فتاة جميلة حاملة خنجرا ملطخا بالدماء . سمعت صراخا يقول : ما زلنا نقوم بعمليات التنظيف .

« أما صديقى الألمانى ـ الذى تدخل للسماح لرينيه بزيارة القرية لأنه مدين بحياته إلى الصليب الأحمر ـ فقد أوضح : « كان هذا يذكرنى بقوات النازية التى رأيتها فى أثينا » .

وكتب رينيه فى مذكراته وهو مرتعب :

« فتاة صغيرة طعنت رجلا مسنا وعجوزا مسنة وهما مختفيان يرتعشان خلف كوخهما » .

وأضاف كاتبا « يا قدس » :

« أصيب رينيه بحالة دوار ودوخة مما رأى ، واندفع فى طريقه ودخل أول بيت وصله » .

وهذا ما كتبه فى مذكراته :

« تمزق كل شىء بعنف . جثث منثورة هنا وهناك ، لقد قاموا بعملية تنظيف ، بالبنادق والسكاكين ، وأى إنسان يستطيع أن يشاهد ذلك » .

أضاف مسؤول الصليب الأحمر أنه رأى فى أثناء مروره بين القتلى شيئا يتحرك ، وانحنى ليراه ، فوجد قدما صغيرا ما زال دافئا ، وقدر أن دفء القدم يدل على أن الجريمة حديثة ، وأن الطفل ما زال حيا . تبين أن هذا القدم هو لطفلة عمرها ١٠ سنوات فتش عليها بين الجثث ووجدها ما زالت حية رغم جروحها ، وحملها رينيه وكلف مرافقه الألمانى بنقلها إلى سيارة الاسعاف . وطلب بغضب أن يسمح له بالتفتيش عن الجرحى بين القتلى . ووجد فى طريقه امرأة مسنة نصف مشلولة من الخوف مختبئة وراء كوم من الخشب ، ورجلا يحتضر . قدر مسيو رينيه أنه رأى حوالى مائتى جثة ، إحداها : « لامرأة حامل فى ثمانية أشهر مضروبة فى معدتها مع حروق الرصاص على لباسها ، مما يدل على أن الرصاص أطلق عليها عن قرب » . ولم يتم رينيه تحقيقه ، فقد أمره قادة إرجون وشتيرن بالعودة إلى القدس . وعاد ومعه من أنقذ من الجرحى . والعدد الآخر الذى لم يستطع انقاذه ترك ليموت لعدم العناية .

وقبل قرار التقسيم كادت الحركة الصهيونية ترتكب أبشع جريمة فى مدينة لندن ـ جريمة لو تمت لكانت من ابرز جرائم إبادة البشر التى كانت تستخدمها للحصول على وطن فى فلسطين . ففى كتاب آرييه الياف الارهابى ـ وهو زميل اسحق شامير(*) ـ يعترف فيقول :

« كان يبدو لى أننى استنفدت كل أساليب حرب الارهاب العادية وبدأت أفكر فى طرق

(*) انظر كتاب « ليحى » لمؤلفه آرييه الياف . ترجمة ونشر دار الجليل ـ عمان ـ صفحة ٢٣١ ـ ٢٣٢ .

أخرى لمحاربة البريطانيين . بدأت أفكر فى تلويث مصادر المياه فى لندن بجراثيم الكوليرا . كان ذلك فى مطلع عام ١٩٤٨(*) . كان يبدو أن حربا جرثومية من شأنها إلحاق ضربة قوية تهز كيان بريطانيا وتدفع إلى الأمام وبقوة نضالنا من أجل تحرير بلادنا . أرسلت من أجل ذلك أفضل شبابنا فى باريس ، وهو « برتران » ، الذى كان مسؤولا عن دائرة المياه فى بلدية باريس . وقد ذهب فى أجازة إلى لندن فى بادىء الأمر كى يتعرف على مصادر المياه التى تغذى لندن ، وكيفية الوصول إلى هذه المصادر وتلويثها بجراثيم مرض الكوليرا حتى يقع الوباء فى لندن . ففى معهد باستير فى باريس ـ الذى كان من المقرر أن يزودنى بكميات من جراثيم مرض الكوليرا ـ كان يعمل عدد كبير من الأطباء وكانوا متحمسين لأسلوب منظمة « ليحى » فى حربها ، ويعتبرونه الطريقة المثلى لتحقيق الاستقلال . كنا بحاجة إلى مئات الزجاجات التى تحتوى على أقوى جراثيم الكوليرا ، وذلك حتى نتمكن من ايصال هذه الجراثيم إلى كل بيت فى لندن .

طلبت من الأطباء اليهود فى معهد باستير تزويدى بألف زجاجة من جراثيم الكوليرا ، وبدأ الأطباء فورا تحضير الكمية المطلوبة . وبدأت بإعداد عشرة من خيرة رجالنا لكى يقوموا بمهمة نقل الزجاجات إلى لندن وإفراغها فى مصادر المياه فيها . وضعت الزجاجات بعد تجهيزها بالجراثيم فى حقائب ، وكانت جاهزة للنقل . غير أن العملية توقفت بعد أن صدر قرار التقسيم .

هذه معلومات جديدة عن جريمة الكوليرا ومذبحة دير ياسين لم يعرفها القارىء العربى ، لأن وثائقها ظهرت مؤخرا . وكذلك كتاب لسولز بيرجر أحد أصحاب جريدة « نيويورك تايمز » ، الذى يقول فى مذكراته بتاريخ ٢٤ يولية/تموز ١٩٤٨ ، التى دونت فى تل ـ أبيب بعد سبعين يوما من قيام الدولة اليهودية : إنه كان يكتب رسالة على الآلة الكاتبة عندما قرع باب غرفته وتلقى رسالة تفيد أن شابين وسيمين فى صالة الفندق بانتظاره . نزل لمقابلتهما ووجد أنهما يهوديان من إفريقيا الجنوبية ، وأنهما جاءا كصهيونيين للعمل مع عصابة شتيرن . يقول الكاتب فى مذكراته : إنه أسقط فى يده عندما سمع أن جماعة شتيرن ينوون اغتيال الكونت برنادوت ، وأنهم يرفضون اقتراحاته التى تقدم بها فى تقرير رُفع للأمم المتحدة . ويقول سولز بيرجر : إنه بعد ذلك طلب مقابلة مناحم بيجن رئيس عصابة الإرجون ، لكنه رفض استقباله وأرسل له يقول : « لابد من تحقيق الدولة فى جميع فلسطين وشرق الأردن التى هى أرض اسرائيل . وأن الإرجون ستعمل للوصول إلى الحكم عن طريق أوراق الانتخاب لا رصاص القوة ، By Ballots not Bullets . وقال إنهم يرفضون التقسيم » . وبالفعل اغتيل برنادوت فى ١٧ سبتمبر/ ايلول ١٩٤٨ . وقد أكد أمين عام الأمم المتحدة ـ تريجفى لى ـ لكاتب « النيويورك تايمز » أن برنادوت قد تفاهم مع بريطانيا وأمريكا على ما جاء فى تقريره من توصيات قبل تقديمه ، وقال له ايضا إن **برنادوت كان معروفا بتاييده لليهود وانه منحاز لهم ، ومع ذلك فقد قتلته ايدى عصابة شتيرن** . وكان رد مجلس الأمن فى اليوم التالى على هذه الجريمة لا يتعدى « قرارا سخيفا بدفع نفقات الجنازة » .

(*) هناك خطأ مطبعى ـ المقصود عام ١٩٤٧ ، لأن قرار التقسيم صدر بتاريخ ٢٩ نوفمبر/تشرين الثانى ١٩٤٧ .

وذكر الرئيس الأمريكى السابق هارى ترومان فى مذكراته أن برنادوت قد اقترح فى سبتمبر/ أيلول ١٩٤٨ ايجاد نوع آخر من التقسيم ، بإعطاء الجليل الغربى فى شمال فلسطين إلى اسرائيل على أن يترك النقب فى الجنوب إلى العرب . وأضاف ترومان :

« لم يعجبنى هذا التغيير لأنه يظهر لى كإعادة ترتيب يعطى بموجبها العرب منطقة النقب التى ما زالت باقية من أجل الاستيطان اليهودى . وإذا نظر المرء إلى الخريطة ورأى كيف يظهر مشروع التقسيم ، فلا شك أن خطة برنادوت فيها تحسين لفكرة التقسيم ، فهى تقلل من عدد نقاط الخلاف على خط الحدود الطويل بين اليهود والعرب . على كل حال ، فقد أبلغ وزير الخارجية الأمريكية جورج مارشال الأمم المتحدة أن هذا الاقتراح كما يبدو له هو عادل وسليم » .

وفى يولية/تموز ١٩٧٤ جاء بيجن كما تنبأ إلى الحكم . واستقبل الرجل الذى أعدم جنود بريطانيا وعلق الجثث على أغصان الشجر فى لندن وواشنطن بكل احترام وبسط له السجاد الأحمر فى المطار ، وعومل كأحسن ما يعامل رئيس وزراء ..

واستمر بيجن يعمل من أجل التوسع ، معلنا صراحة أن الأراضى الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ ، الضفة الغربية وقطاع غزة ، هى جزء من « أرض إسرائيل » . وأعلنت إسرائيل ضم القدس ، ثم مرتفعات الجولان السورية زاعمة أنها ضرورية لأمن إسرائيل . ثم قام بيجن بحرب ضد لبنان وأرسل جيوشه هناك فى يونية/حزيران عام ١٩٨٢ . ومنذ اجتياح لبنان ، بدأت إسرائيل تقيم القواعد للسيطرة على جنوب لبنان بزعم أن الأنهار والينابيع والمناطق الخصبة ضرورية لأمن اسرائيل . وانضم لبيجن عدد من السياسيين الاسرائيليين .. وأخذ يقول بصراحة : إن شرق الأردن هو جزء من الوطن الاسرائيلى .



الفصل الثالث

مجزرة كفر قاسم واطلاق النار على طلاب قرية "بدرس"

« لا شك أن الشباب الاسرائيلي - في أيام قادمة - سيأخذون الطريق القديم لعمواس باحثين عن مكان للنزهة والاسترخاء ، وسينتشرون تحت هذه الأشجار يضحكون ويلعبون ، لكن ستكون هناك بين أغصان الشجر أشباح تقول لهم : هنا أثر جيرانكم » .

مايكل آدمز
مؤلف ومساهم بالكتابة في صحيفة « الجارديان » اللندنية

انتهت حرب ١٩٤٨ بتوقيع أربع اتفاقيات هدنة بين إسرائيل والدول المجاورة لها . كانت اتفاقيات أملتها ظروف عسكرية ، لا علاقة لها بالحلول السياسية . ومنذ توقيع هذه الاتفاقيات ارتكبت إسرائيل مخالفات كثيرة لها ، وتقدم الأردن بقضايا للجنة الهدنة الدولية المشتركة التى شكلت تنفيذا لهذه الاتفاقيات . كان يرأس لجنة الهدنة الأردنية الاسرائيلية المشتركة كبير مراقبى الهدنة وهو من قوات الأمم المتحدة . وكانت اللجنة تدين اسرائيل فى كل مرة ، وتدعوها إلى عدم تكرار مثل هذه المخالفات . وكنا ننقل ما توصلت إليه اللجنة إلى مجلس الأمن لاتخاذ اجراءات أكثر فعالية ضد اسرائيل ، لأن من اختصاص مجلس الأمن فرض العقوبات على اسرائيل ، **لكن هذا لم يتم بسبب العلاقة المميزة بين إسرائيل والولايات المتحدة الامريكية . واقصى ما كان يحصل عليه الأردن من المجلس هو إدانة قوية لاسرائيل ، وإنذار لها بأن المجلس قد يعمد إلى الاجراءات الأخرى المنصوص عليها فى الميثاق إذا ما تكررت هذه المخالفات** . غير أن عدم اتخاذ اجراءات جدية من قبل المجلس شجع اسرائيل على ارتكاب المزيد من المخالفات والتحديات والاعتداءات .

وللإلمام بمكان المخالفات لاتفاق الهدنة والاستماع لأصحاب الأراضى هناك ، كنت أتعمد الذهاب فى كل عام إلى الأردن لأرى على الطبيعة ماذا حدث خلال العام ، وكيف حدث ، وتعليقات المواطنين على ما تقوم به اسرائيل وتصديهم للعدوان الاسرائيلى . وكان هذا يساعدنى كثيرا عندما أتقدم لمثل هذه القضايا إلى مجلس الأمن ، لأن هذا يضعنى فى الصورة الصحيحة لا الاكتفاء بما يصلنى من تقارير . وكنت عندما أذهب إلى الضفة الغربية فى كل عام وأمشى على خط الهدنة ، وأصعد إلى تلال القدس وأنزل إلى وديانها ، واتسلق جبال

الخليل ونابلس ، وأزور المزارعين فى حقولهم ، والسكان فى قراهم ، كنت أشعر بسعادة كبيرة ، وبتواضع كبير تجاه هذا المزارع المسن الصامد على الأرض يزرعها ويفلحها ويصر على البقاء عليها رغم تهديدات إسرائيل وبطشها . كنت أشعر بتواضع أكثر وأنا أسير فى شوارع الأنبياء وعلى الأراضى المقدسة . **كان هذا الاصرار والتصدى الفلسطينى يعطيانى قوة فى الصعيد الدولى ، واشعر باعتزاز وفخر وادافع عن حقوق هؤلاء الأبطال بشجاعة وثقة .**

كان رئيس الفريق الأردنى فى لجنة الهدنة المشتركة شخصية عسكرية عالية الرتبة . كان يعد لى سيارة جيب وبرنامج الرحلة مع زملائه العسكريين على خط الهدنة ، ويرافقنى من السموع جنوبا إلى منطقة الحمَّة فى الشمال . وعندما أصل إلى مكان ما ، أبدأ فى الاستماع إلى الناس حيث يقصون علىّ مشاكلهم : فهذا مزارع يرينى كيف ضم اليهود بالقوة بعض شجرات زيتونه التى صرف وأبوه وجده من قبله حياتهم يحافظون عليها ، وهى مورد رزقهم . وهذا آخر يرينى محصوله الذى صادره اليهود بعد أن قضى العام كاملا يحرث الأرض ويزرعها ويرعاها حتى إذا ما جاء موعد قطف المحصول ، جاء الاسرائيليون واستولوا عليه بقوة السلاح . وهذا مزارع يرينى كيف أن منطقة فصل القوات المجردة من السلاح قد استولى عليها الاسرائيليون بالقوة وضموها إلى الأراضى التى يحتلونها .

وفى ٣١ مايو/آيار ١٩٦٧ ، أى قبل حرب الايام الستة بخمسة أيام ، كنت فى مجلس الأمن أسرد ما شاهدته فى قرية بدرس فى الضفة الغربية .. حيث قلت :

« عندما وصلت إلى بدرس ، زرت مدرسة أطفال على الجانب الأردنى من خط الهدنة . وأطفال هذه المدرسة لا يتجاوزون العاشرة من العمر . ومع ذلك ، فقد أطلق الجنود الاسرائيليون النار عليهم من الجانب الآخر من خط الهدنة ، عندما كانوا يلعبون فى ساحة المدرسة . كان الجنود يطلقون الرصاص عليهم كأنهم طيور فى لعبة صيد . لقد قابلت هؤلاء الأولاد ورأيت جراحهم ولاحظت أن معظمهم لا يخرجون إلى ساحة اللعب فى أوقات الفراغ خائفين من المزيد من رصاص الاسرائيليين » . قلت لمجلس الأمن : إن هؤلاء الأطفال هم الآن ضحايا الخوف ، وأعتقد أن من أقسى الجرائم تلك التى تجعل الطفل البرىء يقاسى . وحذرت مجلس الأمن من أن هؤلاء الأطفال سيكبرون بذكريات مرة . **ووجهت السؤال إلى المندوب الاسرائيلى : اتستغرب إذا انضم عدد من هؤلاء الأولاد إلى المقاومة الفلسطينية ؟؟ .**

أذكر أننى أردت اختبار ذكاء هؤلاء الأطفال وقلت لهم :

« ماذا لو نقلنا مدرستكم شرقا ـ أى بعيدا عن خط الهدنة » ، وكان رد أحدهم السريع : « لا .. لا .. لا تفعل ذلك .. إذ لو فعلت سيلحق اليهود بنا وتصبح مدرستنا الجديدة هى خط الهدنة الجديد . هم يريدون أرضنا ، وخير لنا أن نبقى هنا للمحافظة عليها » .

وبعد خمسة أيام اجتاحت القوات الاسرائيلية الضفة الغربية وقطاع غزة . وقد أعلمنى بعض الأصدقاء الذين جاءوا من هذه المناطق ، أن مدرسة هؤلاء الأطفال قد أزيلت ، وأن قرى عمواس ويالو وبيت نوبة التى زرتها قبل أيام من الحرب قد هدمت بالبلدوزر بعد احتلالها نتيجة حرب ١٩٦٧ مباشرة . فقد جاءت البلدوزرات ولم تترك اثرا لهذه القرى . وحتى أسماء هذه القرى شطبت من الخرائط الاسرائيلية ، ولا وجود لهذه الأسماء اليوم إلا فى كتاب الانجيل .

وعندما قام الصحفى المعروف مايكل آدامز بزيارة مكان القرى الثلاث ، كتب لصحيفة « الجارديان » اللندنية :

« لا شك أن الشباب الاسرائيلى ـ فى أيام قادمة ـ سيأخذون الطريق القديم لعمواس باحثين عن مكان للنزهة والاسترخاء ، وسينتشرون تحت هذه الأشجار يضحكون ويلعبون ، لكن ستكون هناك بين أغصان الشجر أشباح تقول لهم : هنا أثر جيرانكم » .

ذكّرت مجلس الأمن ومندوب اسرائيل بهذه الكلمات ونقلتها فى أثناء مناقشات الجمعية العامة للأمم المتحدة .. وقلت :

« سيكون الانجيل هو المذكِّر الدائم ، ليس للاسرائيليين فحسب بل للضمير المسيحى فى العالم . قد يود مندوب اسرائيل أن يعرف أن معظم الأولاد الصغار الذين قابلتهم فى مدرسة بدرس أصبحوا ـ كما فهمت ـ مع آبائهم ومعظم سكان القرى جزءا من المقاومة » .

وقضية بدرس ليست الوحيدة فى تاريخ الممارسات الاسرائيلية ضد الشعب الفلسطينى فى الأرض المقدسة . فقد ذكرتنى بدرس بمذبحة كفر قاسم التى ارتكبت فى أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩٥٦ ، أى قبل ساعات من الحرب واجتياح صحراء سيناء . هناك أعلن القائد الاسرائيلى منع التجول خلال مدة قصيرة ، وأمر جنوده بقتل كل من يخالف هذا الأمر من الفلسطينيين . وثار العالم للمذابح التى ارتكبت فى تلك الساعة ، وتطمينا له جيء بالقضية إلى محكمة اسرائيل المركزية ، وتبين للمحكمة فيما بعد الوقائع التالية :

١ ـ حددت اسرائيل يوم ٢٩ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٥٦ لاجتياح مصر .
٢ ـ وضع الميجر ملنكى تحت تصرف البريجادير شدمى .
٣ ـ فى ذلك الصباح أعلن قائد المنطقة الوسطى الميجر جنرال زفى تسور شدمى السياسة التى تتبع تجاه السكان العرب .
٤ ـ طلب شدمى أن يعطى الصلاحية لفرض منع التجول فى المنطقة التى وضعت تحت قيادته . ووفق على طلبه ، وعندها استدعى فى الحال الميجر ملنكى وأعطاه التعليمات بفرض منع التجول من الخامسة بعد الظهر حتى السادسة من اليوم التالى فى كفر قاسم ، والقرى المجاورة لها . وأكد شدمى لملنكى أن ينفذ منع

التجول بكل دقة . واضاف أن من يخالف منع التجول يجب أن يطلق عليه الرصاص فى الحال .

٥ ـ وأوضح شدمى ردا على أسئلة ملنكى : « إن قتل رجل أفضل من تعقيدات اعتقاله » . وسأل ملنكى : ماذا عن العائدين من الحقول دون علم بمنع التجول ؟ ، فأجاب شدمى : « لا أريد أية عواطف . هذا سيكون من سوء طالعهم » . وسئل عن القتلى والجرحى .. فأجاب : « لا تهتم بهم . يجب ألا يكون هناك أى جرحى » . ووجه إليه سؤال آخر : ماذا عن الأطفال والنساء ؟ .. فرد : « يعاملون كأى انسان آخر » . وتلاه بسؤال آخر : ماذا عن العائدين من عملهم ؟ ، أجاب : « سيكون هذا من سوء حظهم . كما قال القائد » .

وأُبلغ مختار (عمدة) القرية الساعة الرابعة والنصف مساءا أنه سيبدأ تطبيق منع التجول فى الساعة الخامسة . واحتج المختار وقال : إن ابلاغ الأهالى فى نصف الساعة الأخير أمر مستحيل ، وأن هناك أربعمائة من القرية يعملون خارجها ، ويتعذر إبلاغهم بقرار منع التجول .. ولم يجد هذا شيئا ، وأصبح مصير هؤلاء المزارعين الذى ينتظرهم عندما يعودون من حقولهم بعد يوم شاق من عملهم ، مصيرا مظلما . وخلال الساعة الأولى قُتل ٤٧ فلسطينيا ، معظمهم أولاد وبنات ، وتسع نساء فى أعمار مختلفة .. عادوا جميعهم على الطريق الرئيسى ، إما سيرا على الأقدام ، أو باستعمال دراجات أو عربات تجرها بغال ، أو على ظهور الخيل .. جعلوهم جميعا يصطفون لاستقبال الرصاص ، لأنهم لم يلتزموا بأمر منع التجول الذى لم يعلموا بأمره .

وجدت المحكمة أن ملنكى وآخر يدعى دهان مذنبين بقتل ٤٣ فلسطينيا ، وحكمت على ملنكى بالسجن ١٧ سنة ودهان ١٥ سنة . ووجدت الجاويش اوفر الذى نفذ معظم عمليات القتل مذنبا لقتله ٤١ فلسطينيا ، وحكمت عليه بالسجن ١٥ سنة . ووجدت أن جنودا آخرين مذنبون بقتل ٢٢ فلسطينيا . ووجدت أن غيرهم مذنبون بقتل ١٧ فلسطينيا ، وحكمت على كل منهم بالسجن ٧ سنوات . كانت الأحكام خفيفة ، ومع ذلك فقد نقلت القضية إلى محكمة العدل الاسرائيلية التى قررت أن الحكم شديد ، ولهذا فقد خففت المحكمة العقوبة : ملنكى ١٤ سنة ، ودهان ١٠ واوفر ٩ . وجاء رئيس الأركان واستعمل صلاحياته وخفف حكم ملنكى إلى ١٠ سنوات ودهان ٨ والقتلة الآخرين ٤ سنوات لكل منهم .

وتنافس قادة إسرائيل فى تكريم أبطال مذبحة كفر قاسم بتخفيف العقوبة . ولهذا ، فقد خفف الرئيس الاسرائيلى حكم ملنكى ودهان إلى خمس سنوات لكل منهما . وجاء دور لجنة الافراج عن المساجين التى أمرت بشطب ثلث المدة . ويعنى هذا أنه بعد ثلاث سنوات ونصف من ارتكاب المذبحة ، أصبح جميع مرتكبيها أحرارا يمشون فى الشوارع بفرح واعتزاز ! . ولزيادة الطين بلة عُيِّن دهان الذى قتل ٤٣ فلسطينيا فى دقائق ، ضابطا مسؤولا عن الشؤون العربية فى بلدية الرملة . والرملة هى المدينة العربية التى لم يكن فيها يهودى واحد قبل قيام الدولة اليهودية .

بينما كانت جرائم إبادة البشر هذه ترتكب فى كفر قاسم فى الشرق ، اجتاحت القوات الاسرائيلية قطاع غزة فى الجنوب وارتكبت مذبحة أخرى فى مدينة غزة ، ثم اتجهت إلى مدينة خان يونس حيث قتلت كل شاب وجدته فى المدينة . وشاهد مراقبو الأمم المتحدة القتل وتفاصيل مذبحة خان يونس .. وتدخل همرشولد أمين عام الأمم المتحدة وأرسل مراقبين جدد فى محاولة لايقاف المذبحة . وفى مناسبات مماثلة اثرت هذا الموضوع فى عدة اجتماعات لمجلس الأمن والجمعية العامة .

ما سر إقدام الإسرائيليين على جريمة إبادة البشر ، بهذه القسوة بل بهذه الوحشية ؟ لماذا يقتلون المدنيين الأبرياء ؟ لماذا يقتلون بكل برود الرجال والنساء العائدين إلى بيوتهم من حقولهم ؟ لماذا يقتلون المزارعين فى مزارعهم والأطفال فى مدارسهم ؟؟؟ هل لأن سياسة الصهيونية تتطلع إلى القضاء على الشعب الفلسطينى برمته ، حتى تنعم إسرائيل بالاطمئنان والأمن فى بلادنا فلسطين التى أخذتها بوسائل البطش والمذابح وجرائم إبادة البشر ؟ لقد مرت الأيام .. وكبر ابناء ضحايا دير ياسين وبدرس وكفر قاسم وخان يونس .

من هو اللص .. ومن الضحية .. تكلم !!
الانضمام للمقاومة

كما أعلنت فى مجلس الأمن ، فقد التحق عدد كبير من ضحايا المجازر بالمقاومة الفلسطينية بجنوب لبنان ، ووحدتهم الوحشية الإسرائيلية ودفعتهم لضرب العنجهية الإسرائيلية والصلف والغرور الإسرائيلى الذى لا يعرف الحدود ، وازدادوا إيمانا بوطنهم وأصرارا على تحريره من الصهيونية كى تصبح الارض المقدسة واحة سلام . إنهم يعرفون أن الاحتلال الصهيونى هو نوع آخر من الاستعمار . إنهم صغار وكلهم نشاط ، بعضهم لم يتم إلا دراسة الثانوية العامة ، وبعضهم تركوا الخيام وحصلوا على درجات جامعية عالية وعادوا للمقاومة من أجل وطنهم بدراية وخبرة أكثر ...

الكثير من هؤلاء المحاربين الفلسطينيين لم يعرف له بيتا أو ملجأ . ولدوا فى الخيام ، وعاشوا على ما قيمته سبعة سنتات من مواد الإغاثة تقدمه الأمم المتحدة ، بينما ينعم الإسرائيليون ببيوت هؤلاء وبساتينهم ومزارعهم .. يقطفون ثمار الأشجار التى لم يغرسوها فى أرض لا يملكونها . هؤلاء الشباب يفتحون اعينهم كل صباح ليروا من خلال الأسلاك الكهربائية الشائكة الإسرائيليين يعتدون على ارض آبائهم وأرضهم ، ويسكنون فى بيوتهم ، ويسخرون من قرارات الأمم المتحدة حول حقوق الفلسطينيين . هناك سلك شائك يفصل بين المالكين الشرعيين والإسرائيليين المعتدين . وإذا تعدى الفلسطينى ذاك السياج الذى يقف حائلا بينه وبين ارضه لقطف ثمرة من ثماره ، يجد رصاصة صهيونية بانتظاره . وفى أحد المواقف أشرت إلى هذا وقلت لمجلس الأمن : « من هو اللص ؟ ومن الضحية ؟ .. تكلم !! » .

حـرب ١٩٦٧ ومشكلة اللاجئين

فى الخامس من يونية / حزيران ١٩٦٧ ، حطم الطيران الإسرائيلى فى هجوم مفاجىء طيران مصر وسوريا والأردن وبدأ الهجوم البرى . ذهبنا لمجلس الأمن وطلبنا جلسة عاجلة . واجتمع المجلس بعد ساعات ، لكنه لم يتخذ إجراء حازما لإيقاف إطلاق النار رغم اجتماعاته المستمرة . وكانت ستائر الشبابيك المطلة على النهر الشرقى الذى بنى على جانبه مقر الأمم المتحدة مغلقة كل الوقت وأنوار المجلس والمبنى مضاءة طوال الوقت ليلا ونهارا .. وفى معظم الأحيان لم نكن نعرف إذا كان الوقت ليلا أو نهارا . وفى مكان بعيد وراء المحيط والبحر الأبيض المتوسط كانت الحرب دائرة والحالة تزداد سوءا كل دقيقة . وكانت المعلومات كلها تصل إلى سفير امريكا اولا باول عن طريق سفينة التجسس ليبرتى ـ كما سيرد ذكره فيما بعد . كنا بعيدين كل البعد عن ميدان المعركة وعن المعلومات وعما يجرى ، عدا ما تنقله وكالات الانباء وتذيعه محطات نيويورك .

ووصلت أنباء تقول إن عددا كبيرا من أفراد عائلتى قد قتل . وأرسل يوثانت أمين عام الامم المتحدة إلى الجنرال الهندى ريكى ـ المسؤول عن القوات الدولية ـ يسأله عن أفراد أسرتى . ووصلته انباء انهم بخير وأن عددا آخر من ابناء العائلة قد قتل .

وفى اليوم التالى أبلغنى رالف بانش الأمين العام المساعد للأمم المتحدة أن يوثانت سينقل لى أنباء سارة . وأخذت أسأل نفسى ما هى هذه الأخبار ؟ هل هى عن المعركة ؟ هل هناك تقدم فى الميدان ؟ وجاء يوثانت وأعطانى والسعادة على وجهه البرقية التى تطمئنه على اسرتى ، وشكرت الرجل لاهتمامه بأحوال أسرتى رغم مشاغله الكبيرة .

وفى اجتماع اليوم التالى ، قدم الزملاء فى مجلس الأمن كلمات التعازى لى بالنسبة لمن قتل من أهلى . وأخذت التقارير بعد غموض دام اربعا وعشرين ساعة ، تصل إلينا مؤكدة أن إسرائيل احتلت معظم الضفة الغربية . ووصلت تقارير عن تراجع الجيوش العربية .

جئت بعد الظهر إلى اجتماع مجلس الأمن ، والتقيت بهذا السفير الذى واجهته فى طريقى ، أو ذاك الذى كان واقفا فى قاعة مجلس الأمن . وجاملت هذا وابتسمت لذاك . وكان اللورد كارادون مندوب بريطانيا اول من حضر لاجتماع مجلس الأمن ، وأخذ يراقب تحركاتى فى المجلس . وفى طريقى إلى مقعدى فى المجلس توقفت عنده لحظات اسأله عما يدور بين الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن حول الحرب وإيقافها .. وفجأة قال اللورد :

« أنت تحيرنى ! فى هذا الصباح تلقيت تقارير عن مقتل عدد من أفراد عائلتك فى الحرب . وبعدها تلقيت تقارير أن معظم الضفة الغربية هى الآن فى يد إسرائيل . ورغم هذه

الصورة الحزينة لاحظت أنك تتحدث مع زملائك والابتسامة تعلو شفتيك . قل لى : كيف تستطيع ذلك ؟ » .

أجبت اللورد كارادون :

« دعنى أذكرك بشيء من تاريخ الأجداد فى هذه البلاد ـ أمريكا . ذات يوم فى أثناء حربكم مع الهنود الحمر ، طلب الفريقان إيقاف إطلاق النار ليتسنى لكل منهما جمع جثث قتلاه .. وجاء فريق من الأطباء الأمريكان لهذه الغاية . وبينما كانوا يفصلون جثث قتلاهم من جثث الهنود الحمر ، سمع أحدهم صوتا ينبعث من جثة جندى ملقاة بين باقى الجثث . وركض الطبيب إلى حيث الصوت ، ووجد هذا الجندى مازال حيا رغم نزيف الدماء والنشاب المستقر فى صدره . وبدأ الطبيب يسحب النشاب من صدره . وفى أثناء هذه العملية سأل الطبيب الجندى : « هل يوجعك هذا ؟ » .. أجاب الجندى : « فقط عندما ابتسم يا سيدى » .

وأضفت للورد كارادون : **وانا ما زلت ابتسم .**

وفهم اللورد ما قلت . وأعلن رئيس المجلس بدء الجلسة .. وبدأ إلقاء الخطب وتبادل الاتهامات بين إسرائيل والوفود العربية ، ولم يتخذ المجلس الإجراء الفعال لإيقاف الحرب . **وتابعت ابتسامتى !!** .

طال انتظارى لصدور قرار إيقاف اطلاق النار فى هذه الحرب الوحشية ، لكن القرار لم يصدر رغم خطورة الهجوم الإسرائيلى . كنا نصر على قرار يدعو إلى إيقاف اطلاق النار والأمر بانسحاب القوات الإسرائيلية من الاراضى المحتلة . ولم تظهر الولايات المتحدة أى رغبة لإيقاف الحرب . ولم يظهر أى رد فعل معاد لإسرئيل بسبب الحرب التى بدأتها . وكنا نعلم أنه بدون دعم الولايات المتحدة الصادق لن يتخذ أى قرار فى مجلس الأمن .

وفى إحدى خطبى أمام مجلس الأمن ، عرضت مقارنة بين الموقف الدولى فى الأمم المتحدة بالنسبة لعدوان ١٩٥٦ والعدوان الحالى . لا يوجد فرق بينهما .. لكن فرقا كبيرا بين مواقف الدول الكبرى أمس واليوم . فالقانون الدولى الذى حافظت أمريكا والعالم على سلامته عام ١٩٥٦ ، داست عليه بعض الدول الكبرى اليوم فى عام ١٩٦٧ . قال الرئيس إيزنهاور كلماته المشهورة إنه لا يرى بديلا للأمم المتحدة وميثاقها لتحقيق السلام فى العالم . ولم يستطع الضغط الصهيونى ولا أية عوامل أخرى حمله على التخلى عن القانون الدولى . وفى عامى ١٩٥٦ و ١٩٦٧ كان هدف إسرائيل التمسك بما احتلت من أراض . وأخفقت فى المرة الأولى ، وهى تحاول ذلك اليوم .

ونتيجة لحرب ١٩٦٧ أضيف المزيد من اللاجئين لمن طرد نتيجة مذابح ١٩٤٨ ، والذين ترفض إسرائيل إعادتهم رغم إلحاح الجمعية العامة على ذلك فى كل عام .

بدأت سلسلة عمليات الإرهاب بعد ثلاثة أيام من بدء الحرب ، وبدأ الأهالى فى الضفة الغربية يهربون من بيوتهم خوفا من عمليات القتل والبطش والاغتصاب كالتى جرت فى دير ياسين . وأخذت القوات الإسرائيلية تهدد بمثلها . ووصلت التقارير التى تؤكد ذلك . وقفزت أمامى ـ أثناء مناقشات مجلس الأمن ـ مذبحة دير ياسين وتصورت مليونا من البشر سيطردون من منازلهم ، ووصلت برقية من عمان تؤكد هذه المحاولات وتكلفنى بإثارة الموضوع بسرعة فى مجلس الأمن . لهذا طلبت من الرئيس إعطائى الكلمة « حول موضوع هام وعاجل ويستحق اهتمام المجلس وإعطاءه الأولوية » . وقلت : « إن إسرائيل بدأت تطرد السكان من الضفة الغربية عبر نهر الأردن إلى الضفة الشرقية ، وإن أكثر من ثلاثة عشر ألف امرأة وطفل ورجل هم الآن فى الضفة الشرقية . وإنهم بحالة سيئة . النساء يحملن الأطفال والرجال يحملون ما خف حمله من الطعام والملابس » . **قارنت ما قامت به إسرائيل عام ١٩٤٨ وما تقوم به الآن عام ١٩٦٧ ، بما كانت تفعله النازية فى المانيا** . وطالبت المجلس بإتخاذ إجراءات فعالة لإيقاف هذه الأعمال الإرهابية الصهيونية .

كانت كلمتى قصيرة جدا ، فالوقت مهم جدا والإجراء المطلوب يستدعى سرعة الحركة . وتكلم لورد كارادون الذى طالب بضرورة إتخاذ إجراء سريع ، ووجه نداء إلى أهالى طولكرم وقلقيلية وطوباس وطلوزة ونابلس وجنين والطيّبة وجميع سكان مدن وقرى الضفة الغربية ـ الذين عمل معهم ، وعاش بينهم عندما كان حاكم لواء نابلس ، وكان اسمه هيوفوت ـ بأن لا يتركون بيوتهم ويهربون ، وأن يرفضوا الطرد ، وأن يعود من غادر منهم ويسمع هذا النداء إلى دياره حتى لا يصبح حالهم كحال من رحل أو طرد عام ١٩٤٨ ـ أى لا يعودون . وتكلم سفراء آخرون وكلهم ذكروا بضرورة عدم تفريغ الأرض . وبعد أن أمضى من هرب من الفلسطينيين ٢٤ ساعة تحت الأشجار فى جنين وطولكرم ونابلس ورام الله ، قرروا العودة إلى بيوتهم . وعندما زرت عمان بعد ذلك ، التقيت بمختارى يالو وبيت نوبا ، وقالا إن أهل الضفة الغربية قد سمعوا مناقشة مجلس الأمن ، وقرروا بعد ذلك العودة مهما كلف الثمن . أما مختار بيت نوبا ومختار يالو ومختار عمواس ، فلم يكن بإمكانهم العودة لا هم ولا أهل قراهم ، فقد هدمت كل بيوتهم وأزيلت قراهم ، كما بينت فى الصفحات السابقة .

أما لاجئو ١٩٤٨ ومن طرد بعدهم ، فما زالوا ينتظرون العودة . وسواء تركوا ديارهم نتيجة الخوف أو بسبب خطر حقيقى محدق ، فكل هذا لا يبرر عدم السماح لهم بالعودة إلى ديارهم وقراهم . **وقد ذكر الكاتب اليهودى وليم زكرمان ان اليهود كثيرا ما هربوا من تهديد الحرب إما حقيقة أو خيالا وخوفا ، ثم عادوا إلى مساكنهم بعد ذلك . وإن منع اللاجئين الفلسطينيين من العودة إلى ديارهم وممتلكاتهم هو عمل بعيد عن العدالة وغير معقول .**

ونظرا لأهمية سرعة البت فى هذه الشكوى العاجلة ، **اصدر المجلس قرارا بتاريخ ١٩٦٧/٦/١٤ يكلف إسرائيل بالسماح بعودة جميع من هربوا إلى ديارهم فى الضفة**

الغربية ، وتامين سلامة وخير وامن الأهالى فى الأراضى المحتلة وتسهيل عودة من هرب منهم . غير أن إسرائيل أهملت هذا القرار كلية . وقبل هذا القرار بثلاثة أيام ، فى ١١ يونية / حزيران ١٩٦٧ ، قال موشى ديان للتليفزيون الأمريكى « سى . بى . إس » بالنسبة لعرب فلسطين : « نحن نستطيع استيعابهم ، لكن لو تم هذا فلن تكون إسرائيل هى نفسها كما هى الآن » . وجاء السؤال : وأنت ترى ضرورة الإبقاء على إسرائيل كدولة يهودية ؟ أجاب : « بكل تأكيد .. نحن نريد دولة يهودية ، كما يريد الفرنسيون دولة فرنسية » .

هذا هو قلب الفلسفة الصهيونية ، فقادة إسرائيل يرفضون الأغيار فى إسرائيل . يريدونها يهودية ، كلها يهودية لا مكان فيها للأغيار . ولهذا بقيت المشكلة الفلسطينية ، ومشكلة اللاجئين إلى يومنا هذا .

بقى أن أقول إننى على أثر قرار مجلس الأمن حول من طرد من فلسطين فى أثناء حرب ١٩٦٧ ، أبرقت بنص القرار إلى عمان وطلبت ضرورة توجه جميع من قطع النهر وأصبح فى شرق الأردن إلى ديارهم فى الضفة الغربية . وطلبت أن يتقدم هؤلاء رجال الدين من جميع الطوائف مسلمين ومسيحيين ، وأن يدعى جميع رجال الإعلام والتليفزيون ووكالات الأنباء العالمية ورجال الصحف العالمية لتغطية هذه العملية ، لأن هذا سيكشف نوايا إسرائيل للعالم .

لم تصل البرقية ! .. وضاعت قبل وصولها إلى عمان ! .. كما ضاعت برقيات أخرى حول مواضيع هامة فى أثناء الحرب . كيف ولماذا ؟ هذا ما سيرد ذكره .

□ □ □

الفصل الرابع

قمة عالية

« ستة عشر عاما من التخطيط دخلت فى الثمانين دقيقة الأولى من حرب ١٩٦٧ . لقد عشنا مع الخطة ، ونمنا مع الخطة ، وأكلنا الخطة إلى ان احسنا التدريب عليها لدرجة الكمال » .

البريجادير موردخاى هود

« قائد الطيران الإسرائيلى ، ١٩٦٧ »

المآسى الإنسانية التى نشأت نتيجة قيام إسرائيل كثيرة ومتنوعة . وكثيرا من هذه الحالات الإنسانية ما لا يعرفه القارىء ، ومنها ما يكون أشبه بالخيال . وما سأسرده فى الصفحات التالية هو من هذه القصص المأساوية المثيرة التى قد لا تكون الوحيدة من نوعها .

فى عام ١٩٦٤ نقلت إلى القاهرة كوزير مفوض فى سفارة الأردن . كان السفير المعتمد هو السيد أنور الخطيب الذى حصر دوره فى الأمور السياسية الهامة المتعلقة بتحسين العلاقات بين الأردن ومصر . وكنت أتولى المسائل المتعلقة بجامعة الدول العربية ، والعمل مع الزملاء لتحقيق الوحدة الاقتصادية بين هذه الدول . وانتخبت أول رئيس لمجلس الوحدة الاقتصادية . وذات يوم واجهت مشكلة إنسانية خلقها الاحتلال الإسرائيلى . وما كنت لأصدق ما جرى لولا أننى كنت شاهد عيان ، وضعته الظروف لمتابعتها ومحاولة حلها .

ذهبت ذات يوم من عام ١٩٦٥ مبكرا لمكتبى بالسفارة . وبعد دقائق من وصولى ، التفت من الشباك لأرى سيارة تقف أمام المبنى ورجلا كبير السن بلباسه العربى الطويل وكوفيته يخرج من السيارة بسرعة ويندفع متسلقا سلم العمارة متجها لمكتبى . ورغم الأعباء الثقيلة التى يخلفها كبر السن ، كان يصعد على درجات السلم بنشاط عجيب . دخل مكتبى ، وألقى بنفسه بعاطفة غريبة علىّ مقبلا . رأيت الشيخ يبكى ، والدموع تتساقط بغزارة على لحيته الطويلة الفضية البيضاء . شعرت بألم شديد عندما أخذ هذا الشيخ المحترم يحاول تقبيل يدى ، والدموع مازالت تتساقط من عينيه . كان شكله شكل رجل منكسر القلب ضائع

الذهن فى عالم مملوء بالألم والقسوة . بدأت أهدىء من روعه ، وأجلسته إلى جانبى . وهدأ قليلا ثم بدأ يقص علىّ قصته المحزنة .. قال إن اسمه أبو فلاح ، وأضاف :

« تبدأ قصتى ساعة ضياع فلسطين فى الخامس عشر من مايو/ أيار ١٩٤٨ . احتل اليهود المنطقة المجاورة لقريتى « الشيخ مؤنس » ، ووصلتنا الأخبار عن الأعمال الوحشية التى تقوم بها قوات الهاجناه وشتيرن ضد النساء والأطفال . شعرنا بالضياع وبدأت قبيلتنا فى الرحيل ، وكان واجبنا الأول إخلاء النساء والأطفال .

.. ووضعت زوجتى الحامل فى تلك اللحظة مولودة أسميناها « عالية » .. وبسبب الخوف وعدم العناية ومضاعفات الحرب توفيت الزوجة بعد ساعات من الولادة . وشعرت بالضياع وأصبحت غارقا فى بركة من المآسى . فهذه زوجتى فى حاجة إلى أن توارى التراب فى مسقط رأسها . وهذه المولودة وعمرها بضع ساعات تحتاج إلى رضاعة وعناية ، وهناك أطفال آخرون بانتظار ترحيلهم . وهذه منظمات يهودية إرهابية تطلق الرصاص على قريتنا من كل جانب . وها أنا أقف مواجها هذه المآسى ، وفى حالة من اليأس . لا أعرف كيف أبدأ ولا كيف أصل إلى حل لهذه المشاكل الكثيرة . ماذا أعمل ؟ إلى أين اتجه ؟ أخذت أسير فى حلقة مفرغة .

.. وجاء جارى المصرى الجنسية الحاج حسين الذى كان يحضر من مصر كل عام فى أثناء موسم البرتقال فيسكن فى أرضى بدون مقابل ، ويعمل فى حقول البرتقال طلبا للعيش . قال لى : لا تقلق يا أبا فلاح ، عليك أن تهتم بدفن زوجتك ، أعطنى المولودة لترضعها زوجتى كما ترضع طفلنا ، فهى أم لطفل صغير . ثم كرر القول : لا تيأس .. لا تحزن .. إن الله كريم . أنا مدين لك بكثير من الفضل ، وأؤكد لك أن عالية ستحظى بكل العناية والاهتمام ، وما يقدره الله لنا ستشاركنا فيه . أذهب الآن والله معك . قبّلت عالية الملفوفة فى متر من القماش الأسود وسلمتها له . وبعد ساعات قليلة ، ضاعف اليهود الضغط علينا ، ووصلنا المزيد من أخبار القتل والتعذيب والإرهاب ، وهربنا جميعا ، وانتشرنا فى أرجاء الوطن العربى ، وانتهى بى المطاف فى مخيم بلاطة بنابلس . مرت ثلاثة أيام على وفاة زوجتى ، ولم أعرف إلى أين انتهت ابنتى عالية . عشت سنوات طويلة حياة الخيام وذل الحاجة . أخذت انتظر أخبار ابنتى عالية ، أسأل نفسى أين هى ؟ كيف هى ؟! كنت استيقظ بالليل وأتحدث عن أحزانى إلى النجوم المنتشرة فى السماء ، واسأل فى ظلام الليل : أين أنت يا عالية ؟ وكيف حالك يا عالية ؟ وكنت أحدث نفسى فى الظلام عن أمور كثيرة وانتهى قائلا : لا يجمعنا إلا مكان واحد هو قريتى « الشيخ مؤنس » . هناك افترقنا وهناك سنلتقى ثانية .

.. وطالت إقامتنا فى الخيام بعيدين عن وطننا ، وتأخرت عودتنا وكبرت عالية فى عالم لا أعرفه ، ولم أعرف إلى أين اتجه ! أعرف أنها مع تلك العائلة المصرية فى مكان قريب من سيناء لكنى لا أعرف المكان بالتحديد ، ولهذا بعثت كلمة عن طريق اللاجئين الموجودين فى قطاع غزة وخارجه ، وطلبت من الأهل أن يسألوا عنها ، وعن الحاج حسين .

.. وبعد خمسة عشر عاما جاءنى لاجىء يعلمنى أن ابنتى عالية هى فى مصر فى مزرعة اسمها « أكس » بالمنصورة .. قال لى إنه رأى أباها المتبنى فى أحد حقول القطن ورآها هناك تجمع القطن مع عدد من اللاجئين الذين جاءوا للعمل وكسب لقمة العيش ، تماما كما كان الحاج حسين يحضر فى موسم البرتقال إلى بلادى الجميلة ، ووجدت نفسى أقف على قدمى سعيدا فرحا ، وأحضن حامل الرسالة واقبله شاكرا .

.. فى اليوم التالى جمعت بعض ملابسى وأخذت بعض النقود من ابنى الجندى وأخذت أعد العدة للسفر إلى مصر . ووجدت نفسى أواجه مشكلة جديدة ، فالعلاقات بين البلدين العربيين فى الوطن العربى الواحد مقطوعة ولا تسمح بالسفر ، ولابد من الانتظار . فكرت فى تفويض رجل من هناك لإحضار ابنتى وظننت أن الأمر بهذه السهولة . وأرسلت توكيلا لأحد أقربائى وذهب بدوره إلى القاهرة ، ومنها إلى المنصورة ، وهناك لجأ إلى مساعدة البوليس ، وأزعج عالية أن يكون أول اتصال لها بوالدها عن طريق البوليس وقوات الأمن . تصورت أباها بأنه رجل كله قسوة ، ولا مكان للحب الأبوى فى قلبه . وحال وصولها قسم البوليس أعلنت ألا أبا لها غير ابيها المتبنى ، وأنها لا تريد له بديلا ، ولأن عالية قد نضجت فقد أعطى لها حق الاختيار . واحترم البوليس رأيها وأعادها إلى المنصورة حيث يقيم والدها بالتبنى » .

واستطرد أبو فلاح : « وصلتنى أخبار رفض عالية لى ، وزاد اليأس والأسف . وعدت إلى الذكريات التى عاشت معى وبعثت تعاستى . ومرة أخرى أخذت أعيش فى جو الآلام . تزداد مخاوفى . يحز فى نفسى الماضى واتطلع إلى المستقبل وانظر إلى عدالة السماء وأقول : فقدت زوجتى . وها قد تخلت عنى ابنتى . وبذلك تكون قسوة القدر قد أخذت منى أرضى وزوجتى وابنتى ، وكل ما أملك فى هذه الحياة . وقدرت أن الفرصة الوحيدة الباقية هى أن أقوم بالتجربة بنفسى . فقد يشاء الله لى التوفيق هذه المرة .. لكن هذه التجربة تحتاج إلى سفر ، والسفر تقرره ما تنتهى إليه العلاقة بين البلدين العربيين المختلفين فى الوطن العربى الواحد .

.. مرت الأيام وازدادت مضاعفات المصيبة ، وأخذت استيقظ كل صباح لاستماع الأخبار التى تبث من إذاعات القاهرة وعمان ثم أمشى بعد ذلك فى المعسكر .. وكلما رأيت لاجئا يقرأ صحيفة ، كنت أقف وأتوسل إليه أن يقرأ لى أخبار العلاقات بين البلد الذى أسكن فيه ، وذاك الذى تقيم فيه عالية .

.. مضت سنتان وبعدها بدأت بشائر الخير تظهر ، فقد تحسنت العلاقات بين البلدين العربيين وجئت إلى القاهرة وأنا أمامك الآن . هذه هى قصتى . وهذا هو عنوان ابنتى ، والتمس منك أن تساعدنى لأننى لا استطيع الإقامة هنا طويلا ، فأنا لا أملك من النقود إلا القليل ، ولا اريد أن أكون عبئا على أى إنسان ، فقد حرمنى الله من كل شىء ما عدا كرامتى ، وأنت لا تريدنى أن أفقدها ، وأفقد احترامى فى هذه السن المتقدمة . أرجوك .. » .



◘ والد عالية يبكى عندما انكرته ابنته .

هذا ما قاله لى الرجل المسن أبو فلاح . آلمتنى قصته . وعندما تنفس الصبح فى اليوم التالى كنت مع هذا الرجل الطيب فى طريقنا إلى المنصورة ، حاملا فى جيبى رسالة من وزارة داخلية مصر إلى المسؤولين فى المنصورة لتسهيل مهمتى . وأرسل هؤلاء لإحضار عالية ، واتفقنا على الا تحضر عن طريق البوليس الرسمى ، وأن تعامل معاملة لطيفة حتى لا تتكرر المأساة الماضية وما تركته فى نفسها من أثر .

مضت ساعات وانا وابو فلاح ننتظر خارج أحد مبانى الحكومة ، وكلما مرت فتاة كان ابو فلاح يتأهب لتحيتها ، ثم يعود يقول : « لا يمكن أن تكون هذه ابنتى » . وأخيرا وصلت عالية ، وتعرف أبوها عليها فى الحال ، كيف تم ذلك لا أدرى . قد يكون سببه نداء الدم كما يقولون . لكن الفتاة لم تتعرف على أبيها .

انفجر الأب باكيا عندما رآها . . لكنها رفضته ، ولم تعترف بأبوته . قالت إنها لا تعرفه ولا تريده . . إنه سبق أن أرسل لها البوليس بأسلحته لأخذها بالقوة ، وإنها مكثت وقتا مع نساء السجون . وزاد بكاء الوالد الحزين ، لقد آلمه أن عالية لا تعرف شيئا عن قصتها ، ولا تعرف ما بذل من جهود . . قالت عالية :

« إذا كنت حقيقة أبى ، لماذا لم تحضر لأخذى فى أثناء طفولتى ؟ لماذا بقيت ساكتا طيلة سبعة عشر عاما قبل أن تتذكرنى ؟ هل جئت الآن لأننى كبرت ، ويمكن أن أكون فى عون لك ؟ هل تطمع الآن فى « مهر العروس » . . لا . . لا . . لا أريدك » .

وقليلا . . قليلا ، أخذ ضابط بوليس المنصورة يستخدم كل خبرته وفهمه لعقلية الفلاح لاقناع عالية أن الصورة غير ما تراها . وأن شيئا كثيرا قد حدث منذ طفولتها وهى لا تعرفه . وأخذ الضابط يضع أمامها تصويرا صادقا للشقاء الذى سببه لوالدها بعدها عنه . والمتاعب التى مر بها فى محاولة العثور عليها ، والليالى الطويلة التى قضاها لا يعرف النوم طريقه إليه . يبقى سارح الفكر متألما منتظرا .

وأخذت أيضا أقص عليها المصيبة الكبرى ، ونصيبها منها ، وأكدت لها أننا لن نأخذها بالقوة ، ولن نخطفها كما تتوقع ، قلت لها : إننى هنا لحمايتها ضد أى عنف ، وأن البوليس لن يتدخل إلا لما فيه مصلحتها ، وأن أباها وأنا لن نقدم على أخذها إلا بعد قبولها وبرضاها الكامل وبمحض اختيارها وبكل إرادتها ورغبتها ، ولا يتم ذلك إلا بتعهد خطى يعطى لتأمين أمنها وراحتها .

اطمأنت الفتاة ، وهدأت أعصابها .

وهنا وقف أبوها بالتبنى الحاج حسين المصرى الذى احتضنها وزوجته طيلة هذه المدة . . والذى أصبح شيخا مسنا لا يقدر على المشى ويتوكأ على عصا مقطوعة من شجر الزيتون بفلسطين . يلبس جلبابا أبيض ويلف رأسه بطاقية من الصوف حولها قماشة قطنية بيضاء ناعمة . له شارب طويل ولحية قصيرة . أقعدته السنين وأضعفته الأيام ، وهدته حاجات ومطالب الحياة . ضعف بصره وأصبح لا يرى إلا قليلا . لم يعد ينعم بالقوة التى كان يتمتع بها بفلسطين . طلب الحاج حسين أن يجتمع بى على انفراد . . ومشيت معه وجلسنا سويا وهمس فى أذنى أنه والد عالية المتبنى . شكرته على كل ما عمله لعالية ، ابتسم وقال :

« إن عالية هى كل شىء لنا ، هى التى تعتنى بى ، وأنا الرجل المسن العاجز الذى ترى ، وهى أيضا التى ترعى وتساعد زوجتى التى أرضعتها وخدمتها إلى أن كبرت . عالية هى التى تنظم حياتنا وتسهر على راحتنا . . وتستطيع أن تتصور الألم الذى سيخلِّفه رحيلها عنا ، بعد أن كبرت ونضجت بيننا ، وبعد أن تعودنا أن نعتمد على الله وعليها . . لكن يا بنى رغم كل هذا هى وديعة تركت بين أيدينا ، بعد أن شرد اليهود أباها الفلسطينى أبو فلاح ، هى اليوم كفتاة من دمنا ولحمنا وشرفنا ، هى وديعة حافظنا عليها ، وكنت لا أتردد فى تقديم حياتى من أجلها ولا افرط بها مقابل أى شىء . كنت كل سنة وأنا الرجل العجوز المقعد الذى ترى أسافر من هنا إلى القاهرة لتجديد إقامتها لتبقى فلسطينية ، أدخر القروش طيلة السنة لتغطية نفقات الرحلة والرسوم لهويتها ، كنت أقوم بكل هذا وأتحمل المشقات ، وأنا الشيخ



□ المؤلف وإلى يمينه والد عالية المتبنى ثم عالية وبعدها والدها الحقيقى والذى عثر على ابنته فى مصر بعد ١٤ عاما .

الجالس أمامك لا لشىء بل للمحافظة على اسمها وجنسيتها لأننى كنت أتوقع هذا اليوم . إن أباها أبو فلاح رجل فاضل ، كان كريما معى فى فلسطين فى تلك الأيام الماضية منذ سبعة عشر عاما ، وعاملنى معاملة حسنة ، وهل جزاء الاحسان إلا الاحسان . إننى سعيد سعادة لا توصف لرؤيته ، ومع ذلك فأنا حزين حزنا شديدا ، وأشعر أن العالم كله ينغلق على لأن رحيل عالية قريب . لدى طلب واحد يا بنى هو أن لا تأخذوا عالية ضد رغبتها . . دعوا أباها يعيش معنا وبيننا مدة أسبوعين أو ثلاثة ، ستراه ابنته كل يوم ، وستتعود عليه . ليحضر لها ملابس العيد ، فالعيد على الأبواب وليحضر لها هدايا الأبوة . ليقم معنا قليلا ويعد إلى محل إقامته وليراسلها من هناك فتتعود عليه ويزول خوفها من السفر إلى المجهول ، بهذا يضمن النجاح والله معه » .

أعجبت بهذا الرجل المصرى العاقل . كان يتحدث ببطء الشيوخ وبحكمة الكبار . عاش أبو فلاح مع ابنته لبضعة أيام ثم عاد إلى معسكره تاركا الفتاة وراءه . أخذت أرافق ابن عم الفتاة الطالب بجامعة القاهرة إلى المنصورة كل أسبوعين أو ثلاثة ، أحدث عالية عن بلادها ووالدها وأهلها إلى أن عرفت حقيقة ما جرى ، ولم تعد تسأل أسئلة يصعب الرد عليها . كانت هذه الفتاة الأمية قلقة كل الوقت وتخشى أن تنتهى هى ووالدها الغائب وكامل مخيم اللاجئين

الذى يعيش فيه ، فى أحضان الاحتلال الاسرائيلى . كانت ضحية الخوف طيلة الوقت . بعد ذلك بدأت تسأل عن والدها الحقيقى ، بدأت تشتاق إليه . وأخيرا ، طلبت منى إحضار ابو فلاح ليأخذها إلى مخيمات العائدين .

وأخذت أعد لعودتها بعد وصول والدها وواجهنا مشاكل كثيرة منها : مشاكل الهوية وجواز السفر ، وإجراءات التأشيرة والرحيل من القاهرة إلى الضفة الغربية والاقامة فيها وغيرها . وبعد التغلب على كل هذه المشاكل ، ذهبت مع ابى فلاح إلى المنصورة وأخذ ابنته وعاد إلى المخيم . أما الحاج حسين ، فقد رفض أن يأخذ مالا مقابل إعالة عالية طيلة هذه المدة ، واكتفى بطلب واحد ، وهو أن تحضر عالية لزيارتهم كل عام فى أيام عيد الأضحى المبارك . وعد أبو فلاح الحاج حسين بذلك ، وقطعت عهدا أن أعمل على تنفيذ ما اتفق عليه .

يوم مغادرة عالية كان أشبه بيوم عيد للقرية الصغيرة القريبة من المنصورة ، حيث تقيم عالية . بشعور مختلط لدى سكان القرية ، وقفوا جميعا يبكون تارة ويغنون أخرى ، ويضحكون مع بعضهم . وفى أثناء وداعها وأشعة الشمس تنعكس بحرارتها عليهم ، كانت أصواتهم الحزينة الحلوة المجلوة تصرخ :

« مع السلامة يا عالية . . الله معك يا عالية . . اذهبى مع السلامة يا عالية . . اذكرينا يا عالية » .

كان العمدة وشيخ الخفراء هناك يقودون المظاهرة معربين عن كلمات التهانى ، وتعابير الفرح مختلطة بحزن الفراق . كل واحد يصرخ « مع السلامة » لحبيبتهم عالية . كانت قلوب المصريين الطيبة فى العزبة تشارك عالية سعادتها .

لم تنته القصة عند هذا الحد ، ففى نفس العام ، أواخر عام ١٩٦٥ ، نقلت إلى نيويورك كسفير ومندوب دائم للأردن فى الأمم المتحدة . كان الأردن قد انتخب عضوا فى مجلس الأمن لعامى ١٩٦٥ و ١٩٦٦ . وكنت هناك ايضا فى أثناء حرب يونية / حزيران ١٩٦٧ ، عندما اجتاحت القوة الاسرائيلية واحتلت ما بقى من فلسطين . كنت بناء على طلب من حكومتى أقدم الشكاوى لمجلس الأمن كلما ارتكبت إسرائيل جريمة أو عدوانا جديدا . وقبل حلول عيد الأضحى الأول ، بعد ترك عالية منزل الحاج حسين ، تلقيت رسالة من أبيها المتبنى يطلب منى أن أفى بالعهد « إن العهد كان مسؤولا » . . ولم تحضر عالية إلى منزل الحاج حسين كما كان العهد والوعد ، وكما كان متوقعا . ذلك لأن الحاج حسين لم يكن يعرف ان القوات الاسرائيلية بتاريخ ٥ يونية / حزيران ١٩٦٧ قد احتلت ما بقى من فلسطين ، وبذلك اصبح السفر من الضفة الغربية حيث تقيم عالية إلى القاهرة امرا مستحيلا . وما تنبأت به تلك الفتاة البسيطة الأمية البريئة تحقق . لم يعرف الحاج حسين ان مخيم عالية وكامل تلك المنطقة قد قطعت عن الوطن العربى ، ولم يعرف ان عالية تسكن الآن وراء اسلاك شائكة مكهربة ، وان إسرائيل قد ارتكبت عدوانا جديدا وشردت

المزيد من السكان . قال الحاج حسين فى رسالته : إنه يريد عالية ثانية قبل أن يموت ، يريدنى أن أنفذ عهدى ، مقتبسا من القرآن الآية الكريمة :

« وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا »

وفى جلسة خاصة مع أعضاء مجلس الامن ، تلوت ما جاء فى الرسالة وقلت لهم : بماذا أرد على الحاج حسين ، إن الرد عندكم ؟ . . جميع الأعضاء يعرفون ما جرى فى ٥ يونية / حزيران ١٩٦٧ . وقد أثارت الرسالة حزنهم وألمهم . أما أنا فلم أستطع الرد على طلب الحاج حسين ، لأن الجواب لدى إسرائيل ولدى مجلس الأمن .

ومات الحاج حسين بعد عامين ، ولم ير ابنته بالتبنى . لقد عمدت أن لا أذكر له لماذا تخلفت ابنته عن الحضور لأننى أردت أن أوضح له ذلك شخصيا ، لكننى عندما ذهبت لزيارته لم أجده هنا ـ فى مصر ـ . . فقد مات .

ماذا حصل لعالية ؟ لا أدرى . . **قضيتها هى مثل حى ، وقصتها هى قصة حقيقية لها ، ولكثيرات من الفلسطينيات ضحايا الصهيونية .**

□ □ □

الفصل الخامس

سفينة التجسس "ليبرتى"

« إذا كانت الولايات المتحدة لا ترغب في ان يعلم الروس والعرب بوجود عمليات مشتركة بين المخابرات الأمريكية (سى. اى. ايه) والمخابرات الاسرائيلية (الموساد) في الشرق الأوسط وان يعرفوا عن مباحثات « انجلتون » قبل بدء حرب ١٩٦٧ ، فلا بد من إسقاط الموضوعين ، وهما موضوع السفينة الامريكية « ليبرتى » ، وموضوع كيف نشأت فكرة الحرب ، من اى حديث » .

موشى ديان
وزير الدفاع الاسرائيلي

تعاملى مع السفير الأمريكى فى أثناء مناقشات حرب ١٩٦٧ فى الأمم المتحدة ، لم يترك لى مجالا للشك فى ان **الولايات المتحدة الأمريكية هى شريك إسرائيل الاستراتيجى المتكفل بكل ما يحقق أمانى الدولة اليهودية وأهدافها** . أصبح واضحا لدىّ أن سياسة إيزنهاور الايجابية فى أثناء عدوان ١٩٥٦ قد تغيرت كلية من قبل الرؤساء اللاحقين ، وأن الولايات المتحدة ملتزمة لاسرائيل بشكل لا سابقة له .

وأكدت قضية السفينة ليبرتى كل ما كنت اظنه . والجريمة التى ارتكبت ضد ليبرتى تكشف الكثير الذى لم نكن نعرفه ولا يعرفه لا المواطن العربى ولا المواطن الأمريكى . وأصبح واضحا الآن لماذا لم تعط قضية ليبرتى الاهتمام المطلوب ، ولا المناقشة اللازمة فى الكونجرس الأمريكى ، وفى مجلس الأمن الدولى .

يقول أنتونى بيرسون فى كتابه الذى حصل على كل معلوماته الواردة فيه من رجال البحرية الأمريكية ، وعدد كبير منهم من رجال ليبرتى الباقين على قيد الحياة ، والذى قابل ضباطا كبارا فى البنتاجون ، وأصدقاء من المخابرات الأمريكية (سى. آى. ايه) ، وعددا من رجال إدارة الرئيس جونسون ، واعتمادا على ما حصل عليه من معلومات . . يقول عن ليبرتى فى كتابه « مؤامرة الصمت » ما يلى :

« عندما بدأت الحرب العربية ـ الاسرائيلية ، وجهت آلات الاستماع ونقل المعلومات من الجانبين . وكان بالمستطاع عن طريق الرادار معرفة مواقع وحركة القوات والدبابات

وسلاح الطيران ومعرفة مدى التقدم فى المعركة . وكانت هذه المعلومات ترسل كاملة إلى جهاز الأمن الوطنى الأمريكى ، وأجزاء مختارة منها كانت توجه رأسا لمجلس الأمن ، أى إلى البعثة الأمريكية المعتمدة فى مجلس الأمن ، والمقصود هنا الوفد الأمريكى الذى كان يرأسه السفير آرثر جولد برج فى أثناء حرب ١٩٦٧ » .

وأضاف بيرسون :

« وهكذا عند بدء حرب ١٩٦٧ ، كان السفير آرثر جولدبرج مندوب أمريكا فى مجلس الأمن بين كبار الموظفين الأمريكيين الذين كانوا أول من يعلم عن مدى تقدم القوات » .

يبين هذا لماذا كان جولدبرج فى بداية أعمال المجلس يعمل بالتعاون مع رئيس مجلس الأمن على تأخير اتخاذ أى إجراء من قبل مجلس الأمن . ويعكس محضر اجتماع ٥ يونية / حزيران ١٩٦٧ لمجلس الأمن ، الاجراء غير المعتاد الذى اتخذه تابور سفير الدنمارك الذى كان رئيس مجلس الأمن لشهر يونية / حزيران ، ويوضح كيف قام السفير الأمريكى آرثر جولدبرج بدور فعال لتأخير أى إجراء سريع من قبل مجلس الأمن . كما تعكس محاضر مجلس الأمن فى الخامس من يونية / حزيران ، الممارسات غير العادية التى تبناها رئيس مجلس الأمن الدنماركى السفير تابور الذى ترأس لسوء حظنا المجلس فى ذلك الشهر .

فقد عقد الرئيس الاجتماع فى نيويورك يوم الاثنين ٥ يونية /حزيران الساعة التاسعة والنصف صباحا ، مع أنه طُلب منه فى مكالمة تليفونية تمت ـ باعترافه ـ بينه وبين السفير محمد عوض القونى سفير مصر فى الساعة الثالثة والنصف عقد اجتماع فى الحال لمجلس الأمن . وفى مطلع أول اجتماع لمجلس الأمن قال : إنه تلقى الشكوى الأولى من سفير إسرائيل الساعة الثالثة وعشر دقائق صباحا ، والشكوى الثانية المقدمة من سفير مصر فى الساعة الثالثة والنصف ، ولهذا تعتبر دول مصر والأردن وسوريا دولا مشكوّة حسب محاضر ووثائق مجلس الأمن ـ بمعنى أن إسرائيل هى التى هوجمت مع أن العكس هو الصحيح .

استمع المجلس إلى كلمة الأمين العام يوثانت ثم إلى بيان قصير ألقاه سفير الهند ، وأدان فيه هجوم القوات الاسرائيلية على قوات الهند المنضمة لقوات الطوارىء الدولية فى المنطقة . وبعد الاستماع إلى البيانين اللذين لم يستغرق إلقاؤهما بضع دقائق وقبل الاستماع إلى بيانى الشاكى والمشكو وبدون مشاورات مسبقة ، اقترح رئيس المجلس ما يلى : « إن خير إجراء يمكن اتخاذه فى المجلس هو الاستماع إلى الفريقين ، وبعد ذلك تأخير الاجتماع لفترة قصيرة من أجل المشاورات الضرورية العاجلة بين الدول الأعضاء فى المجلس حول ما يلزم اتخاذه من إجراء فى هذه الحالة الطارئة » .

وأضاف بسرعة ومطرقة الاجتماع فى يده اليمنى :

« إذا لم يكن هناك معارضة سأعتبر المجلس موافقا على هذه الناحية الاجرائية » .

وبسرعة ضرب بمطرقته على منصة الاجتماع وقال : « تقرر ذلك » .

ولسوء الحظ لم يكن للعرب تمثيل فى مجلس الامن ، بسبب خلافات عربية حول الدولة العربية التى لها أكبر فرصة للفوز بعضوية مجلس الأمن لتلك السنة . فسوريا التى قدمت نفسها مرشحة لعضوية المجلس حاربتها علنا الولايات المتحدة الأمريكية ونافستها الهند ، مع أن الكرسى كان مخصصا للمشرق العربى حسب الاتفاق الودى الذى تم بين الدول ، وفازت الهند بالمقعد العربى . ولعدم وجود دولة عربية ممثلة للمنطقة العربية داخل الغرفة المغلقة المخصصة لمشاورات مجلس الأمن ، لم تكن الوفود العربية ملمّة بالصورة الصحيحة لما يدور هناك . وما دام ما اقترحه الرئيس هو تأخير الاجتماع لفترة قصيرة قد لا تستغرق ربع ساعة أو نصف ساعة ، ولمشاورات سريعة ، لم ير العرب حاجة ليطلبوا من الدول الصديقة معارضة هذا التأخير ، خصوصا وأنهم هم أنفسهم لا يعرفون ماذا يدور فى الميدان العسكرى . واستمع المجلس إلى بيانى الفريقين ثم رفعت الجلسة مؤقتا « الساعة الحادية عشرة والربع صباحا » . غير أن المجلس لم يجتمع خلال فترة قصيرة ولا طويلة ولا للفترة المتعارف عليها بالنسبة لمعنى كلمة RECESS . . واستمرت هذه الدقائق المحدودة حتى الساعة العاشرة والثلث مساء - أى حوالى إحدى عشرة ساعة - عندما ظهر الرئيس أمام الأعضاء فى قاعة مجلس الامن الذى بقى لا هو مؤجلا ولا منعقدا طيلة هذه المدة ، والأعضاء فى مقاعدهم ينتظرون ويتهامسون حول ما يدور خلال هذه المدة الطويلة من معارك . . وقال الرئيس : « اعتذر لأعضاء المجلس لأننى أبقيتهم ينتظرون طيلة النهار » . وأضاف :

« كنت آمل أن يكون التأخير أقل مما كان . على كل حال فالمشاورات ما زالت قائمة . لقد كانت مستمرة طيلة اليوم بدون توقف ، وما زالت تسير كما قلت وستستمر غدا . علمت أن رغبة الأعضاء فى المجلس هى تأجيل الاجتماع الآن حتى الغد الساعة ١١,٣٠ صباحا ، وأطلب من الأعضاء أن يحضروا قبل الموعد المحدد بحوالى ساعة للاجتماع غدا صباحا للمشاورة ، وإذا لم يكن هناك أية معارضة اعتبر أن ذلك قد تقرر » .

وبعد توقف قليل ضرب مطرقته وقال : « تقرر ذلك » . وتأجل الاجتماع الساعة العاشرة و ٢٥ دقيقة مساء ، أى أنه لم يستغرق أكثر من خمس دقائق .

فى الوقت نفسه ، كانت السفينة ليبرتى مشغولة فى إرسال الرسائل حول تطور الحرب لمركزها الرئيسى ، الذى كان يحيل هذه الرسائل بسرعة إلى إدارات الحكومة المختلفة ، وكانت هذه الرسائل تصل فى الوقت نفسه إلى السفير جولدبرج فى مقر الأمم المتحدة .

نقلت تقارير ليبرتى أن القوات الاسرائيلية تتقدم ، وأن جميع الطائرات المصرية ومطاراتها قد دمرت . طبعا كانت إسرائيل بحاجة إلى مزيد من الوقت لانهاء المهمة ، وكان السفير الأمريكى ورئيس مجلس الأمن هناك لتأمين ذلك عن طريق المطالبة « بالتأخير من

أجل المشاورات » . . وهى مشاورات مع المجهول ، لأن تابور قد كشف الحقيقة عندما طلب من أعضاء مجلس الأمن أن يحضروا من أجل المشاورات لا بعد التأجيل مباشرة ، بل قبل ساعة من الموعد المحدد للاجتماع القادم .

وكانت تجرى خلال هذا الوقت مشاورات من نوع آخر ، فقد أكد الجنرال ديان ، أنه **كانت هناك مشاورات على مستويات مختلفة بين المخابرات الاسرائيلية (الموساد) ومثيلتها فى الجانب الأمريكى (سى. آى. ايه) .**

غير أن الاجتماع المقترح عقده الساعة الحادية عشرة والنصف ، لم ينعقد فى الموعد المحدد . وبقى الأعضاء جالسين فى مقاعدهم من الساعة ١١,٣٠ صباحا حتى الساعة السادسة والنصف مساء من اليوم التالى ، عندما افتتح الرئيس الجلسة بدون أن يزعج نفسه ببيان سبب هذا التأخير الطويل ولا الاعتذار لوقوعه ، كما فعل فى اليوم السابق . حدث هذا بينما كان العالم كله يشهد حربا ، ويتطلع لمجلس الأمن لايقافها فورا ، كما هى مقتضيات حفظ الأمن الدولى . .

وبعد هذا التأجيل الطويل الذى جرت خلاله أمور كثيرة قدم مشروع قرار يدعو إلى إيقاف إطلاق النار فورا ، وإيقاف كل العمليات العسكرية فى المنطقة وأُقر بالاجماع . **وتحدت إسرائيل القرار وتابعت الحرب لتحقيق المزيد من التوسع . واستمرت سفينة التجسس ليبرتى تقدم المعلومات كاملة حول سير العمليات الحربية .** واستمر جولدبرج يتلقى آخر أنباء الانتصارات الاسرائيلية . وفى هذه المرحلة لاحظت إسرائيل أن ليبرتى تقدم معلومات دقيقة عن كل شىء ، وهى لا تريد أن تصل هذه المعلومات لا إلى أمريكا ولا إلى غيرها .

قال بيرسون فى كتابه :

« بدا واضحا للمراقبين فى ليبرتى أن قوة الهجوم الاسرائيلى مستمدة من تفوق أجهزة المخابرات الاسرائيلية . فقد استطاع الاسرائيليون حل الشفرة العربية منذ بدء القتال ، وكانوا قد أعدوا وضبطوا أجهزتهم لالتقاط جميع الاتصالات والرسائل المتبادلة بين الدول العربية . وبدت أهمية هذا واضحة عندما أخذت ليبرتى ترصد تبادل معلومات الحرب بين جمال عبد الناصر والملك حسين حول الاستراتيجية ومدى تقدم الحلفاء العرب »

ويقول بيرسون : إن محطة قد وضعت فى سيناء لالتقاط المعلومات وإيقافها ، ثم إعادة كتابتها وتركيبها وارسالها بسرعة للعاصمتين العربيتين . ويضرب مثلا على ذلك أن رسالة وجهت « من القاهرة إلى الملك حسين حول الوضع العسكرى السيىء فى سيناء ، وأن الجيش المصرى يواجه ضغطا كبيرا ، ولا يستطيع أن يعطيه الدعم التكتيكى المناسب للمحافظة على موقعه فى الضفة الغربية » .

« وقالت الرسالة للملك حسين إن لدى الاسرائيليين تفوقا جويا كاملا وعليه أن يتوقع

ضربات جوية ثقيلة ضد قواته البرية ولا أمل للجيوش العربية بتقديم أى دعم لمساعدة الأردن . أوقف الاسرائيليون هذه الرسائل وأعادوا صياغتها لتشويه الحقيقة وإيهام الملك حسين أن ثلاثة أرباع الطيران الاسرائيلى قد تحطم فوق القاهرة ، وأن الثلاثمائة طائرة وزيادة التى يراها الآن على الرادار هى مقاتلات مصرية أرسلت لضرب أهداف فى إسرائيل . بينما كانت هذه فى الواقع مقاتلات إسرائيلية عائدة بعد تحطيم المطارات المصرية » .

ومثل هذه الرسائل المصاغة فى المحطة التى اقيمت بسرعة فى سيناء لتغيير الصورة فى نظر القادة العرب فى اليومين الأولين من الحرب هى التى خلقت الانطباع بأن الحرب تسير لصالح العرب . تحركت ليبرتى كما قال أنتونى بيرسون فى كتابه ، وأخذت قرب فجر ٨ يونية / حزيران موقعا جديدا يبعد ثلاثة عشر ميلا من شاطىء غزة ، ولا تبعد من الناحية الأخرى كثيرا عن مدينة العريش .

زعم الاسرائيليون أن السفينة كانت ضحية هويتها المجهولة . وهذا كذب ، لأن ضابط البحرية ستيفانتوس قد ذكر فى تقريره أن مدى الرؤية والنور كانا جيدين جدا لدرجة أنه استطاع أن يرى شاطىء سيناء وجميع التفاصيل الأخرى ، وأنه استطاع أيضا أن يرى مأذنة الجامع فى العريش بسيناء ، وسجل فى جهاز تقدم السفينة وقياس سرعتها « أن اليوم كان ساكنا والبحر هادئا والسماء صافية » .

وأضاف بيرسون : إنه عندما رأى آرمسترونج وهو من « البحرية الأمريكية » المقاتلات الاسرائيلية قادمة بسرعة وعلى ارتفاع منخفض ، قال :

« يا إلهى .. يبدو أن هؤلاء القوم متعمدون عمل شىء » . وبعدها بدأت بطاريات المدفعية الصاروخية تصيب السفينة ، وأخذت هذه الصواريخ تحرك السفينة وتدحرجها وكأنها زورق صغير . رأى آرمسترونج ثلاث مقاتلات فى شكل مثلث مستعدة للهجوم وقال :

« يا إلهى .. إنها مقاتلات الميراج .. أليس بإمكانها رؤية علمنا ؟ » .

وبعد دقائق كان آرمسترونج ضمن الضحايا لسوء حظه .

أضاف بيرسون :

« أخذت مقاتلات الميراج تستعد لدورة أخرى . كان ظهر السفينة مغطى بجثث القتلى والجرحى بعضها متحرك وبعضها ساكن . كان من جرحوا من الرجال يزحفون ويبكون والدماء تنزف من أجسامهم ، تمزقت أجسامهم ، وتمزق ظهر السفينة بالمدفعية والصواريخ ، وأخذ الدخان الأسود الكثيف يصعد من الباخرة إلى السماء .

« وعادت مقاتلات الميراج ثانية تواصل معركة الفتك بتشكيلاتها الحربية المثلثة .

وأغرقت أصوات المدافع صياح الجرحى . كان الرصاص قد مزق أجسامهم على ظهر السفينة التى ضربت فى مقدمتها وفى خلفها . وقطعت الصواريخ القتلى والذين كانوا يحتضرون والذين أرهبتهم أصوات المدافع فأخذوا يركضون بلا وعى . كانت النار مشتعلة على طول السفينة » .

ونتيجة لهذه العملية الدموية ، حطم الطيران الاسرائيلى آلية ليبرتى وجعلها غير قادرة على الحركة ، وأدى إلى مصرع أربعة وثلاثين وجرح مائة وواحد وسبعين من رجال البحرية .

فى البداية هاجمت وسائل الإعلام الامريكية مرتكبى الجريمة ، وعندما انكشف امرهم بعد قليل وعلم العالم اجمع ان إسرائيل هى المسؤولة عن هذا الهجوم ، خفت الحملة الإعلامية . ووصلت أخبار ليبرتى إلى مجلس الأمن الدولى . وأثرت بدورى الموضوع وتساءلت لماذا يؤخذ هذا الأمر بهذه السهولة ويعالج بهذا التهاون ؟ قلت ذلك لأن أبا ايبان وآرثر جولدبرج ـ الأول وزير خارجية اسرائيل ، والثانى سفير الولايات المتحدة فى الأمم المتحدة ـ قد ألقيا بيانات هادئة . أراد مندوب إسرائيل من مجلس الأمن أن يصدق أن الهجوم كان بسبب عدم التحقق من الهوية ، واعتذر للحكومة الأمريكية نيابة عن حكومة إسرائيل ، وقبل جولدبرج الاعتذار وترك الفريقان المسألة هناك . وكان معروفا للجميع أن السفينة كانت تتجسس على العمليات الحربية . وفيما يلى ما قالته مجلة « نيوزويك » فى ذلك الوقت :

« لم تكن ليبرتى سفينة عادية بل سفينة تجسس ، وفى مهمة تجسسية . وكانت تحمل وسائل تمكنها من تحديد مكان الرادار الاسرائيلى والمصرى فى مكان العمليات ، ورصد الرسائل العسكرية المرسلة من القيادة إلى الميدان . ورغم قبول اعتذار إسرائيل ، كان هناك موظفون رفيعو المستوى فى واشنطن يعتقدون أن الاسرائيليين قد عرفوا امكانيات ومقدرة ليبرتى ، ولهذا فهم يعتقدون أن الهجوم لم يكن عفويا » .

وهناك قول بأن شخصا مسؤولا فى القوات المسلحة الاسرائيلية أمر بإغراق السفينة ، لأن لديها ما يثبت أن إسرائيل هى التى بدأت الحرب . والاسرائيليون لا يريدون أن يعلن ذلك قبل تحقيق كل أهداف المعركة .

ثم أن السفير جولدبرج كان على علم بفضل ليبرتى بكل تطور فى الميدان قبل أى من أعضاء مجلس الأمن ، أو من رجال وزارة الخارجية الأمريكية أنفسهم . ولم يشأ السفير الأمريكى فتح موضوع ليبرتى للمناقشة فى مجلس الأمن . ولهذا لم يناقش الموضوع بجدية فى المجلس . فقد اعتذر أبا ايبان ، وقبل جولدبرج اعتذاره وتوقف الحديث . وجرت مناقشة مفصلة فى الكونجرس الأمريكى وتحرك لايقاف المساعدات لاسرائيل ، لكن سرعان ما توقف ذلك أيضا . لماذا ؟ يقول المستر ايفلان فى كتابه « رويز أوف ساند » : إن البيت الأبيض ووزارة الخارجية أحاطا الموضوع بسرية متناهية تحت غطاء « الأمن الوطنى » . أما سبب

ذلك ـ كما يقول ايفلان ـ فهو أن موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى اعلن موقف حكومته بصراحة عندما قال : « إذا كانت الولايات المتحدة لا ترغب فى ان يعلم الروس والعرب بوجود **عمليات مشتركة بين المخابرات الأمريكية (سى . آى . ايه) والمخابرات الاسرائيلية (الموساد) فى الشرق الأوسط** وأن يعرفوا عن مباحثات « انجلتون » قبل بدء حرب ١٩٦٧ ، فلابد من إسقاط الموضوعين ، وهما موضوع السفينة الأمريكية « ليبرتى » ، وموضوع كيف نشأت فكرة الحرب ، من أى حديث » .

هذا ما انهى احتجاجات الولايات المتحدة . ولم تعد ليبرتى تناقش لا فى مجلس الأمن ولا فى الكونجرس الأمريكى .

والمعروف أن موشى ديان قد عين وزيرا للدفاع بتاريخ ١ يونية/حزيران ١٩٦٧ ، أى قبل أربعة أيام من بدء إسرائيل الحرب وهجوم المقاتلات الاسرائيلية على مطارات مصر وسوريا والأردن مدمرة ما يزيد على أربعمائة مقاتلة على الأرض ، ومحققة بذلك تفوقا جويا سهل احتلال سيناء والضفة الغربية وقطاع غزة ومرتفعات الجولان .

ويقول ايفلان : إنه فى رسالة التقطتها السفينة ليبرتى تبين « أن إسرائيل ما كانت تنوى مطلقا حصر هجومها فى مصر » . وأن التقاطها للرسائل وتغيير معناها جعل لدى ليبرتى بيانات تجرّم إسرائيل ، الأمر الذى حمل ديان نفسه على إعطاء الأمر للمقاتلات الاسرائيلية لتحطيم وإغراق السفينة فى الحال .

وفى اجتماع ـ حضرته ـ عقد بين وزير خارجية الأردن والسفير الأمريكى آرثر جولدبرج ، ذكر السفير أن الولايات المتحدة نصحت الأردن بعدم دخول الحرب . وهذا هو نصف الحقيقة ، لأن الولايات المتحدة لم تعط لا الاردن ولا اية دولة عربية الصورة الصحيحة عن كل ما كان يدور فى المنطقة . **وما ورد اعلاه يثبت ان هذه الحرب هى نتيجة تخطيط مشترك اعدته اجهزة المخابرات فى الدولتين** . كان ينظر لهذه الحرب على أنها الكفيلة بإضعاف القيادة العربية ، وإبعاد امكانية العمل العربى المشترك الناجح ، وخلق منطقة عربية يتسلل إليها مشروع ايزنهاور الذى رفضه العرب عام ١٩٥٧ ، والذى أخذ اليوم يشق طريقه إلى المنطقة بسهولة ويسر . وهذا التخطيط هوالذى تريده إسرائيل اليوم . وهو الذى جعلها الشريك الاستراتيجى لأمريكا . فهى تريد أن يصبح الاثنان أسياد المنطقة ، وتكون إسرائيل بمثابة كلب الحراسة لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية فيها .

وكان هذا واضحا جدا بعد الاجتياح الاسرائيلى للبنان عام ١٩٨٢ ، عندما تخلفت الولايات المتحدة عن القيام بالدور اللازم لايقاف الحرب وتأمين الانسحاب خدمة لدولة صديقة هى لبنان . وتصريحات أمريكا واسرائيل بعد ذلك لا تترك مجالا للشك عن وجود علاقة متميزة ترقى إلى درجة الشريك الاستراتيجى للولايات المتحدة الأمريكية .

وفى ٢٩ نوفمبر/تشرين الثانى ١٩٨٣ (وهو بالمناسبة يوم تقسيم فلسطين الذى

تحتفل به إسرائيل وتذكر بالشكر والتقدير دور الرئيس ترومان فى خلق الدولة اليهودية) ، أعلنت أمريكا وإسرائيل عن توقيع اتفاقية جديدة تدعو لانشاء لجنة سياسية عسكرية مشتركة لمناقشة التخطيط العسكرى المشترك ومناورات جوية وبحرية مشتركة وتخزين أسلحة لأمريكا فى إسرائيل وكميات من الأدوية ومواد أخرى . وكلنا نذكر كيف أقامت أمريكا جسرا جويا لنقل الأسلحة لانقاذ إسرائيل فى أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣ وتخزين الأسلحة لتلافى وقوع إسرائيل فى مثل ورطة ١٩٧٣ ، ولهذا ، **فإن هذه الاتفاقية وتخزين الأسلحة ، هما وسيلة لحماية الفتوحات التى قامت بها اسرائيل ، خلافا للمبادىء الأساسية التى يقوم عليها ميثاق الأمم المتحدة بعدم جواز حيازة الأرض بالقوة .**

لقد انتقد الشاذلى القليبى الأمين العام لجامعة الدول العربية هذه الاتفاقية بقوة ، وكذلك فعل معظم أعضاء الأسرة العربية .

والسؤال الذى يرد : **ماذا يراد من هذه الاتفاقية وهذا التعاون ؟ هل المراد تفتيت المنطقة كنوع من « البلقنة » ، وخلق الكثير من النزاعات بينها لتصبح معتمدة كلية على أمريكا ، وتعدو بمثابة محميات تعتمد امنيا عليها** . وهل هذا ما شجع بيريز رئيس وزراء اسرائيل السابق على اقتراح مشروع مارشال جديد اسمه « مشروع بيريز » ، الذى أراد منه إيهام العالم أن لا خلاف سياسى بين إسرائيل والعرب ، وأن ما تحتاجه المنطقة هو الدعم الاقتصادى الذى تشرف عليه إسرائيل ويكون لها فيه حصة الأسد ! .

وفى ٥ ديسمبر/كانون الأول ١٩٨٣ ، قلت للجمعية العامة نيابة عن جامعة الدول العربية : إن الاتفاقية الاستراتيجية الجديدة مع إسرائيل تعكس تغييرا جديا فى السياسة الأمريكية نحو الشرق الأوسط ، لأنها تضمن الدعم غير المحدود لاسرائيل من أمريكا فى جميع أعمالها العدوانية ضد العرب ، وهذا ما سيفقد أمريكا مصداقيتها .

هذه التطورات تستدعى إعادة النظر فى الموقف العربى . وهذه الاتفاقية خلقت علاقة خاصة بين أمريكا وإسرائيل تضمنت تمييزا بين العرب وإسرائيل . فقد أهانت الدول العربية ، وخلقت مرارة لدى الأمة العربية . وهى ايضا تغذى مخططات إسرائيل التوسعية وتعكس حماية أمريكا لفتوحات إسرائيل خلافا لمبدأ عدم جواز أخذ الأرض بالقوة .

فى ٢٠ ديسمبر/كانون الأول ١٩٨٣ كنت فى لوس انجلوس ، عندما أعلن أن الرئيس ريجان سيعقد مؤتمرا صحفيا عن الشرق الأوسط . ألغيت جميع التزاماتى وانتظرت مؤتمر الرئيس الصحفى . وظهر الرئيس سعيدا مبتسما مستعدا للرد على الأسئلة بعد أن وجه كلمة حول الشرق الأوسط .. كان السؤال الأول حول اتفاقية التعاون بين أمريكا وإسرائيل ، رد قائلا :

« لم نعقد أى اتفاق جديد مع إسرائيل . ما تم هو إعادة تأكيد علاقة قائمة . نحن لم نوقع اتفاقية بل أكدنا علاقتنا مع إسرائيل القائمة منذ عام ١٩٤٨ » .

وبعد ساعات قليلة ، أعلن فى واشنطن أن مسؤولين فى وزارة الدفاع اكدوا أن الجنرال جون فيسى رئيس الأركان المشتركة سيزور إسرائيل فى الشهر القادم (يناير/كانون الثانى ٨٤) لبدء المناقشات حول تفاصيل الاتفاقية الأمريكية الاسرائيلية الجديدة حول التعاون الاستراتيجى .

وهكذا خلال ساعات قليلة سمعنا بيانين متناقضين . يقول الرئيس إنه لم توقع إتفاقية جديدة حول التعاون الاستراتيجى ، وتقول وزارة الدفاع بعد قليل إن كبير رجال العسكرية الأمريكية سيزور إسرائيل لإعداد خطة لتنفيذ الاتفاقية ، وعلى الخصوص تشكيل اللجنة الاسرائيلية الأمريكية المشتركة للعمل فى التخطيط السياسى والعسكرى فى المنطقة ، والتدابير التفصيلية لتخزين معدات عسكرية وطبية فى إسرائيل .

وتوضح جميع البيانات الرسمية الصادرة بعد ذلك والممارسات التى تبعتها ، أن هناك اتفاقية تمت بين الرئيس ريجان ورئيس وزراء إسرائيل اسحاق شامير ، قائد عصابة شتيرن الارهابية السابق . وقد أشير لهذه الاتفاقية فى البيان الصادر من البيت الأبيض بعد سفر شامير من واشنطن . ويبدو أن التناقضات فى الكلام التى سبقت كل هذا قد قصد منها تشويه الحقائق بالنسبة للدول العربية والرأى العام الأمريكى .

وقد خلق هذا الموقف الأمريكى ورطة للدول العربية التى حاولت إقناع شعوبها بأن هناك تطورا فى العلاقات العربية الأمريكية ، وأن الولايات المتحدة الأمريكية مصممة على تحقيق السلام العادل فى المنطقة . ولفترة زمنية بدأت الأمور تسير نحو الاعتدال حتى بين منظمات المقاومة ، ولكن سرعان ما تبين أن كل ما حدث هو مجرد سراب . والآن كيف تستطيع أى حكومة عربية أن تقول نفس القصة لشعبها ؟ ! كيف يمكن لهم أن يتوقعوا أن تتبع حكومة الولايات المتحدة الأمريكية خطوات الرؤساء واشنطن ولنكولن وجفرسون وايزنهاور ؟ ! وحقيقة كيف يستطيع رجل كياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، أن يستمر فى قيادة شعبه فى اتجاه الدعم الكامل لروح الاعتدال التى تبنتها بعض الدول العربية ، عندما تكون الوعود من قبل الادارات الأمريكية المتتالية ، لا تتعدى المخدر للرأى العام العربى ؟ ! .

لقد شهدت الدول العربية الآن التجاهل الكامل من جانب الولايات المتحدة واسرائيل لقرارات الأمم المتحدة وللالتزامات الأمريكية المسبقة والوعود التى أعطيت لقادة عرب كثيرين . كل هذا التجاهل لقرارات الأمم المتحدة ولوعود والتزامات أمريكية ، امر يدعو إلى الكثير من التامل .

إن جميع المحاولات التى قام بها العرب لتحسين العلاقات العربية الأمريكية على أمل اقناع الولايات المتحدة بالعمل لتحقيق تسوية عادلة للشرق الأوسط ، ثبت أنها غير ذات فائدة ، وثبت أن السياسة العربية لم تنجح ، **لأن ما تريده امريكا وإسرائيل هو تفتيت**

المنطقة وتغذية الفتنة والمزيد من الخلافات التى تؤدى إلى خلق المزيد من الدول الصغيرة ، وهو نوع من « البلقنة » ولا تدرك أمريكا أنه لا هذا ولا السلام المفروض بالقوة سيبعث الاستقرار فى المنطقة . هذه هى السياسة التى كانت وراء دعم إسرائيل للقوى الطائفية فى لبنان قبل وبعد حرب ١٩٨٢ ، وكلنا يعرف إلى أين أدت هذه بآمال إسرائيل ومصالح أمريكا فى لبنان .

□ □ □

الفصل السادس

ألاعيب ديان ومقتل روبرت كيندى

« إن الإسرائيليين يعرفون جيدا متى يبدأون ، لكن لسوء طالعهم لا يعرفون متى يتوقفون . كان هذا سبب مأساتهم عبر التاريخ » .

د . رالف بانش

وسيط الأمم المتحدة ٤٨ ـ ١٩٤٩
وفيما بعد الأمين العام المساعد للشئون السياسية

الجنرال الصهيونى ديان الذى مات عام ١٩٨٢ له تاريخ طويل فى خدمة مخططات الصهيونية ، فقد لجأ إلى أنواع الحيل للاستيلاء على أراضى الفلسطينيين وتشريد الكثيرين منهم . والمعروف عنه أنه لم يكن يتردد فى الإدلاء بتصريحات متناقضة قبل وبعد كل حرب . ويذكر المزارعون الطرق الملتوية التى استعملها لحرمانهم من أراضيهم .

فى مطلع عام ١٩٤٩ ، كان ديان ومساعدوه يحضرون اجتماع لجنة الهدنة المشتركة مع الأردن ، وكانت هذه هى الاجتماعات الأولى لتطبيق الهدنة . تقدم ديان بما يبدو وكأنه عرض كريم . قال لرئيس الوفد الأردنى المشارك فى الاجتماع : لم لا نُدخل قرية برطعة ضمن الجانب الأردنى من خط الهدنة . وأضاف : دعنا نتفق على ضم قرية برطعة إلى المنطقة المخصصة للأردن بموجب اتفاقية الهدنة .

وكان يجلس قريبا من وفد الأردن مزارع من سكان القرية ، فقفز فجأة وهمس فى أذن رئيس وفد الأردن :

« ديان يريد أن يعطيك القرية بأهلها ليتسنى له إبعاد السكان عن أراضيهم ويحتفظ بالأرض لإسرائيل . أرجوك أن لا تقبل هذا لنبقى على الجانب المحتل كى نحتفظ بأراضينا . طبعا من الصعب علينا أن نفصل عن شعبنا وأهلنا ، لكنها مأساة أكبر أن نفقد أراضينا ليأخذها موشى ديان » .

ورفض الجانب الأردني ما عرضه ديان . وعرف هذا الأخير أن المزارع الفلسطيني هو الذي نبه إلى مخاطر الاقتراح الإسرائيلي .. والتفت ديان إلى أحد أعوانه وقال بالعبرية : « يجب أن يصفى هذا الفلاح فى الحال » . وسمع هذا الحديث أحد أعضاء الفريق الأردني الذى كان يعرف العبرية ونقل إلى رئيسه ما سمع وعمل على تهريب المزارع إلى إربد . وهكذا بقى سكان برطعة فى قريتهم يتمتعون بأراضيهم وبساتينها ، ما عدا واحد من السكان هو الذى تجرأ وكشف الحقيقة للوفد الأردني . هذا الرجل يعيش الآن فى الكويت . غير أن القضية لم تنته عند هذا الحد ، فقد أعلن الحاكم الإسرائيلي أن تلك المنطقة منطقة عسكرية مقفلة ، وصادر عشرات الآلاف من الفدادين التى تخص سكان قرى بير السكة وجات وباقة وكفر كارى وعرعرة ومعاوية وغيرها ، وبنيت مستعمرات كثيرة على هذه الأراضى ، ولم يستطع الفلسطينيون استعادة مزارعهم التى هى مصدر دخلهم الوحيد .

واستطاع ديان بإجراءات مماثلة الاستيلاء على أراضى قرى كثيرة فى قطاع غزة ، **واليوم اصبح سكان هذه القرى بعد ان فقدوا اراضيهم لا هم لاجئون ولا هم غير لاجئين . لا تعتبرهم وكالة الغوث الدولية « الأونروا » لاجئين لأنهم يعيشون فى بيوتهم ، ومع ذلك فقد فقدوا اراضيهم وهم اصعب حالا من اللاجئين .**

وحيل أخرى كان يلجأ إليها ديان للاستيلاء على الأرض

زارني فى القاهرة فى ديسمبر/ كانون الأول ١٩٧٢ مزارع من فلسطين . وذكر أحد الأساليب الخبيثة التى يتبعها ديان والإسرائيليون لأخذ الأرض .

من أجل إغراء المزارع الذى يرزح تحت أنواع الضرائب وتقييد تسويق منتجاته ووضع العراقيل المختلفة فى طريق تحسين الأرض وتحسين إنتاجها ، كان يعرض عليه العمل فى المصانع الإسرائيلية مقابل أجر يفوق ما يأتيه من الأرض . وتجاه مسؤوليات المعيشة الكثيرة التى تضاعفت بعد الاحتلال ، يتحول الفلاح من الزراعة إلى العمل فى المصانع وهو لا يعرف ما يخبئه الإسرائيليون له من مفاجآت . وبعد ثلاثة سنوات تنفذ السلطات المحتلة أنظمتها التعسفية ، وتستولى على الأرض بزعم أنها « متروكة » من قبل المالك الشرعي . وتقيم مستعمرة عليها . وبعد سنة أو سنتين يستغنى عن العامل فلا يجد مصنعا يعمل فيه ، ولا أرضا يحرثها . بل يجد شركة سياحة تقف أمامه عارضة عليه الهجرة على نفقتها مع بعض نفقات الطريق له ولأفراد أسرته . وإذا ما رفض ذلك ، يجد تسهيلات للعمل فى الخارج ويأخذ إذن خروج صالحا لثلاث سنوات .. وتهدف إسرائيل من وراء ذلك تحقيق هجرته الدائمة عن وطنه المحتل .

هذه هى واحدة من الحيل التى تتبعها سلطات الاحتلال للاستيلاء على الأرض ، وهى

من أفكار موشى ديان الذى يريد الأرض بأى ثمن ، وأية وسيلة ، وأية حيلة مهما كانت خبيثة أو تعسفية .

وبينما تجرى هذه الأمور المخالفة للمبادىء الأساسية لحقوق الإنسان ، نسمع إسرائيل تؤكد دائما للمجتمع الدولى أنها تقوم بمسؤولياتها كاملة من أجل حماية ورعاية وتوفير الراحة لسكان الأراضى المحتلة . مع أن هذه التأكيدات ما هى إلا غطاء أو دخان لإخفاء تحديات إسرائيل المتكررة لإلتزاماتها الدولية وقرارات الأمم المتحدة . **والتزامات إسرائيل تجاه أهالى الضفة الغربية والقطاع والجولان هى التزامات إلزامية بعد توقيعها على مواثيق جنيف** . فالمادة ٣١ منها لا تجيز اللجوء للضغط والإكراه للحصول على معلومات . والمادة ٥٢ تمنع الأعمال الوحشية التى يتعرض لها السكان . والمادة ٣٣ تمنع محاكمة الفرد على جريمة لم يرتكبها وتمنع النهب والسلب .

فكيف أوفت إسرائيل بهذه الالتزامات ؟

وكيف أرادت التخلص منها بحيل تظنها قانونية وهى خلاف ذلك ؟

فى عام ١٩٧٧ أصدر وزير الداخلية الإسرائيلى أمرا إداريا أطلق بموجبه على الضفة الغربية اسم « يهودا » و « السامرة » .. وأنها لذلك لم تعد « منطقة عدو » . وبهذا الإجراء البسيط الذى لا يتعدى الأمر الإدارى ، ضم وزير الداخلية الضفة الغربية واعتبرها منطقة إسرائيلية هى يهودا والسامرة ، وقال إن إسرائيل لم تعد ملزمة بالتزامات مواثيق جنيف . تجنبت إسرائيل عمليات الضم بقانون ـ كما حدث بالنسبة للقدس ـ وتركت للممارسة الفعلية ولهذا الأمر الإدارى تحقيق المطلوب .

إن مخالفات إسرائيل لمواثيق جنيف كثيرة ويومية ، منها أوامر الاعتقال والسجن بدون تهم ولا محاكم وتحديد حرية التحرك وفرض العقوبات الجماعية ، كنسف المنازل وفرض منع التجول وعرقلة أعمال الصليب الأحمر وطرد السكان . وهناك عمليات خبيثة تجرى باسم « الأمن العسكرى » . وما تدمير قرى يالو وبيت نوبا وعمواس وطرد سكانها التعسفى بعد حرب ١٩٦٧ ليصبحوا بعيدين عن أراضيهم التى صادرتها قوات الاحتلال ، إلا دليلا على هذه الجرائم الوحشية التى ترتكبها سلطات الاحتلال خلافا لمواثيق جنيف . لقد أثرت هذا الموضوع بالذات فى مجلس الأمن ، لكن المجلس لم يعمل على إعادة سكان القرى إلى قراهم وأراضيهم ، ولا اتخذ إجراءات فعالة ضد إسرائيل من أجل الكف عن إقامة المستوطنات على أراضى الغير . **مثل هذا التقاعس فى مجلس الأمن ، وتوقف الشكاوى العربية ضد هذه الإجراءات ، شجع إسرائيل على ارتكاب المزيد من مثل هذه الجرائم** .. إذ لا يوجد حد لمطامع إسرائيل وأهداف الحركة الصهيونية .

حاولت إسرائيل بكل الطرق إحباط مساعى مجلس الأمن لوضع حد لهذه العمليات التعسفية . لقد اتصلت بحكومتى بعد اتخاذ مجلس الأمن قراره ٢٣٧ بتاريخ ١٤ يونية /

حزيران ١٩٦٧ حول عودة من طرد أثناء حرب ١٩٦٧ ، واقترحت عليها أن تعد جميع اللاجئين للتجمع نحو الجسر فى الأردن لدخول الضفة الغربية والعودة إلى بيوتهم عملا بقرار مجلس الأمن ، وأن يتقدم هؤلاء رجال الدين من جميع الطوائف ووسائل الإعلام العالمية من راديو وتليفزيون ووكالات أنباء وصحافة . لم تصل البرقية لحكومتى . لماذا ؟ وكيف أن معظم برقياتى التى أرسلتها فى أثناء الحرب لم تصل ، وإذا وصل بعضها وصل متأخرا ؟ إن الإجراء الذى اقترحته على حكومتى بالنسبة للقرار ٢٣٧ كان لو نفذ سيكشف إسرائيل أمام الرأى العام العالمى ، لأنها كما قال ديان لن تقدم على تنفيذ القرار ، خصوصا وأنها هى التى ارتكبت الجرائم التى أدت إلى طرد السكان .

فى عام ١٩٦٧ ، قال لى رالف بانش بعد جلسة صاخبة فى مجلس الأمن دارت فيها مناقشة حول توسعات إسرائيل التى لا تعرف الحدود :

« أنتم العرب لا تعرفون كيف تبدأون العمل ، لكن إذا بدأتم تعرفون أين تتوقفون . أما الإسرائيليون فهم يعرفون جيدا متى يبدأون ، لكن لسوء طالعهم لا يعرفون متى يتوقفون .. كان هذا سبب مأساتهم عبر التاريخ » .

عمل رالف بانش كوسيط بين العرب واليهود . ولديه خبرة واسعة ومعرفة بشهوة إسرائيل للقوة والتوسع التى لا تعرف الحدود . وكثيرا ما حدثنى عن قرار الصهيونية الذى التزمت بموجبه بعدم التعدى على أملاك وحقوق شعب فلسطين ، وأنها لن تجحف بذرة من الحقوق المدنية والدينية للشعب الفلسطينى . وهذه هى الحقوق التى وردت كشرط أساسى فى وعد بلفور .

واليوم ماذا جرى لهذه الالتزامات ، ولماذا تشرد الشعب الفلسطينى ، لماذا تقول السياسة الصهيونية المتطرفة « لا » لحق العودة ، و « لا » للحقوق المدنية والدينية لشعب فلسطين . هذه التصرفات هى التى جعلت الأراضى المقدسة ساحة عنف وسفك دماء ومقاومة .

إن تصرفات إسرائيل اليوم تناقض التأكيدات التى أعطيت فى الثلاثينات من قبل الدكتور حاييم وايزمان . ففى الجريدة الرسمية لحكومة الانتداب بتاريخ ٢٤ أكتوبر/تشرين الأول ١٩٣٠ بيان عن سياسة الحكومة البريطانية فى فلسطين ، أوضحت فيه بريطانيا سياستها بالتفصيل .. وأكدت أن فى نيتها تنفيذ سياستها حسب الانتداب ، وأنها تود أن تنمى مصالح الجنسين (فى فلسطين) كى يعيشا فى سلام ، وفى هذا ستكون الإدارة البريطانية محايدة وتقدمية . وفى هذا البيان أشارت الحكومة إلى قرار وافقت عليه اللجنة التنفيذية فى الحركة الصهيونية وأكدت فيه لبريطانيا أن نشاطاتها لن تخرج عن سياسة حكومة الانتداب .. وتضمنت رسالة نص القرار الذى بعث به الدكتور وايزمان يقول :

« إن المنظمة الصهيونية كانت فى جميع الأوقات ترغب بإخلاص أن تسير بتفاهم وتعاون مع جميع فئات شعب فلسطين ، وقد أظهرت تكرارا بالكلمة والعمل أن أبعد ما يكون عن غرضها الإجحاف بالحقوق المدنية والدينية أو المنافع المادية لغير اليهود من السكان »(*) .

والسؤال الحائر : ماذا جرى لهذه التعهدات والالتزامات ؟ لماذا تشرد الفلسطينيون اليوم ؟ لماذا تركوا محرومين من حقوقهم غير القابلة للتصرف ؟ لماذا يتبنى الإسرائيليون سياسة التطرف ؟ لماذا يقولون « لا » للعودة و « لا » لحقوق شعب فلسطين المدنية والدينية ؟ هل نسوا أنه فى وثيقة رسمية وجهها رئيس الحركة الصهيونية ـ الذى أصبح أول رئيس لإسرائيل ـ إلى حكومة الانتداب قد أعطى تعهدا بأن الحركة الصهيونية لن تجحف بأى درجة بالحقوق المدنية أو الدينية أو المصالح المادية لغير اليهود من سكان فلسطين ؟ **أو هل الجواب هو أن الحركة الصهيونية كانت منذ البداية تستهدف من هذا القرار خداع حكومة الإنتداب البريطانية ، بينما تستمر فى مخططاتها لسلب وطن الشعب الفلسطينى منه.؟** واليوم تلجأ إسرائيل لأنواع من العنف والتعسف لإقامة المستوطنات ولتحقيق أهدافها . والأمثلة التى ذكرتها فى هذا الكتاب تبرز مدى العنف فى الأراضى المقدسة .

مقتل روبرت كيندى

من الطبيعى أن العنف يولد العنف . وقادة الدول الكبرى عليهم مسؤوليات خاصة لحفظ الأمن والسلم الدوليين . ويمكن أن يكون هؤلاء أنفسهم هدفا للعنف .

كان مجلس الأمن مجتمعا بتاريخ ٤ يونية / حزيران ١٩٦٨ يناقش أمرا من أمور القضية الفلسطينية ، عندما تلقينا جميعا تقريرا باغتيال السناتور روبرت كيندى فى كاليفورنيا .

واعتقل شاب فلسطينى يدعى سرحان بشارة سرحان يحمل جواز سفر أردنيا واتهم بإرتكاب الجريمة ، وفى الحال جاءنى السفير الأمريكى آرثر جولدبرج وقال :

« تعلم إنك كسفير للأردن فى حاجة إلى حماية فى هذه الظروف الدقيقة . وكذلك سفير الجمهورية العربية المتحدة (مصر) . أود الاتصال بالجهات المختصة لتأمين الحماية اللازمة لك وللسفير القونى . وأريد قبل ذلك معرفة ما إذا كان لديك أو لدى السفير القونى أى اعتراض » .

(*) انظر الجريدة الرسمية لحكومة فلسطين بتاريخ ٢٤ اكتوبر/ تشرين الاول ١٩٣٠ ، صفحة ١٠١ .

أجبت بأن الرجل المتهم بالقتل قد اعتقل . وهو إما مواطن أمريكى أو على وشك أن يصبح أمريكى الجنسية ، ولهذا لا أدرى لماذا أنا والقونى اللذان يرى حاجة لحمايتهما . وقلت له : لماذا تسأل هل نوافق على الحماية أم نعارض ؟ .. وأنهيت حديثى مع السفير بقولى :

« أنتم الدولة المضيفة ويترك لكم اتخاذ ما ترونه مناسبا من الإجراء » .

ولدى اتصاله بالأخ السفير المرحوم محمد عوض القونى ، كان رده مماثلا لردى . وذهبت والقونى بعد الجلسة كل إلى بيته .. وكان منزلى لا يبعد عن منزله فى بارك أفنيو إلا خطوات معدودة .

وبعد أقل من ساعة ، أى حوالى الثامنة مساء ، جاء إلى منزلى أحد أفراد البوليس بملابسه الرسمية . وقال إن لديه تعليمات بحمايتى وحماية منزلى ، ويود أن يرى المدخل الرئيسى الأمامى والمدخل الخلفى . مشيت مع رجل البوليس إلى مداخل البيت ونوافذه . جلس معى قليلا ، وكنت أشاهد فى التليفزيون جميع تفاصيل اغتيال كيندى ، وعمليات نقل الجثمان إلى واشنطن من أجل الدفن . ثم انسحب رجل البوليس وتركنى وحدى فى شقتى الكبيرة وجلس فى الصالون بمدخل العمارة .

أخذت وأنا أجلس وحدى أتأمل فى أحوال هذه الدنيا . لماذا العنف ؟ لماذا القتل ؟ لماذا الجشع الإسرائيلى ؟ أليس مقتل كيندى متصلا بما يجرى فى الأراضى المقدسة المحتلة . لماذا يُقدم سرحان الذى جاء من أسرة مسيحية محترمة على هذا العمل ؟ هل استفز بسبب ما كان يسمعه من كيندى فى خطاباته التى لا تخلو من التهكم على العرب أمام مؤتمرات يهودية تعقد لجمع المال لإسرائيل ؟ .

أذكر أنى سمعت روبرت كيندى يتكلم بصوت متحشرج ومبحوح فى مؤتمر صهيونى ، وبدأ حديثه بقوله : « أرجو أن تسامحونى لأن صوتى غير واضح ، فقد احتسيت فنجان قهوة عربية قبل وصولى إلى هنا » .

واستقبل أنصار إسرائيل من الحضور هذا الكلام بحماس وتصفيق . تساءلت وأنا أجلس وحدى فى شقتى : أهذا ما استفز سرحان ؟ أم هى التهجمات الكثيرة على العرب طيلة برنامجه الانتخابى ؟ .

أذكر أننى ذات يوم أشرت فى مجلس الأمن إلى خطب لروبرت كيندى وهجومه العنيف على العرب وتأييده الأعمى الذى لا مبرر له لإسرائيل . وقلت : **« هناك رجل تنقصه الشجاعة لقول الحق وينقصه الوقار ليبقى ساكتا »** .

لقد مات كيندى ، وهو أيضا مجرد ضحية لجريمة أكبر ترتكب فى الأراضى المقدسة .

سرحان الفلسطيني المسيحي المشرد من قبل إسرائيل ، الراحل مهاجرا إلى أمريكا ، لماذا يقدم على مثل هذا العمل ؟ ومن المسؤول الأول عن كل هذا ؟ هذا متروك للقضاء . وما هي نفسيته آنذاك ؟ هذا أيضا متروك لعلماء النفس . لقد أسفنا جميعا في مجلس الأمن لوفاة السناتور وألقينا كلمات التعازي لأسرة الفقيد وللبلد المضيف وللشعب الأمريكي على خسارته الكبيرة .

وفي تلك الليلة ، رغم ما قاله السفير الأمريكي حول ما يهدد حياتي وأخي القوني ، قررت الذهاب ليلا إلى واشنطن لحضور الجنازة . واتصلت قبيل منتصف الليل بأخي وصديقي المرحوم الدكتور انطون النبر نائبي في الأمم المتحدة ، الذي لم يكن مجرد زميل بل صديقا يتميز بالحس القومي وله مكانة خاصة في نفسي لمقدرته وتقائه وإنسانيته التي تفرض احترامه ، سألته إذا كان يهمه مرافقتي لواشنطن لحضور جنازة كيندي .. سكت قليلا ثم قال : « أتظن أن هذا معقول في مثل هذه الظروف » . أجبت : « بكل تأكيد ، ولم لا .. » وأجاب أنطون بدون تردد : « فليكن . أنا معك » .

كانت الجنازة مهيبة . كل شيء محكم الاتقان . لكن المنظر حزين . تأثرت وأنطون لرؤية الأطفال اليتامى والأرملة الشقراء بلباسها الأسود وعائلة كيندي مصطفة إلى جانب الأسرة . وكانت تحضرني في تلك اللحظة مناظر أكثر إيلاما وحزنا .. تلك التي نراها صباح مساء في فلسطين الحزينة .. هذه الحروب المتكررة التي تقع آلامها على شعب فلسطين ، والتي تركت مئات الألوف من الأرامل واليتامى بدون مأوى ولا مورد رزق بعد أن استشهد المعيل وصودرت الأراضي . كل هذا سببه انانية الإسرائيلي وحبه للقوة وغطرستها ، فأصبح حيوانا شرسا لا يشعر ولا يرى ولا يحس . نقلت شعوري إلى أنطون الذي وافقني في هذا الإحساس . وشعر كلانا بأسف لهذا المسكين سرحان بشارة سرحان الذي لم يتعد عمره العشرين . كنا على ثقة أن هذا الفتى لم يكن يعرف ماذا يعمل . هو أيضا ضحية جريمة أكبر .

وعدنا إلى نيويورك في اليوم نفسه ووصلنا حوالي العاشرة ليلا ووجدت رجل البوليس – الأمن – مازال جالسا حيث تركته . كان يغط في النوم عند مغادرتي منزلي في الليلة السابقة ، وكان نائما أيضا عندما عدت ليلا إلى بيتي من واشنطن . لم يرني عندما غادرت البيت ، ولم يرني عندما عدت إليه . وعندما ظهرت في صباح اليوم التالي للذهاب لمكتبي ، ابتسم لي رجل الأمن وقال :

« كنت عاقلا وخيرا فعلت بعدم الخروج من بيتك . يوم أمس كان يوم الجنازة . في مثل هذا اليوم تكون العواطف هائجة وأحسن شيء لرجل مثلك في مثل هذه الظروف هو البقاء في بيته » .

ووجدت رجل أمن آخر بملابسه العادية ينتظر بجانب سيارتي . قال إنه جاء لمرافقتي حيث اذهب . اما في الأمم المتحدة ، فلا تمتد صلاحيته إلى هناك ، فهناك أمن المنظمة

الدولية . قال : « سأبقى بانتظارك حتى تخرج » . وجلس على المقعد الأمامى بالسيارة .
ورتبت الحكومة الأمريكية حماية مماثلة لأخى القونى .

وكنت قد تعودت والسفير القونى السير على القدمين لمدة ساعة أو أكثر كل يوم .
وأخذنا نمارس هذه الرياضة كل يوم ، واثنان من رجال البوليس بملابسهما الرسمية الكحلية
الغامقة ومسدس كل منهما ظاهر على جانب كل منهما بقامتهما الطويلة يمشيان خلفنا .
لا يشكوان التعب أو الملل أو طول المسافة . وفى إحدى المرات سألنى القونى :

« ما فائدة رجلى البوليس اللذين يسيران وراءنا كل يوم ؟ » .

قلت له مبتسما :

« ألا تدرى ؟ إنهما يمشيان خلفنا وكل منهما أشبه بسهم يتحرك وراءنا ويقول لمن
يريد قتلنا : السفير أهوه » .

وفى اليوم التالى طلبنا من البعثة الأمريكية المعتمدة لدى الأمم المتحدة إعفاء رجلى
البوليس من مهمتهما . قلنا إننا لا نشعر بضرورة لهما الآن . وتم سحب الحماية من عندنا ،
وعندها فقط بدأنا نشعر أن حياتنا أصبحت عادية . وفى الواقع شعرنا أننا أصبحنا أكثر أمنا
عندما استطعنا أن نمشى كأى إنسان آخر فى هذه المدينة الكبيرة الصاخبة .

□ □ □

الفصل السابع

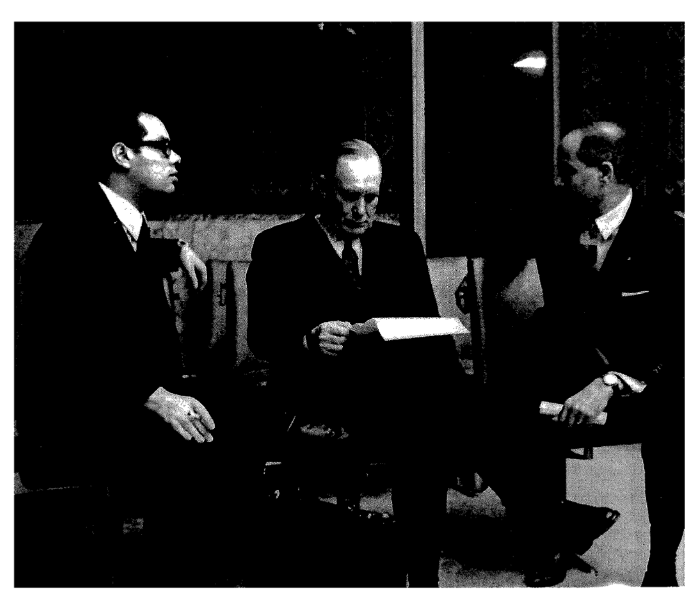
معركة "الكرامة" والدبلوماسية الأمريكية

« إذا ادنا حركات المقاومة ، نكون في الواقع قد ادنا انفسنا بعد ست سنوات من استقلالنا الذى كان نتيجة كفاح ومقاومة ضد الاحتلال الأجنبي » ..

توفيق بو عطوره
سفير الجزائر لدى الأمم المتحدة

تجلى الجندى الأردنى والفدائى الفلسطينى فى معركة « الكرامة » ، فرفعا معنويات العرب فى الأمم المتحدة ورفعا رؤوسهم عاليا بعد هزيمة يونية / حزيران ، التى كان قد مضى عليها بضعة أشهر فقط . وتقبلت التهانى من الزملاء فى مجلس الأمن . الكل مبتهج والكل فرح لأن إسرائيل طغت وتجبرت وازدادت صلفا وغرورا كل يوم . وجاءنى السفير السوفييتى جاكوب مالك مهنئا قائلا لى : « **لقد اثبتم انكم محاربون من الطراز الأول ، فهنيئا لك وللأردن والعرب** » .

فى ٢١ مارس / آذار ١٩٦٨ ، تلقيت التعليمات بتقديم شكوى لمجلس الأمن ضد إسرائيل التى تخطت قواتها منطقة ايقاف إطلاق النار إلى شرق الأردن واجتاحت قرية الكرامة ، وكانت القوات الأردنية والفدائية مازالت تقاوم فى الميدان ببسالة وشجاعة فائقة عند تقديم الشكوى . دخل الجيش الاسرائيلى برا تعززه الطائرات العمودية والمقاتلات الاسرائيلية . هدموا القرية وسرقوا ما استطاعوا الحصول عليه من حاجات ومصاغ النساء وأموال الرجال وقتلوا بدون تمييز كل من صادفهم . **وبعد قليل اخذوا يتلقون الضربات الموجعة من الجيش الأردنى والقوات الفدائية** . واخذت مدفعية الجيش تضرب وراء « الكرامة » منعا لأى مدد إسرائيلى عسكرى . وتجمد الطيران لأن الحرب أخذت تستعمل كل أنواع الأسلحة بما فيها السلاح الأبيض . واشتبك الجيشان ، وتسلل الفدائيون إلى صفوف الاسرائيليين . واستبسل الجميع ، إذ كانوا يتوقعون هذه المعركة ويشتركون فى التخطيط والإعداد لهذا اليوم .



□ قبل اجتماع مجلس الأمن في ٢١ مارس/ آذار ١٩٦٨ لبحث شكوى الأردن ضد إسرائيل ، يجلس من اليسار لليمين ، توفيق بوعطوره مندوب الجزائر الدائم ، لورد كارادون مندوب بريطانيا ، والمؤلف .

والكرامة قرية جديدة بنيت للاجئين الذين طردتهم عصابات الإرجون والهاجانا وشتيرن عام ١٩٤٨ . وكانت القرية عبارة عن مخيم لاجئين زاره ذات يوم الملك عبد الله ، وأطلق عليه اسم قرية « الكرامة » . كانت الاصابات في الجانبين عالية . وبينما كان موشى ديان قد أعلن أنها معركة ساعات ، واحضر معه الصحفيين ورجال الإعلام ليعقد مؤتمرا صحفيا لهم ليعلن النصر والقضاء على قوات « فتح » في تلك القرية ، استمرت المعركة ولم يحقق ديان النصر الذى يريد . وبقى الصحفيون يرون أن ما أكده موشى ديان لم يتحقق ، وأنها معركة طال أمدها . وكانوا يسمعون أصوات المعركة من كل مكان .

وتحرك رئيس مجلس الأمن السنغالى لعقد المجلس ولم يستشر الأعضاء ـ على غير عادته ـ حول الموعد لأن الأمر يدعو للاستعجال . واجتمع مجلس الأمن ، والتقى السفير

الأمريكى بالسفير الاسرائيلى لإعداد الاستراتيجية للمعركة الدبلوماسية . وجاءنى السفير الأمريكى آرثر جولدبرج مقترحا تأجيل الاجتماع إلى أن « تتبلور الصورة » . **وتذكرت ما جرى فى اثناء حرب يونية/حزيران ١٩٦٧ من مناورات ، ورفضت التاجيل تحت أى ظرف** وأبلغت رئيس المجلس موقفى الذى لاقى تفهما وقبولا من جانبه . . ورجوته أن يبقى الاجتماعات مستمرة إلى أن يصدر القرار ، وأن لا يسمح بسماع قضية أخرى إلى أن ننتهى من هذه الشكوى . . ووافق على ذلك . وطلب جولدبرج بعد دقائق باسم وزارة الخارجية الأمريكية التأجيل إلى أن تعرف الوزارة ما الذى يجرى فى الميدان . وسألته الا تعرف أمريكا بكل وسائلها ما يجرى فى الميدان ؟ وبدأت تصل أخبار الانتصار العربى فى « الكرامة » . وبدات أضغط لاصدار قرار سريع يدين إسرائيل . وبدأ جولدبرج يضغط لتأجيل الاجتماع . وهذا إذا تم يوحى للعالم أن القضية لا تهدد الأمن الدولى وأنها انتهت أو كادت ويضعف القرار المطلوب . . ورسمت والممثل العربى فى مجلس الأمن السفير توفيق بو عطوره مندوب الجزائر استراتيجيتنا حول كيفية الحصول على قرار قوى . واتفقنا على أن يقوم هو بالمفاوضة مع الزملاء ومع الأمريكيين حول نص مشروع القرار ، وأن لا أظهر فى الصورة إلا فى حالة تعقد الوضع مع الجانب الأمريكى .

وقبل الاجتماع الثانى للمجلس وصل جولدبرج من واشنطن ، وطلب مقابلتى فى صالة مجلس الأمن . . وقال إنه وصل من واشنطن وكرر نفس طلب التأجيل ، مضيفا أن حكومته تقدر خطورة الموقف وهى قلقة على ما يجرى وسيكون وضعها فى مجلس الأمن قويا جدا لصالح الأردن . شكرت السفير لشعوره وشعور حكومته الطيب وقلت له أرجو أن ينعكس هذا فى خطابه الذى سيلقيه فى مجلس الأمن .

وكانت واشنطن على اتصال فى الوقت نفسه بالحكومة الأردنية ، وسألنى جولدبرج هل اقبل أنا والمجموعة العربية فى الأمم المتحدة أن تتقدم الولايات المتحدة بمشروع قرار قوى يدين إسرائيل « لأننا قلقون بسبب ما يجرى فى المنطقة » ؟ . قلت له : « أنا أعرف موقف حكومتى وأعرف موقف المجموعة العربية هنا ، وأستطيع أن أؤكد لك الآن وهنا وبدون تضييع الوقت فى التشاور أننا جميعا نرحب باقتراح الوزارة الأمريكية فلتتفضل ! » .

قـال : أليس هذا محرجا لك ولكم فى الأردن تجاه الدول العربية وزملائك العرب ؟ .

قلت : العكس هو الصحيح . هذا يظهر أنكم أصدقاء حاضرون عند الحاجة ، ويظهر أنكم قد اتخذتم سياسة متوازنة ، وهو ما نسمعه منكم كثيرا وتعملون عكسه . هذا أيضا سيخدم مصالحكم فى المنطقة . أرجو أن تعمل ذلك . لكن هل يمكن أن يتم ما تعرضه علينا الآن ؟ .

قـال : بكل تأكيد لقد وصلت قبل قليل من واشنطن . وأضاف : قل لى ، هل أنتم فى سبيل تقديم مشروع قراركم خلال الاجتماع القادم ؟ .

قلت : يجرى السفير الجزائرى والدول الآسيوية والافريقية مشاورات حول مشروع القرار . والجزائرى هو المكلف بإجراء المباحثات والاتصالات حول الموضوع وسيكون على اتصال بك اليوم .

وهنا طلب جولدبرج منى تأخير تقديم المشروع واعطائه فرصة للاتصال بوزارة الخارجية حول ما دار بيننا من حديث ، ووافقته على ذلك . كان تأخير تقديم المشروع لا يؤثر من قريب أو بعيد على الموقف ، إذ لابد من الاستماع إلى جميع أعضاء مجلس الأمن قبل التصويت . ولهذا لا ضرر من المضى مع السفير الأمريكى حتى نهاية الطريق لمعرفة حقيقة النوايا الأمريكية . أما تأجيل اجتماعات المجلس ، فهذا ما عارضناه ونعارضه مهما كانت الظروف .

تجاه هذا الموقف الايجابى أبدى جولدبرج فرحه . ومشى معى إلى قاعة مجلس الأمن بابتسامة عريضة ، وقبل افتراقنا كل إلى مقعده همس فى أذنى : أرجو أن لا تقول شيئا فى خطابك ضد أمريكا . انت تعلم أن الرئيس جونسون حساس جدا بالنسبة للرأى العام الأمريكى فى هذا الوقت . أرجو أن لا تقل شيئا يعقد الأمور .

أجبت : كيف أهاجم دولة وعدت بكل تأكيد بالوقوف إلى جانب حقنا ؟ كيف أهاجمها وهى ستضع ثقلها السياسى إلى جانبنا وستأخذ مبادرة فى مجلس الأمن لصالحنا ؟ .

وفى مجلس الأمن القيت كلمتى ولم أتعرض لأمريكا من قريب أو بعيد . وكذلك أوقفت تقديم مشروع القرار الآسيوى الافريقى لأربع وعشرين ساعة .

موقف أمريكا والوعد الأمريكى الذى لم ينفذ

كنت واثقا من خبرتى الماضية أن ما وعد به آرثر جولدبرج لن يتحقق ، وأن ما قدم لى من قبل الخارجية الأمريكية حول مشروع قرار امريكى قد قدم لى كى ارفضه ، وعندها يرفع رفضى إلى وزارة الخارجية الأردنية وأُحمّل مسئولية تعقيد الأمور . وإذا قبلته كما فعلت ، يعطى هذا أمريكا فرصة لتأجيل الاجتماع ، وطبعا هذا لم يحصل ولم يحقق لأمريكا الهدف .

ألقى السفير جولدبرج خطابه . وأصغيت لكل كلمة قالها . حاول بوضوح وصراحة ان يجعل الأردن شريكا فى مسئولية ما وقع . وكان يريد ربط الهجوم الاسرائيلى « بالتسلل والارهاب » من الجانب العربى . لم يدن إسرائيل ولا العمل الاسرائيلى بل استنكر بنعومة جميع ما حصل ، وطبعا لم يعلن ان فى نية حكومته تقديم مشروع قرار أو الأسس التى يقف عليها المشروع .

وبعد انتهاء الاجتماع ، جاءنى جولدبرج وأخذ يظهر أن موقفه فى المجلس كان أقوى

من موقف حكومته . ودعانى إلى المقارنة بين موقفه وبيان حكومته الرسمى . وهنا لم أستطع إلا سؤال جولدبرج : « الا تمثل حكومتك هنا ؟ » لأنه كثيرا ما اتهمنى بأننى اتخذ مواقف غير ما تتضمنها تعليمات حكومتى .

اما بالنسبة لتقديم مشروع قرار أمريكى ، فقد قال جولدبرج إن حكومته أعادت النظر فى موقفها ، وقررت عدم التقدم بمشروع قرار ، وأضاف : « غير ان لدينا بعض الأفكار ونود أن يتبناها بعض الأعضاء » . . وأعطانى ورقة تتضمن هذه الأفكار وبعد قراءتها أعلنت رفضها فى الحال ، وانتهى الاجتماع . ووجدت أن هناك حاجة للرد على ما قيل فى مجلس الأمن وأبرقت للحكومة حول ما يلزم قوله ، وعاد الرد البرقى بالايجاب غير أننى لم اتسلم البرقية ، وحتى هذه اللحظة اتساءل : **لماذا لم تصل البرقية بعد خروجها من عمان ؟** .

فى اليوم التالى تلقيت مكالمة تليفونية من آرثر جولدبرج يقترح لقاءنا قبل بدء اجتماع مجلس الأمن . . والتقينا ، وقال : إنه سعيد لأننى لم أشر إلى الولايات المتحدة فى خطابىّ الأول والثانى ، وأننى اكتفيت بالهجوم العنيف على الأمريكيين الصهيونيين الذين لعبوا دورا « لصالح إسرائيل فى الولايات المتحدة » . وقال : إنه كان لابد من رده على ما قلته وهو يأمل أن أعتبر المسألة قد انتهت عند هذا الحد .

أجبت : إننى لم اتعرض للنقاط التى اثارها فى خطابه انتظارا لتعليمات حكومتى ، وسأقوم اليوم بتصحيح المعلومات . وبالنسبة لدفاعه عن الصهيونية . . فهذا يدفعنى إلى التساؤل **هل هو يمثل الصهيونية ، ام يدافع عن المصالح الأمريكية ؟** .

قال جولدبرج : « الا تعتقد أن نترك المسألة تنام حيث هى » .

قلت : « لا . أنت تتهم الأردن بالتدخل فى شئون أمريكا الداخلية ، سأثبت بعد ظهر اليوم أن قوى الضغط الصهيونية فى الولايات المتحدة الأمريكية هى التى تتدخل فى شئون الأردن الأمنية . وهذا واضح ويتحقق بواسطة جمع الأموال التى تستخدم من قبل اسرائيل للمذابح الشبيهة بمذبحة « الكرامة » التى نعالجها فى مجلس الأمن الآن . وفى هذه الاجتماعات الصهيونية التى تعقد لدعم إسرائيل ، ومنها ما عقد بالأمس ، لم نسمع كلمة واحدة عن « الكرامة » ، بل الذى يتغنى به هؤلاء السياسيون الأمريكيون هو ان إسرائيل هى « دولة ديمقراطية شقيقة » .

وأضفت : « شرفا يا سيادة السفير . . **ان تنعت إسرائيل « بالديمقراطية الشقيقة » فى حفلة اقيمت على بعد امتار من هذا المجلس الذى يناقش قضية مذبحة « الكرامة » ، يبعث الاشمئزاز والخزى** .

« وأباء الولايات المتحدة الذين بنوا الديمقراطية الصحيحة كان عندهم تعريف آخر

« للديمقراطية الشقيقة » . وقد ساهمت انت يا سيادة السفير فى ذلك بدفاعك عن الصهيونية ومجموعات الضغط فى أمريكا ، وانت بكل احترام تساهم الآن عندما تطلب منى أن لا أرد على ما قلته فى هذا الموضوع . لقد سمعت كيف أن سفير اسرائيل قد أخذ الدور الهجومى ، وذهب إلى حد وصفى ، والزملاء الذين لا يقرون جرائم إسرائيل ، أننا « رسل الكراهية والقتل والارهاب » . . لقد اشار إلى المثل العبرى القديم الذى يقول : يقف العالم على ثلاثة أعمدة : « الصدق والعدالة والسلام » ، وأنا اتساءل هل اسرائيل جزء من هذا العالم . . ؟ .

« وبعد هذه الخلفية هل من الخير أن أقبل نصيحتك بترك الموضوع لينام حيث هو ؟ هل يعقل أن اسكت ولا أرد على كل ما سمع المجلس من مغالطات ؟ أم أن الواجب يقتضى ويتطلب الرد على كل ما سمع المجلس من تهم وتشويه للحقيقة ؟ سأرد على كل ما سمعه مجلس الأمن من اختلاقات ، وسوف تسمع ذلك يا سيادة السفير فى جلسة مجلس الأمن بعد ساعات » .

هنا قال جولدبرج : « أرجوك أن لا تقول شيئا يخلق لنا مضاعفات فى الكونجرس الأمريكى . أنت تعلم أن الرئيس ينوى أن يبعث لكم بعض الأسلحة كهبة ! » .

فى هذه المرحلة لم يكن أمامى إلا أن أقول لجولدبرج : « إن لك قناعاتك ولى قناعاتى . وإن المبادىء ليست مدار مساومات خصوصا عندما يكون الأردن هو الضحية . سأقوم بإيضاح موقفنا فى هذه الجلسة القادمة لمجلس الأمن » .

قال جولدبرج : « ترى حكومتى ضرورة وضع فقرة فى القرار تدعو للتقيد بإيقاف اطلاق النار ، وأخرى تؤكد الدعم لبعثة السلام التى يقودها جونار يارينج » .

قلت لجولدبرج بحزم : « إن أى موضوع صياغة يجب أن يبحث مع السفير الجزائرى ، وأقول لك الآن إن أية محاولة لزج اية فكرة لا علاقة لها « بالكرامة » غير مقبولة للاردن . نريد قرارا قصيرا واضحا لا يتعدى زوايا شكوانا الاربع . والسفير الجزائرى على علم بكل هذا ، ولن يقبل إغراق الشكوى فى أمور لا علاقة لها بالموضوع » .

طلب تأجيل اجتماع مجلس الأمن

ومرة أخرى طلب منى جولدبرج تأجيل الاجتماع لأن عطلة الأسبوع تبدأ غدا ، وهو فى حاجة إلى تعليمات . . واعتذرت عن قبول الطلب وقلت :

« كم مرة عُقد مجلس الأمن فى يوم أحد لقضية اقل من هذه أهمية ؟ ولماذا يوجد لدى

السفراء القادمين من آخر الدنيا تعليمات ولا يوجد لديك ؟ أنت الذى تقول لى مرة وأخرى إن لديك خطا مباشرا مع الرئيس جونسون . ولم لا تستعمل هذا الخط الآن ؟ » .

وعندما انتهى اجتماعنا حاول جولدبرج الحصول على دعم الدول الآسيوية والافريقية فى المجلس لفكرة التأجيل ، لكنه لم يجد التجاوب المطلوب . وقام السفير الجزائرى وزملاؤه فى مجلس الأمن بإعداد مشروع القرار ، وأعطى السفير جولدبرج نسخة من القرار ، وأراد إدخال بعض التعديلات عليه لكن أصحاب المشروع لم يقبلوا ذلك . وبعدها طلب جولدبرج مقابلتى لبحث تطور جديد ، والتقينا فى غرفة المشاورات القريبة من مجلس الأمن . وأعلمت رؤساء الوفود العربية بهذا التطور الجديد وتأخر اجتماع المجلس انتظارا لهذا اللقاء ، وانتظر السفراء العرب فى غرفة جلوس ملاصقة لقاعة اجتماعنا . . كان من بين السفراء : السفير محمد عوض القونى ممثل مصر ، والسفير جورج طعمه ممثل سوريا ، والسفير أحمد بن هيمة ممثل المغرب ، والسفير توفيق بو عطوره ممثل الجزائر . ووصل جولدبرج إلى قاعة الاجتماع ومعه ثلاثة مساعدين : جوزيف سيسكو ، ووليام بافام ، وريتشارد بيدرسون . كانت تظهر عليه علامات الإعياء والتعب وقال :

« أنا سعيد لهذا اللقاء ، إن القضية التى نبحثها الآن هى أردنية ، وليست جزائرية ، ومن المفيد أن تبقى المبادرة مع الأردن . وعندما نتفق على شىء ، يمكنك أن تنقله إلى أخوتك وأصدقائك ، أنا لا أقبل للأردن أن يعالج غير سفيره قضيته . هذا شىء سيىء يا سيادة السفير ، لا أعرف لماذا تصر على أن أفاوض الجزائرى والهندى والباكستانى فى قضيتك لا أن اتباحث معك أنت . . أنت لا تريد حتى حضور هذه الاجتماعات غير الرسمية إلا عندما نصل إلى أزمة توقف المباحثات . لا تنس أن الجزائر هى بلد يختلف عنكم كلية ، أنظمتكما مختلفة ، وخط الجزائر السياسى مختلف عن خطكم ويصعب علينا الاتفاق مع الجزائرى . . . » .

أجبت : « يا عزيزى السفير . . إن السفير الجزائرى يمثل المقعد العربى فى مجلس الأمن . لهذا فالجزائر تمثل الأردن . أنا على استعداد لبحث أية مشكلة تنشأ أثناء المباحثات مع السفير الجزائرى ، لكننى ارفض أن أطلب من الجزائرى والهندى والسنغالى والباكستانى أن يوقفوا مساعدة الأردن إلى أن اتفق مع السفير الأمريكى ! هذه دبلوماسية فاشلة وأنت تعرف هذا . أما الخط الجزائرى السياسى المختلف عن خط الأردن فهو لا علاقة له بالموضوع . نحن نسعى لنيل مساعدة الاتحاد السوفييتى أيضا ، وأنت نفسك تتفاوض مع السوفييت فى أمور حيوية كثيرة لأن عليك أن تفعل ذلك . نحن نعرف ما الذى نريده من المجلس . وأؤكد لك أن المندوب الجزائرى يعكس رغبتنا ومصلحتنا ويمثل المقعد العربى فى مجلس الأمن » .

ماذا دار بين سفير الجزائر وسفير أمريكا ؟

وانتهى الاجتماع بعد ظهر يوم الجمعة ٢٢ مارس/آذار ١٩٦٨ . والتقيت بعد ذلك بالسفراء العرب ورئيس مجلس الأمن السنغالى وبسفراء الهند والباكستان وغيرهم من أعضاء مجلس الأمن . كان التنسيق بين السفراء لخدمة الاردن كأحسن ما يكون التنسيق . واجتمع جولدبرج بالسفير الجزائرى تلك الليلة . قال : إنه يلاحظ ضغطا عربيا للتصويت فى مجلس الأمن وهو يريد بعض الوقت . كانت المعركة فى يومها الثانى وتسير لصالحنا . وعاد السفير السوفييتى مالك يقول لى : « اثبتم انكم محاربون واعطيتم ديان درسا » .

وكان اجتماع جولدبرج وبو عطوره لا يبعث على السرور واستعملت فيه كلمات قاسية فى أثناء المقارنة بين المقاومة والارهاب . فقد طالب جولدبرج بما يسميه مشروعا متوازنا يشير بوضوح « لأعمال الارهاب ضد إسرائيل » . وردّ بو عطوره وهو مقطب الوجه قائلا : لا يا سيدى ، إذا أدنّا حركات المقاومة ، نكون فى الواقع قد أدنّا انفسنا بعد ست سنوات من استقلالنا الذى كان نتيجة كفاح ومقاومة ضد الاحتلال الأجنبى . أنت تنعت المقاومة الفلسطينية بأنها إرهاب . هذا ما نعتنا به المحتلون الفرنسيون . هل تريد من رجالنا فى الجزائر بقبولهم اقتراحك أن يُدينوا أنفسهم ؟ إن هذا ينطبق على معظم أعضاء الأمم المتحدة . وسكت توفيق قليلا ، ثم قال : أنت تريد بواسطة القرار الذى يصدر بمجلس الأمن بخصوص شكوى الأردن أن تقاوم وأن تدين جميع حركات التحرير فى أنجولا وفييت نام وموزمبيق وروديسيا وغيرها من بقاع العالم . أعترف أن هذه محاولة ذكية لكننا لن نسمح لك بتحقيقها .

لم يقف أحد فى مجلس الأمن إلى جانب جولدبرج . وكانت موافقة الأردن على الموقف الأمريكى هى التى تخرج الولايات المتحدة من ورطتها وعزلتها . لم يعترف جولدبرج بالفشل واستمر يرجو أن تستطيع واشنطن إقناع عمان بقبول ما يسمى بالمشروع المتوازن ، غير ان الأردن وقف ثابتا ضد اى إشارة للمقاومة الفلسطينية او نعتها بالارهاب . وأصرّ بو عطوره على دفع القرار للتصويت بعد إلقاء كلمتى فى المجلس تلك الليلة لأن المسألة عاجلة جدا ومهمة جدا ، ولابد من قرار يصدر فى تلك الليلة وبدون تأخير .

رفض إدانة المقاومة الفلسطينية

وفى هذا الجو أسرع السفير الأمريكى جولدبرج لمقابلتى وهو فى حالة توتر شديد وتعب وغضب وإحباط ، قال : إن المندوب الجزائرى وأصدقاءك الآخرين فى المجلس يصرون على التصويت الليلة ، وأنا لا أستطيع العمل فى جو الضغط والتهديد . . أنت المتكلم الوحيد الليلة ويود بو عطوره طرح القرار للتصويت بعد الانتهاء من كلمتك . هذا يعنى عدم الخروج بقرار كلية لأن الولايات المتحدة لن تقبل مشروع القرار الحالى . وعدم الخروج بقرار ليس فى صالح

الأردن . وأنت من جهة أخرى ترفض المفاوضة حول مشروع القرار وترفض حتى أن تتم المفاوضة بحضورك ، وهذا يزيد الأمور تعقيدا .

أجبت : أنت تشير إلى أنك تواجه ضغوطا وتهديدات والآن تتحدث عن إنهاء المناقشات بدون قرار من المجلس ، وهذا يعنى استعمالك الفيتو . هل لك أن تعلمنى من يضغط على من ومن يهدد من الآن ؟ أما بالنسبة للمفاوضات ، انا لم أخلق نظاما جديدا . العادة المتبعة أن يعد بعض أعضاء المجلس مشروع قرار وأحيانا بالتشاور مع الشاكى . إننى حاضر للمشورة معك عندما تواجه صعوبات .

وأضفت مؤكدا : لقد أعلنت منذ البداية يا سيادة السفير أنك ترغب بالنيابة عن الولايات المتحدة فى دعم الأردن ، لا بل قلت إن وزارة الخارجية ترغب فى التقدم بمشروع قرار قوى . هل كانت هذه مناورة ؟ هل كانت إحدى تكتيكاتك لتأمين تأجيل المناقشة ؟ لقد انتظرنا وكانت النتيجة أنك لم تف بوعدك حول مشروع القرار ، وقدمت خطابا مخيّبا للآمال . والآن تأتينا مهددا باستعمال الفيتو . نحن نعرف أننا لن نحصل على قرار من مجلس الأمن إلا بموافقتكم ، غير أننا نرفض فكرة التقدم بقرار يدين المقاومة ويدين إسرائيل ، أى يساوى بين المعتدى والضحية . كذلك نرفض إدخال موضوعات لا علاقة لها بالشكوى داخل القرار . . وأنت تعرف معنى هذا . أما التأخير قليلا ، فإذا كان لديك أى جديد فيمكن التأخير لبضع ساعات .

السفير جولدبرج : أؤكد لك أن التأخير هو لمصلحة الأردن وأرجو التأجيل حتى يوم الاثنين .

قلت : هذا مستحيل ومرفوض . . يمكن التأخير حتى صباح الغد السبت .

وهنا وافق ووافقت على التأخير اثنتى عشرة ساعة .

وفى صباح السبت طلب اللورد كارادون اجتماع ثلاثتنا . . واجتمعنا . أعطانى جولدبرج نصا جديدا قرأته ورفضته فى الحال وأعدت له الورقة التى سلمها لى . غضب كثيرا لأننى رفضت الاحتفاظ بالنص . وكان رفض الاحتفاظ به لعلمى أننى لو احتفظت به لذهب لأعضاء مجلس الأمن ، وقال إننا نتفاوض على مشروع جديد . . وهذا يضعف موقفنا وموقف أصدقائنا . قال كارادون إنه يتفهَّم موقفى . وانتهى الاجتماع بعد دقيقتين فقط . وأعلمت جميع أعضاء مجلس الأمن بنتيجة الاجتماع ، وأن المشروع الآسيوى الافريقى هو الوحيد المطروح على مجلس الأمن ولا مشروع غيره مدار بحث .

وفى صباح ذات اليوم ، جرت محاولة جديدة للتأجيل حتى الاثنين وفشلت المحاولة . وقلت لكل من اتصل بى إننى أرفض وضع شكوى الأردن فى الثلاجة ، بينما أهلنا يقتلون فى

كل دقيقة بعد أن دمّرت قريتهم وأصبحت ركاما . وتجاه هذا الضغط ، تقدم سفير الهند بتعديل توفيقى قال إنه مقبول من السفير الأمريكى .

والتعديل يستنكر جميع مسائل العنف التى تخالف قرار إيقاف إطلاق النار ، ويعلن أن أى عمل عسكرى انتقامى لا يمكن قبوله وسينظر المجلس فى حالة تكراره فى اتخاذ إجراءات فعالة حسب الميثاق لضمان عدم التكرار .

بعثت التعديل لعمان وجاءتنى الموافقة عليه واتصلت بالسفير الهندى وبالسفير الأمريكى . وفاجأنى السفير الأمريكى بقوله : إنه لم يقبل هذا التعديل المقدم من الهند ، وأن القبول الذى نقل للهند كان قبوله الشخصى ، أما الوزارة فلم تحدد موقفها بعد ، وأنه سيبلغنى موقف الحكومة خلال عشر دقائق . وبعد دقائق جاءنى بيدرسون ، أحد زملاء جولدبرج فى البعثة ، وطلب مقارنة النص بالذى يحمله ، وقدم لى نصا غير الذى أخذته من سفير الهند . قلت : إن النص الذى أبرقت به لعمان هو النص الهندى . وسفير الهند أمين وصادق ونزيه . وهذا النص هو الذى قبلته الوزارة فى عمان .

واتصل بى جولدبرج بعد دقائق محاولا إدخال بعض التعديلات . . قلت له : إننى لست فى وضع لقبول أى تغيير فى النص الجديد الذى قبلته حكومتى .

وقبل اجتماع المجلس الأخير حول « الكرامة » اتصل بى جولدبرج لبحث تطور جديد ، واقترح مكتبه مكانا للاجتماع واقترحت صالون مجلس الأمن لأن لدىّ ارتباطات أخرى هناك . وقمت بإعلام رئيس المجلس أن هناك محاولة أخيرة للتوفيق ورجوناه تأخير الاجتماع لبضع دقائق .

اجتمعت وجولدبرج للمرة التاسعة والأخيرة حول هذا الموضوع . كان أكثر إجهادا من أى مرة مضت . أعرب عن أسفه لسوء التفاهم الذى وقع مع بيدرسون ، وقال : إنه أحضر معه جميع البرقيات والنصوص . وأضاف : إن السفير الأمريكى فى عمان قد أعلمهم أن وزير خارجية الأردن قد قبل النص الهندى كما نقله السفير الأمريكى فى عمان لا النص الذى أرسلته أنا . قلت له :

« سفيركم فى عمان يستطيع أن يكتب لكم ما يزيد ، أنا لا آخذ تعليماتى منه . معلوماتى الدقيقة تقول إن حكومتى قبلت النص الذى أرسلته أنا لهم ، وهو النص الهندى الذى قيل أنكم قبلتموه » .

تكتيكات جولدبرج والاجتماع الحـــازم

تبنى جولدبرج تكتيكات مختلفة . تارة كان موقفه متطرفا ومتعصبا وقاسيا ، وتارة أخرى متواضعا ولينا وناعما . لكنه لم ينجح فى إقناعى وتحقيق ما يريد . أصر هو وزملاؤه على أن عمان قبلت هذا النص وقبلت ذاك . وكنت أصر أننى أنا الذى يتكلم باسم عمان ، والذى يعرف ما قبلت وما لم تقبل .

وأخيرا التفت جولدبرج لى وقال : إذا كان هذا هو موقفك ، معنى ذلك أنك لا تريد قرارا من مجلس الأمن . قلت : سأقول لمجلس الأمن ما أريد وماذا تريد أنت . . سأكشف كل ما قامت به دولة كبرى من تكتيكات . سأترك الأمر لمجلس الأمن وللعالم أجمع ليقرر من المسئول عن إخفاق مجلس الأمن . ودعنى أؤكد الآن اننى اقول لا للمشروع الذى تريد تحقيقه . إنه غير مقبول لى لأنه غير مقبول لحكومتى وساقاومه بكل قوة .

وفى هذه اللحظة قال جولدبرج : دعنا نقارن النص من جديد . وبعد حديث طويل ومحاولات كثيرة لادخال تعديل على التعديل الهندى ، قبل السفير النص الهندى الذى أرسلته أنا لعمان ، والذى كان يرفضه كل الوقت . سألنى ما إذا كان كل شىء على ما يرام بعد هذا القبول ؟ .

قلت : لا . . لا . . هذا لا يكفى وليس كل شىء . علينا الآن أن نعود لديباجة القرار ونعيد كتابتها على ضوء التعديل الهندى الجديد . . لابد من إضافة شىء فى الديباجة .

هنا فقد جولدبرج أعصابه وقال : هذا كلام بعيد عن الجدية .

هنا وقفت ووقف هو ومساعدوه سيسكو ويافام وبيدرسون ، وقلت له :

« أنا أرفض العمل فى مثل هذا الجو وأرفض ما قلته الآن . هذا كلام لا يليق . أنا أمثل دولة مستقلة ذات سيادة . واعتبر اجتماعنا قد انتهى . لنذهب الآن إلى مجلس الأمن الذى ينتظرنا . لا يوجد ما نبحثه » .

انسحاب مساعدى جولدبرج من الاجتماع

ولأول مرة ظهر الارتباك على وجه جولدبرج . التفت لمساعديه الثلاثة وطلب منهم مغادرة الغرفة . وغادروا غرفة الاجتماع فى الحال . وبقينا كلانا واقفين كل منا ينظر للآخر . رأى السفراء العرب المنتظرون خارج غرفة الاجتماع انسحاب المساعدين الثلاثة لجولدبرج ، وبدأوا يتساءلون لماذا بقينا وحدنا فى غرفة الاجتماع . ما الذى يدور فى الغرفة المقفلة ؟ ما الذى أدى إلى انسحاب أعوان جولدبرج الثلاثة ؟ .

هنا قال جولدبرج لى :

« إن الرجل هو الذى يعترف بأخطائه عندما يرتكبها . أرجو قبول اعتذارى . أنا لم أقصدك أنت . . إننى متعب ومجهد . . لقد أجهدنى زملاؤك الذين طلبت منى المفاوضة معهم . أنا لا أكن لك سوى التقدير . أنا أقدر شعورك كعربى ذى عقيدة . لقد قلت للرئيس جونسون فى مناسبة أخرى : إننى لو كنت عربيا لعملت ما يقوم به السفير الفرّا ، إنه يدافع عن مبدأ !! » .

طبعا لم أسأله متى تم ذلك ؟ وما المناسبة ؟ وكيف ؟! والتزمت الصمت لمعرفة أين سيصل بنا هذا الحديث .

وضغط جولدبرج بعد ذلك على كتفى وقال :

« دعنا نجلس ونحاول ثانية . قل لى ما الذى تريد إضافته فى ديباجة المشروع » .

هنا قلت :

« ما دمت لم أكن المقصود فى كلمتك ، كنت أتمنى لو قلت ذلك بحضور من كانوا حاضرين قولك . على كل حال سأنسى ما حصل ولنعد إلى المشروع » .

بدأنا مراجعة التغييرات الجديدة . وافق على كل واحدة منها وطلب التريث إلى أن يجرى الاتصالات مع واشنطن . وبعد دقائق عاد لى معلنا موافقة واشنطن على كل شىء . وقدم المشروع بدون أية إشارة لما يبرر العدوان الاسرائيلى . لم ترد إدانة لفتح ولا للتسلل . أشار مشروع القرار فقط إلى قرار إيقاف إطلاق النار ومخالفة هذا القرار هى مخالفة حكومية لا فردية أو فدائية .

قابلت زملائى العرب الذين ينتظرون قلقين فى صالة مجلس الأمن ، لم يصدقوا أن الأمريكان قدموا كل هذه التنازلات . قال بو عطوره إنه طلب أقل بكثير من هذا ولم يفلح . وسأل الجميع ما الذى حصل ؟ .

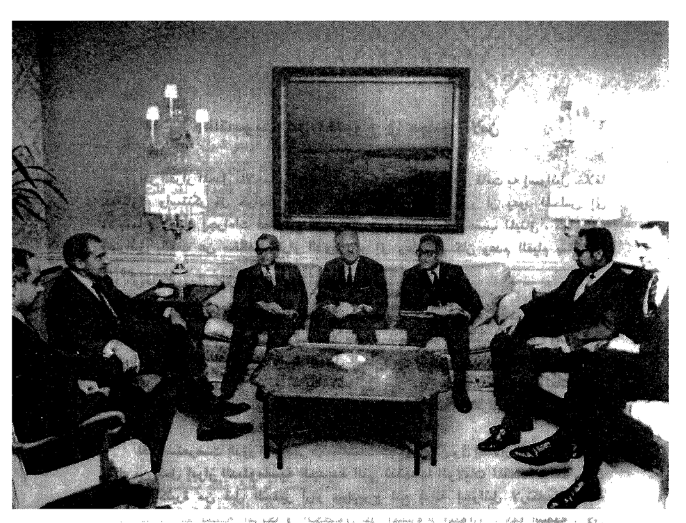
قلت : « لنذهب لمجلس الأمن وبعد إقرار المشروع نتحدث عن كل ما جرى . إنها قصة طويلة » .

التصويت على المشروع فى مجلس الأمن

أقر القرار المعدل بالإجماع ، وقد أدان العمل العسكرى الذى قامت به إسرائيل خلافا للميثاق ، واستنكر كل حوادث مخالفة إيقاف إطلاق النار . وقرر أن يعود المجلس إلى الاجتماع لاتخاذ إجراءات فعالةلمنع تكرار مثل هذه الاعتداءات حسب الميثاق ، كما كلف إسرائيل بالكف عن مخالفة القرار الذى يدعو إلى رعاية السكان وعدم القيام بما يهدد أمنهم .

كانت هذه الادانة السابعة لاسرائيل فى مجلس الأمن ، وفى هذه المرة التزم مجلس الأمن بأن ينظر فى خطوات أكثر فعالية عملا بالميثاق لمنع تكرار مثل هذه الجرائم ، وهو يشير بذلك إلى العقوبات التى ينص عليها الفصل السابع من الميثاق . ارتكبت إسرائيل بعد ذلك مخالفات كثيرة ، غير أن التزام أمريكا لاسرائيل حال دون تنفيذ المجلس لالتزاماته التى أشرت إليها . ومرت السنوات وكثرت المخالفات ، ولم يصدر القرار الفعال المطلوب .

لقد استعرضت الدور الأمريكى فى مناقشات مجلس الأمن وفى إصدار القرار المطلوب ، وذلك من أجل إبراز الدبلوماسية الجديدة التى تنتهجها الولايات المتحدة ، فقد جرت محاولات كثيرة من قبل السفير آرثر جولدبرج لمنع إدانة إسرائيل لارتكابها مذبحة « الكرامة » . لم تنجح امريكا فى الحصول على المشروع المتوازن ، كما اسمته ، لان التوازن هنا يعنى المساواة بين الذى قطع نهر الأردن وهدم القرية وبين الضحية . حاولت امريكا تجميد القضية إلى ان ينتهى العدوان فلم تفلح . ثم حاولت ان تجعل الشكوى الأردنية قسما من النزاع العربى الاسرائيلى ككل ، لكنها لم تفلح . حاولت باتصالاتها وضع مراقبين دوليين على ما اسمته خط إيقاف إطلاق النار ، وذلك حتى تفصل إلى الأبد الضفة الغربية عن الضفة الشرقية للأردن ، وبذلك تحقق بطلان اتفاقية الهدنة وتسهيل ضم الضفة الغربية إلى إسرائيل . هذه المحاولة الامريكية ايضا فشلت . وفشل ايضا الهدف الرابع باعتبار المقاومة التى تقوم بها « فتح » إرهابا . لقد قاومنا جميع هذه المحاولات ونجحنا رغم ثقل الضغط الأمريكى . ولم يرد أى ذكر إلى « فتح » والتسلل فى قرار « الكرامة » . كان المندوب الاسرائيلى لا دور له فى الاتصالات وغيرها ويكتفى بإلقاء الخطب العنيفة وتوجيه التهم ، أما الاتصالات والمناورات والضغوط والتهديدات فقد تركت كلها لشريك إسرائيل الاستراتيجى ، الولايات المتحدة ، التى سخرت كل ثقلها الدبلوماسى لهذه الغاية . شاهد أعضاء مجلس الأمن الضغوط التى واجهها سفير الأردن فى مجلس الأمن ، وقدر الأعضاء مقاومة الأردن لمثل هذه الضغوط . واشفق أعضاء المجلس على الدولة الصغيرة التى تواجه الضغوط الكبيرة فى الميدانين العسكرى والدبلوماسى . وشاهد أحد أعضاء مجلس الأمن كل ما قامت به أمريكا وجاءنى عند نهاية المناقشة مهنئا بصدور القرار ، وقال : « ما سلكته الولايات المتحدة ضد صديقتها الأردن يعكس شيئا واحدا هو إفلاس الدبلوماسية الامريكية » .



□ الرئيس الأمريكى نيكسون وإلى يمينه المؤلف ، وإلى يساره عبد المنعم الرفاعى وزير خارجية الأردن ووليم روجرز وزير خارجية الولايات المتحدة وهنرى كيسنجر مستشار الأمن القومى والشريف عبد الحميد شرف سفير الأردن وجوزيف سيسكو .

مقابلة الرئيس نيكسون للوفد الأردنى

وأود أن أنهى هذا الجزء من الكتاب بسرد حادث يظهر الفرق بين الوعود والالتزامات الأمريكية التى تعطى لاسرائيل وتلك التى تعطى لدولة عربية من أعلى مستوى .

زار الرئيس نيكسون الأمم المتحدة وألقى خطابا فى الجمعية العامة . وبعد ذلك وقف والأمين العام لاستقبال الوزراء والسفراء المعتمدين لدى الأمم المتحدة . وفى نفس النهار طلب الرئيس مقابلة رؤساء وفود عدد من الدول الصديقة لأمريكا من بينها الأردن . وذهبنا إلى فندق وولدورف استوريا لمقابلة الرئيس حوالى الساعة الرابعة . وظهر أنه قد أعلم من قبل وزارة الخارجية الأمريكية عن خلفية كل عضو فى الوفد .

وكان الرئيس لطيفا ومهذبا للغاية . وكان وفدنا يتألف من وزير خارجية الأردن عبد المنعم الرفاعى ، وسفير الأردن فى واشنطن الشريف عبد الحميد شرف ، بالاضافة لى

كمندوب دائم فى الأمم المتحدة . وقدم وزير الخارجية الأمريكى وزير خارجية الأردن وسفيره فى واشنطن إلى الرئيس نيكسون . وعندما قدمنى إلى الرئيس ، خاطبنى الرئيس سائلا : « أأنت السفير الفرّا . تعال . . تفضل اجلس إلى جانبى . اجلس هنا » . وأشار إلى كرسى على يمينه . وأضاف ثانية : « اجلس هنا إلى يمينى » . وجلست بالفعل حيث طلب منى الجلوس . وبعد أيام بعث لى البيت الأبيض الصورة التذكارية التى أخذت لنا فى تلك المناسبة . وهى ضمن صور هذا الكتاب .

شكر الوزير الرفاعى الرئيس نيكسون لاستقبالنا رغم مشاغله الكثيرة فى نيويورك . . وبعدها أخذ يتحدث عن الاحتلال الاسرائيلى للضفة الغربية ومناطق عربية أخرى ، وقال : لم يتم أى تقدم لتحقيق انسحاب إسرائيل من الضفة الغربية ، **لا أريد العودة يا سيادة الرئيس إلى الأردن بيدين فارغتين** . . نحن أصدقاء وجلالة الملك حسين يتوقع الكثير من المساعدة الأمريكية .

أجاب نيكسون : أرجو يا معالى الوزير أن تنقل لصاحب الجلالة فائق اعتبارى . أنت على حق حول الحاجة للمزيد من التقدم بالنسبة لقضيتك مع إسرائيل ، لا أريدك هذه المرة أن تعود إلى الأردن بيدين فارغتين ، نحن قلقون على الأردن ونريد أن نغير صورتنا بين المائة والخمسين مليون عربى ، وهذا يتطلب وقتا . أؤكد لك أننا لا تقلقنا العوامل الداخلية فى سياستنا الأمريكية ، وسياستنا يجب أن تكون متوازنة وأن نكون أصدقاء للعرب وإسرائيل .

ثم التفت الرئيس إلى وزير خارجيته وليم روجرز ، بينما كان هنرى كيسنجر مستشار مجلس الأمن القومى يصغى للحديث باهتمام وكذلك جوزيف سيسكو من وزارة الخارجية ، قال الرئيس لوليم روجرز : اسمع يابِلْ لا أريد أن يعود الوزير إلى بلاده بيدين فارغتين ، سيؤثر هذا كثيرا على موقف الأردن مِن قبل القوى الثورية ، ابحث فى الموضوع بالتفصيل ، وتأكد أن يعود الوزير إلى بلاده راضيا . أجاب وليم روجرز : هذا جميل سأفعل ذلك .

اعتبر الوزير ومعاونوه الاجتماع ناجحا ومثمرا ، ومشى نيكسون معنا حتى المصعد ، وهناك صافحنا وأكد لنا تفهمه للمشكلة وتعاطفه مع حقنا .

وفى اليوم الثانى رتب جوزيف سيسكو اجتماعا لوزيره والوزير الرفاعى وانا وسيسكو . تحدث وليم روجرز المعروف بنزاهته وصراحته ، إلى وزير الخارجية الرفاعى قائلا : السيد الوزير لنكن صريحين وصادقين بالنسبة للموضوع ، **لا يوجد ما نستطيع عمله لكم غير إعداد مقابلة بينك وبين جولدا مائير** ! . لم يصدق الوزير ما كان يسمع . كانت صدمة له ولى . توقعنا بعد الذى قاله الرئيس نيكسون أى شىء إلا ما قاله وزيره .

وكنا بعد اجتماعنا بالرئيس فى اليوم السابق قد اجتمعنا بمحمود رياض وزير خارجية مصر للتنسيق حسب تعليمات رئيسى الدولتين ، وكان الوزير المصرى سعيدا جدا عندما سمع

ما قاله الوزير الرفاعى حول وعود نيكسون ، غير أنه أظهر شكوكه بالنسبة لهذه الوعود . . كان يؤكد أن صانعى السياسة الأمريكان قد فقدوا المصداقية .

قال للوزير الرفاعى : لا تتفاءل كثيرا يا منعم قد يخيب ظنك غدا . . **لقد عملت مع الأمريكان طيلة السنتين الماضيتين نناقش نفس الموضوع . . دبلوماسيتهم من نوع آخر** ، لا تأخذ ما يقولونه حرفيا . وقد أثبت وليم روجرز صحة توقعات رياض . صدم الرفاعى لما سمع من روجرز وقال له : هل كان كل ما سمعته مجرد دعاية ؟ أنا لا أفهم هذا . . أنت تقول لى : لا تستطيع أن تعمل شيئا ، عدا تأمين اجتماع لى بجولدا مائير . . لكن هذا يا معالى الوزير ، لا يحتاج إلى مساعيكم الحميدة ، فيمكننى مقابلة جولدا مائير الآن بدون مساعدتكم فهى تقيم فى هذا الفندق .

رد وليم روجرز : أنا آسف ، لكن هذا كل ما عندى ، عليكم أن تساعدونا حتى نستطيع مساعدتكم .

الوزير الرفاعى : أهذا كل ما لديك ؟؟ .

روجرز : نعم ! . هنا قال الوزير الرفاعى : فى هذه الحالة علىّ أن أغادر اليوم وسأضع الصورة كاملة أمام جلالة الملك حسين ، **وسيعرف الجميع كيف تعامل دولة كبرى صديقا هو دولة صغيرة ـ الأردن** . ووقف الوزير ووقفت أنا ووقف وليم روجرز وجوزيف سيسكو .

وصافحنا الوزير وغادرنا المكان لنجد محمود رياض ينتظر فى القاعة . رأى الارتباك باديا على وجه الرفاعى وقال : أراك لست سعيدا . . ألم أقل لك أن لا تعتمد على الأمريكان !! إسرائيل هى طفلهم المدلل . علينا أن نفهم هذا . هم يريدون أن يجرونا إلى مائدة المفاوضات ، نحن نعرف هذا ، وإلى أن تصبح قويا لن تأخذ شيئا من أية مفاوضات .

وفى مساء نفس اليوم ، غادر الرفاعى ورياض نيويورك ليرفع كل منهما تقريره لرئيسه ـ الملك حسين ، وجمال عبد الناصر .

□ □ □

الفصل الثامن

مقاومة الإرهاب الصهيوني وسياسته التوسعية

« إن نزاعا ثالثا لابد منه . وعلينا في هذه المرة ان نحارب في كل المنطقة . هذا النزاع الثالث يجب ان يكون حرب استقلال جديدة » .

إسحاق شيليف

« قبل حرب ١٩٦٧ »

كنت فى الأمم المتحدة استمع إلى مندوب إسرائيل ينعت المقاومة الفلسطينية باستمرار بأنها إرهاب . وكثيرا ما كان السفير جولدبرج مندوب الولايات المتحدة واللورد كارادون ممثل بريطانيا يؤيدان الرأى الاسرائيلى . وكان هذا واضحا فى أثناء مناقشة قضية « الكرامة » عام ١٩٦٨ .

وكنت بدورى أبين بالحجج والبرهان أن أعمال الفلسطينيين هى مقاومة مشروعة وطبيعية ضد الاحتلال ، وأضرب مثلا : أنه عندما انبثقت عن شعوب أوروبا جماعات مقاومة ضد قوى النازية ، خلال الحرب العالمية الثانية ، كانوا ينالون التشجيع كأبطال مناضلين لا إرهابيين .. وعندما ذهب شارل ديجول الذى أصبح رئيسا لفرنسا إلى لندن ليجعلها المقر الرئيسى الذى تنطلق منه المقاومة الفرنسية ، استقبله ونستون تشرشل ، رئيس وزراء بريطانيا آنذاك ، فى المطار ورحب به وقال فى رسالة ترحيب نقلتها جميع اذاعات أوروبا : « ها هو الرجل الذى جاء إلى لندن حاملا معه شرف فرنسا . وصل لتنظيم المقاومة ضد قوات الاحتلال النازية » . وقام تشرشل بتقديم جميع التسهيلات لدعم المقاومة الفرنسية .

حاولت دائما أن أبين فى مجلس الأمن وغيره من أجهزة الأمم المتحدة أن **العمليات الاسرائيلية التعسفية والجرائم التى ترتكب ضد شعبنا من المنطقى أن تولد المقاومة** . وكيفما نظرنا إليها ، فهناك أمور فى غاية الوضوح علينا أن نستوعبها لمعرفة أسباب المقاومة :

١ - أن هناك ترابا فلسطينيا وعربيا تحتله القوات الاسرائيلية المسلحة .

٢ ـ ان هناك قرارا اصدره مجلس الأمن الدولى يدعو إلى انسحاب القوات الاسرائيلية من هذا التراب الفلسطينى .

٣ ـ ان الاسرائيليين لم يرفضوا الانسحاب فحسب ، بل راحوا يبنون المستعمرات اليهودية على الأراضى الفلسطينية .

٤ ـ ان السلطات الاسرائيلية قد ضمت بدون وجه مشروع القدس والجولان من المناطق المحتلة ، وبذلك خالفت قرارات مجلس الأمن المتكررة التى كلفتها بإلغاء هذه الاجراءات ، وعدم الاستمرار فى ارتكاب هذه المخالفات .

٥ ـ ان الاسرائيليين قد لجاوا إلى كل انواع الكبت والاضطهاد والقمع والتعسف لتحقيق نواياهم الشريرة .

٦ ـ ان المنظمة الدولية لم تتخذ اجراءات فعالة وتطبق العقوبات بموجب الفصل السابع من الميثاق لمعالجة ما يجرى فى الأراضى المحتلة ، بسبب موقف الولايات المتحدة الأمريكية .

٧ ـ ان هذه العوامل وهى الاحتلال وعدم فعالية الأمم المتحدة والعمليات التعسفية ضد الأهالى والاستيطان الاستعمارى ، كل هذا أدى إلى نتيجة واحدة هى مقاومة الاحتلال وتحدياته .

وذكّرت فى مناسبة أخرى مجلس الأمن بمقاومة أوروبا للنازية ، وعرضت كتابا بيّن أن عددا ممن كانوا يمثلون أوروبا فى مجلس الأمن وفى الأمانة العامة للأمم المتحدة كانوا من المحاربين الأوروبيين من أجل الحرية ضد النازية . ذكرت أسماء وعرضت صورا لهؤلاء المحاربين الذين هم فى المنظمة الدولية ، وبعضهم من كبار الموظفين فيها . وكان هؤلاء يتعاطفون مع الثورة الفلسطينية ، ويرفضون مزاعم إسرائيل أن المقاومة فى أوروبا تختلف عن المقاومة فى فلسطين أو لبنان . **وكانت الروح السائدة فى الصعيد الدولى ان مقاومة الاحتلال سواء فى آسيا ، أو إفريقيا ، او أوروبا هى واحدة .**

لهذا فإن إسرائيل لم تترك للفلسطينيين أى بديل للمقاومة . ماذا ترك للفلسطينى الذى خسر كل شىء غير المقاومة ؟ هل يتوقع منه أن يستسلم ؟ أو يسلم قيمه وتراثه للغاصب المحتل ؟ هل يطلب من الشعب الفلسطينى أن يكون شعبا بلا وطن وبلا مستقبل ؟ هذا يعنى إنهاء الشعب الفلسطينى الذى يقاوم الاحتلال لأنه يريد الحياة والوطن ، ويرفض المؤامرات الاسرائيلية .

وفى إحدى الجلسات شكا مندوب إسرائيل قائلا : إن القادة العرب يشجعون الفلسطينيين على مقاومة الاحتلال . وهنا ذكّرته : إن تشجيع المقاومة من أجل التحرير هو واجب الجميع ، وعندما كان هتلر والنازية فى أوروبا كانت النداءات على الأثير تصب فى آذان الشعوب الأوروبية ، وهذا واحد منها :

« إخوتى أخواتى
نحن نذكركم
انتم فى بالنا
نحن معكم بقلوبنا
فى هذه الساعة الحاسمة ، لا تيأسوا
نحن قادمون
سنعود إليكم تحت رايات الانتصار
انتظروا كل يوم النصر
لا تضيعوا وقتكم فى الكسل والضجر
تتعذبون بصمت وانتم نائمون
الكراهية المقدسة وصفاء الفكر سيريكم الطريق الصحيح
اضربوا .. اضربوا العدو من الخلف ، بدون شفقة
اهدموا البيوت .. انسفوا القطارات .. والمحطات ..
والشاحنات ..
احرقوا القمح والغابات والمخازن
انسفوا الدبابات واقطعوا الأسلاك
سنتغلب على جميع الصعوبات
ساعة الانتقام قادمة
أخوتى ... أخواتى
نحن نذكركم ، ودائما نفكر فيكم » .

فى أثناء مقاومة « الكرامة » احتج مندوب اسرائيل فى مجلس الأمن قائلا : لقد استقبل الأردن قواتنا بالمدفعية ، وكان ردى : **هل كنت تتوقع أن تستقبل قواتكم بالورود ، بعد ان جاءت بأنواع الأسلحة للبطش والقتل والتدمير ؟** .

إسرائيل وحقوق الانسان

عندما أوصت الجمعية العامة فى عام ١٩٤٧ بإنشاء دولتين يهودية وفلسطينية ، كانت قناعة هؤلاء الذين أيدوا التوصية أن الدولة اليهودية ستكون محبة للسلام ، وأن شعبها سيستفيد من خبرته المأساوية الماضية وسيتزعم حقوق الانسان ، وسيعمل مع غيره من الشعوب ، لوضع حد لشريعة الغاب فى التعامل بين الدول . لم يخطر على بال من صوّت لقيام اسرائيل أنها ستتحدى هذه المنظمة وميثاقها وما قامت من اجله ، خصوصا وأنها لم تقبل عضوا فيها إلا بعد التزامها بميثاق الأمم المتحدة وقراراتها ، وبعد تعهدها بالالتزام بقرار

التقسيم وبروتوكول لوزان ، وهذا يعنى عدم الاعتداء على شبر من تراب الدولة الفلسطينية العربية ، بالاضافة إلى عودة اللاجئين الذين طردوا من بيوتهم وأراضيهم ، ودفع التعويض لمن لا يريد العودة .

لقد قامت إسرائيل بممارسة كل ما يناقض هذه الالتزامات ، وتحدت قرارات المنظمة الدولية طيلة الأربعين سنة الماضية ، وعمدت إلى التوسع على مراحل وضم الأراضى المحتلة تمشيا مع خطة تيودور هرتسل مؤسس الحركة الصهيونية .. الذى قال بوضوح : إنه بعد إحتلال الأرض سيقذفون بالسكان على الجانب الآخر من الحدود . وهذا ما تأكد فى تقرير لجنة كنج كرين الذى جاء فيه : « جميع الصهيونيين الذين أدلوا بشهاداتهم أمامنا تحدثوا عن الاستيلاء على أراضى الفلسطينيين غير اليهود الذين يشكلون ٩٠٪ من مجموع سكان فلسطين » .

فى عام ١٩٤٧ قبل الصهيونيون خط التقسيم كحد لدولتهم . **وفى عام ١٩٤٨** احتلوا المزيد من أراضى الفلسطينيين ، وبعد ذلك قالوا : إن خط الهدنة الذى يشمل الأراضى المحتلة الجديدة هو حد إسرائيل . **وبعد حرب ١٩٦٧** وإحتلال كامل فلسطين ، والجولان السورى ، قالوا : إن فلسطين كاملة والجولان هما أرض إسرائيل ، وأن نهر الأردن هو الحد الشرقى للدولة اليهودية . **وهم يعملون الآن** لاحتلال المزيد من الأراضى تمشيا مع سياسة الأمر الواقع ومع ما يراه بن جوريون كحد « لأرض إسرائيل » .

وفى كتاب شبتاى تيفيت « بن جوريون والفلسطينيون العرب » نجد أن بن جوريون أراد ـ من أجل تحقيق حلم الحركة الصهيونية ـ مصادرة الأرض والوطن والتراث . وأصر على أن حدود الدولة اليهودية هى :

شمالا : نهر الليطانى ويمتد شرقا إلى وادى العوجة (٣٠ كيلو مترا جنوب دمشق) . وكان بن جوريون يتعمد عدم إدخال دمشق ضمن حدود الدولة اليهودية ، لأنها « مدينة كبيرة تبعث اعتزاز العرب ، ولا يقبل العرب لها أن تكون تحت السيطرة اليهودية » .

جنوبا : كان يطالب بما زعم أنه حد فلسطين الأصلى الذى يمتد حتى وادى العريش ، لأن إقليم العريش ـ كما زعم ـ كان تاريخيا وجغرافيا جزءا من فلسطين . وكان يريد أن يبقى هذا الحد متحركا يتغير بتغير وزيادة المستوطنات اليهودية فى سيناء .

شرقا : يتعلق بالأردن . قال : إن الذين يقولون إن شرق الأردن ليس فلسطين يجهلون التاريخ والجغرافيا لتلك البلاد . فحد فلسطين هو الصحراء السورية الواقعة فى نهاية شرق الأردن . ولهذا ، فهذا الحد ايضا يجب أن يكون حدا متحركا كما هو الحال بالنسبة لسيناء . وهو يقبل ضم الأرض الواقعة شرق الأردن مع سكانها ، لأن ضم السكان يعتبر بسيطا إذا ما قيس بهذه المنطقة الواسعة .

غربا : لم يشر بن جوريون إلى الحد الغربى لأن هناك البحر الأبيض المتوسط الذى لا مكان فيه للتوسع .

ولقد عمدت الولايات المتحدة بعد أن احتلت إسرائيل مناطق عربية أخرى بما فيها ما بقى من فلسطين ، إلى اشتراط اعتراف منظمة التحرير الفلسطينية بشرعية إسرائيل قبل أن تعترف هى بالمنظمة نفسها . ولكن لم تذكر لا أمريكا ولا إسرائيل **اى إسرائيل هى المطلوب الاعتراف بها** ؟ هل هى إسرائيل التقسيم التى أوصى بقيامها قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر/تشرين الثانى ١٩٤٧ ؟ أم إسرائيل التى توسعت عام ١٩٥٦ ؟ أم اسرائيل ١٩٦٧ ؟ أم اسرائيل التى وضع حدودها بن جوريون والتى أشرت إليها قبل قليل ؟ .

لقد قامت إسرائيل نتيجة قرار التقسيم الذى أوصى أيضا بقيام دولة فلسطين العربية . وعلى أثر حرب ١٩٤٨ ، أصدرت إسرائيل تشريعا بموجبه اعتبرت معظم الأرض المخصصة للدولة الفلسطينية جزءا من إسرائيل . وهذا التشريع يطبق الآن على كل فلسطين ، وبذلك يكون ٩٤,٤٪ من هذه الأرض العربية حسب التشريع الاسرائيلى أملاكا إسرائيلية .

وإذا اعترفت منظمة التحرير الفلسطينية بشرعية اسرائيل ، ألا يعنى هذا ضمنا قبول جميع تشريعاتها غير القانونية ، والتسليم باستحالة قيام الدولة الفلسطينية التى أوصت بها الأمم المتحدة ؟ ألا يعنى ذلك التنازل عن جميع الحقوق الفلسطينية ملكية ودولة ؟ .. ألا يخالف ذلك قرار التقسيم الذى يجرى تأكيده من قبل الجمعية العامة فى كل سنة منذ صدوره ؟ .

هل يعترف ضحية العدوان بالمعتدى

وهل يعقل أن يكون ضحية العدوان أول من يعترف بالجانب الآخر ؟ وكيف يمكن للفلسطينيين أن يعطوا اسرائيل الوثائق التى تؤكد استمرار وجودها كدولة تنعم بالسلام ، ولها الحق فى الأمن قبل أن تعترف هى بأقل الدرجات ، بوجود حقوق مشروعة يجب أن يتمتع بها الشعب الفلسطينى ، وهى الحقوق المعترف بها من قبل الأمم المتحدة ، والتى قبلتها إسرائيل كأساس للحل والسلام والأمن فى بروتوكول لوزان المؤرخ ١٢ مايو/ أيار ١٩٤٩ ؟ **لهذا فإن اى اعتراف من الشعب الفلسطينى هو تسليم لاسرائيل بكل شىء قبل انسحابها من التراب الفلسطينى ومن الأراضى العربية الأخرى المحتلة ، وقبل الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى فى فلسطين .**

أذكر أننى فى إحدى المناسبات ذكّرت الممثل الخاص للأمم المتحدة الدكتور يارينج

بتفاصيل بروتوكول لوزان الذى وقعه جميع الفرقاء ، والذى بموجبه اعتبر قرار تقسيم فلسطين المؤرخ ٢٩ نوفمبر/تشرين الثانى ١٩٤٧ أساسا للتسوية . هذا البروتوكول الموقع من قبل اسرائيل قد ألغته بعد دخولها الأمم المتحدة ، وفى ذلك تحدٍ للجنة التوفيق الفلسطينى المشكلة من فرنسا والولايات المتحدة وتركيا .

ولم تتخذ الولايات المتحدة ، أو أى دولة أخرى من الدول التى أعطاها الميثاق مسؤولية خاصة من أجل السلام والأمن ، أى اجراء لحماية الميثاق .

وهذا الموقف اللامبالى هو الذى شجع على المزيد من التحديات الاسرائيلية . قبل حرب ١٩٦٧ كانت اسرائيل تطالب بأن تكون حدودها خطوط الهدنة ، وكنا نقول الهدنة لم تقرر حدودا بل وضعت خطوط هدنة أملتها ظروف عسكرية ، وهذه الخطوط مؤقتة إلى أن تتم التسوية النهائية على أساس قرار التقسيم .

وأوضحت للسفير يارينج أن العرب كانوا دائما يطلبون السلام ، وهذا لم يتحقق لأن **قادة اسرائيل يعيشون فى زمن استعمار القرن الماضى ، وهم لا يعيشون فى روح اليوم ، ولكن فى روح فكرة شرسة ، فكرة الاحتلال والتوسع** ، وسلوكهم كشف نواياهم المخبأة ، وأظهر أن قبولهم لقرار التقسيم وحدود التقسيم كان لا معنى له ، رغم انهم مدينون لقرار التقسيم بوجودهم كدولة .

وحبذا لو يتذكر الاسرائيليون ما قاله أول رئيس لاسرائيل حاييم وايزمان وهو على فراش الموت ، وهو ما أشرت إليه وقرأته مرة وأخرى فى مجلس الأمن ، وكانت آخر مرة فى الثانى من يولية/ تموز ١٩٦٩ عندما كان مجلس الأمن يناقش قضية القدس .

قال حاييم وايزمان :

« نحن شعب صغير لكنه شعب عظيم . شعب بشع وهو أيضا جميل ، شعب خلاق وهو أيضا هدام ، شعب اختلطت فيه بالتساوى العبقرية والحماقة ، نحن شعب متهور تنكرنا لما بناه أجدادنا ودمرناه ، فمن أجل الله دعونا لا نسمح لشرخ الحائط أن يبلعنا » .

الحرب والمفاوضات

لجأ جوزيف تكواه مندوب إسرائيل فى الأمم المتحدة لكل أنواع الحيل من أجل الدفاع عن التوسع ، مُظهرا الكثير من التهور والحماقة التى أشار إليها وايزمان . وبتاريخ ٢١ مارس/ آذار ١٩٦٨ قال فى مجلس الأمن : إنه يستغرب ما أظهرته « من عاطفة وحب » لاتفاقية الهدنة وخطوطها ، وقال : « أليس الدكتور الفرّا هو الذى قال فى مجلس الأمن بتاريخ

٣١ مايو/آيار ١٩٦٧ إن هناك اتفاقية هدنة لكنها لم تقرر حدود بل حددت خطوط هدنة ، وأن الاتفاقية لم تتناول حقوقا سياسية أو عسكرية أو غيرها .

ولقد احتلت إسرائيل الضفة الغربية وغزة وأخذت تتنكر لاتفاقية الهدنة وتقول : « إنها ميتة » ، وتشير إلى ما قلته عن الهدنة من انها لم تقرر حدودا . كان هذا تمهيدا لضم كامل التراب الفلسطينى . وعندما زار الوفد المصرى عام ١٩٧٨ إسرائيل قبل وضع اتفاقات « كامب ديفيد » ، وجد أعضاء الوفد فى غرفهم بالفندق مواد إعلامية منها ما قلته فى مجلس الأمن ، حول اتفاقية الهدنة . لم يكن بين هذه الأوراق ردى ، وكان لحسن الحظ بين أعضاء الوفد السفير عبد الرؤوف الريدى المتميز بالحس القومى والكفاءة العالية وكان يذكر تلك المناقشة جيدا . كان ردى على مندوب إسرائيل فى المجلس :

« أنا اتمسك بالقول إن اتفاقية الهدنة لم تضع حدودا بل جمدت الحالة . إن خط التقسيم هو المعترف به من قبل هذا المجلس ، وإن اتفاقية الهدنة لم تغير خط التقسيم . وما قلته حول الهدنة مقتبس من نصوص الهدنة نفسها . فقد وقع الاسرائيليون بتاريخ ١٢ مايو/ آيار ١٩٤٩ بروتوكول لوزان وبموجبه قبلوا التقسيم كأساس للتسوية ، ولهذا عندما يقول هذا المندوب هنا إننى قلت كذا عن اتفاق الهدنة أجيبه نعم ، واتمسك بموقفى . . فالاتفاقية لم تعطك حدودا بل جمدت الحالة . وبالقوة لا تستطيع إسرائيل تغيير الحدود ولا أن تزعم أنها حصلت على حق . هذا مبدأ من مبادىء القانون الدولى معروف لنا جميعا ، والمادة ١٧ من ميثاق منظمة الدول الأمريكية (والولايات المتحدة عضو فيها) واضحة بهذا الخصوص » .

كان هذا هو ردى على التشويه الذى أراده مندوب إسرائيل ، والذى لم يشر إليه فى الملف الذى تم وضعه فى غرفة كل عضو من أعضاء الوفد المصرى .

وإذا أردنا معرفة نوايا إسرائيل الحقيقية ، نجد أن مائدة مستديرة عقدت فى أغسطس/ آب ١٩٦٣ جلس حولها عدد من شخصيات إسرائيل وجميعهم من القادة الصهيونيين المعروفين . .

وقال اسحاق شيليف أحد أعضاء الندوة :

« ما الذى نعمله الآن ؟ إننا نخطط لنزاع ثالث مع العرب ، وفى نفس الوقت لا نؤمن بهذا النزاع الثالث ونتطلع للسلام . وفى رأيى أن من يثبت أن السلام لن يأتى إلا بعد هذا النزاع الثالث يكون قد عمل عملا عظيما لأن نزاعا ثالثا لابد منه ، وعلينا فى هذه المرة أن نحارب فى كل المنطقة . هذا النزاع الثالث يجب أن يكون حرب استقلال جديدة ، لا استقلالا « لمثلث » إضافى ، بل استقلال أرض الميعاد بحدودها الجغرافية السياسية » .

واضاف شيليف :

« إن حدود اتفاقية الهدنة ليست الحدود التى خلقت لاطعام الشعب اليهودى . إن الفصل ١٥ من الكتاب المقدس هو الوثيقة الوحيدة التى يستطيع المرء أن يعتمد عليها فى مفاوضات السلام . . إن المفاوضات المثمرة الصحيحة من أجل ميثاق سلام ستأتى للمنطقة بعد هزيمة كاملة لجميع الجيوش العربية ، وبعد أن تحدد حدود إسرائيل حسب رؤية التوراة . **وإلى أن يسقط العدو نهائيا ، لا نستطيع ان نصل من أجل السلام ، لأن سلاما كهذا سيكون معتمدا على تنازلات ولا يوجد عندنا ما هو مدار تنازل . وبالعكس ، علينا ان نعلن للملأ اجمع نوع متطلباتنا التى لم تحقق بعد »** .

أما إيجال يادين ، فقد تحدث عن التعليم فى إسرائيل وقال : إنه يريد أن يرى كل طفل قد تعلم « تاريخ أجداده » ، وأضاف :

« علينا أن نعلم أطفالنا الحقيقة . الخليل ليست لدينا اليوم لكنها كانت لنا فى الماضى والملك داود حكمها ، وإذا أكرهنا على التخلى عنها اليوم لا يعنى أننا نسيناها أو شطبناها من التاريخ اليهودى » .

ويظهر هنا واضحا ان إسرائيل قبل حرب ١٩٦٧ بكثير كانت تعد « لحرب ثالثة » ولتوسع .

وتوضيح هذه الغطرسة ممارسات إسرائيل فى المنطقة ، وهى انعكاس لقناعات قادة إسرائيل اليوم . وكلهم ، وإن اختلفت الوسائل ، مستمرون فى التمسك بالخط التوسعى المتطرف . ونتيجة ذلك ، هناك جيل جديد من الاسرائيليين قد كبر بنفس هذه الأفكار . . ذلك إن أكثرية كبيرة اليوم تنادى بالمزيد من **الاستيطان الاستعمارى** ، كما يسميه المؤرخ البريطانى أرنولد توينبى ، وأن يمتد هذا الاستيطان لا للضفة الغربية وغزة فحسب بل لمرتفعات الجولان السورية ايضا . وحسب تقارير نقلتها وكالات الأنباء الدولية بتاريخ ٩ مايو/ آيار ١٩٨١ ، **فإن ما يقارب ٧٤٪ من هؤلاء الذين سئلوا من فئات مختلفة فى إسرائيل حبذوا استمرار الاستيطان اليهودى فى الضفة الغربية** . . وفى نفس الوقت ، أعلن رئيس الوزراء السابق بيجن عزمه على الاحتفاظ بالضفة الغربية وقطاع غزة ومرتفعات الجولان فى أثناء الاحتفال بعيد الاستقلال فى مستعمرة أريال ، وهى أكبر مستعمرة أقيمت فى الضفة الغربية . وقد أدلى أمام جمع من المستوطنين الذين كانوا يهتفون « بيجن . . بيجن » القسم التالى :

« أنا مناحم ابن زيف وابن حاسيه بيجن أقسم أننى ما دمت أعمل فى خدمة الأمة كرئيس وزراء ، لن أترك أى جزء من يهودا والسامرة وقطاع غزة ومرتفعات الجولان » .

والمعروف أن **يهودا والسامرة** هى الأسماء التى تطلقها إسرائيل على الضفة الغربية .

إن بيجن وزملاءه من نفس الجيل يتمسكون بهذه السياسة لأنهم يريدون أن يسجل التاريخ اليهودى بعد وفاتهم ، انهم ماتوا تاركين وراءهم **إسرائيل الكبرى** ، وأنهم رغم كل الضغوط الدولية لم يتنازلوا عن بوصة واحدة من الأرض المقدسة . ولهذا السبب نجد القيادة الاسرائيلية قد خلقت جيلا جديدا كله مرارة ، **وبذلك جعلت إسرائيل جزيرة كراهية فى الأراضى الفلسطينية المحتلة ، رغم ان الكراهية لم تكن من تقاليدنا ولا من تراث الأمة العربية .**

الحلول الإسرائيلية

من أجل ذلك نجد أن وزير المالية الاسرائيلى السابق يدعو إلى ضم المساحات غير المأهولة بالسكان وترك المدن . ويتبنى آبا ايبان وزير الخارجية السابق وجهة نظر أخرى **تؤيد قيام دولة فلسطينية فى المناطق المسكونة فقط من الضفة الغربية ، شريطة أن تشكل الدولة مع إسرائيل والأردن نوعا من الكومنولث او الكنفدرالية** . وحسب نظرية ايبان **فإنه لا يريد لدولة فلسطين اى جيش خاص بها ، ولا ان تصبح عضوا فى الأسرة العربية** . وفكرة منع دولة عربية من عضوية الأسرة العربية ككل هى ما حاولت القيادة الاسرائيلية تحقيقه فى كامب ديفيد ، فقد قام بيجن عندما كان رئيس وزراء (وهو رئيس عصابة الإرجون) بالتأكيد فى الكنيست بتاريخ ٢٨ ديسمبر/كانون الأول ١٩٧٧ على خطته من أجل السلام فى الشرق الأوسط ، وقد أقرت هذه الخطة بـ ٦٤ صوتا مقابل ٨ ضد الخطة و ٤٠ امتناع عن التصويت . وتسمح هذه الخطة للفلسطينيين فى الأرض المحتلة أن يكون لهم مجلس إدارى ، بينما تحتفظ إسرائيل بالسيادة على الأراضى المحتلة . وجميع المواد الستة والعشرون فى الخطة تدور حول فكرة الاحتفاظ بالأرض تاركين للشعب أن يدير أموره الداخلية ما دام موجودا على التراب « الاسرائيلى » .

كل هذه المناورات يتفق عليها قادة إسرائيل لايهام العالم والشعب الفلسطينى أن هناك تحركا سياسيا ، **اما النوايا فهى معروفة ولا تتغير . . وما الاستعمار الاستيطانى** المستمر إلا دليل على ذلك .

فى ١٤ أكتوبر/تشرين الأول ١٩٦٦ ، أى قبل احتلال باقى فلسطين والجولان وسيناء ببضعة أشهر ، ظهر آبا إيبان أمام مجلس الأمن ليغنى أغنية السلام ، وقال :

« نحن لا نطمع فى بوصة واحدة من تراب سوريا أو من تراب اية دولة أخرى » .

أما بعد حرب ١٩٦٧ ، فقد قال موشى ديان لأشبال حزب العمل فى إسرائيل :

« لقد حقق آباؤنا حدود ١٩٤٧ ، نحن حققنا حدود ١٩٦٧ ، والجيل القادم سيأخذ حدودنا إلى مكانها الطبيعى » .

وعندما كان موشى ديان وزيرا للدفاع قال فى ٥ يونية/حزيران ١٩٦٧ ، بعد أن بدأت الحرب ، قال ما يلى :

« لا يوجد لدينا مخطط اجتياح ، فكل هدفنا هو إحباط نوايا الجيوش العربية فى اجتياح بلادنا » .

وبعد شهرين ، بعد أن أتمت الجيوش الاسرائيلية احتلال ما بقى من فلسطين ، قال ديان ما يلى :

« على الشعوب فى الخارج أن تعرف الأهمية الاستراتيجية لاسرائيل فى مرتفعات الجولان وسيناء وتيران والجبال غرب الأردن ، فهى كلها تقع فى قلب التاريخ اليهودى . وإذا كان عندنا الكتاب وأهل الكتاب لابد لنا من أرض الكتاب ، الخليل وأريحا والمناطق المحيطة بها . لن نتخلى عن الخليل ، ليس هذا برنامج سياسى بل هو أهم من ذلك ، إنه تحقيق أحلام الآباء والأجداد » .

وكان حلم بيجن الأكبر أن تبقى اسرائيل سيادتها على جميع أراضى فلسطين : تلك المحتلة عام ١٩٤٨ ، والتى ضمتها بعد ذلك الاحتلال ، والتى احتلتها عام ١٩٦٧ . وبالاضافة إلى كل هذا ، فما زال يطالب بالتوسع إلى ما وراء نهر الأردن .

وكانت « جولدا مائير » رئيسة وزراء إسرائيل قد انكرت وجود شعب فلسطين ، وقالت لجريدة « لندن تايمز » بتاريخ ١٥ يونية/ حزيران ١٩٦٩ :

« وكأنه كان هناك شعب فلسطينى وجئنا وطردناه ، وأخذنا بلاده منه ، هذا الشعب لا وجود له » .

وفى الولايات المتحدة فى مقابلة أجرتها مع التليفزيون قالت :

« أين هم الفلسطينيون ؟ هم بكل بساطة لا وجود لهم » .

هذه التصريحات تعكس تطور الفكر الاسرائيلى . . إذ بعد تحقيق الاسرائيليين للمرحلة الثانية من توسعهم ، بدأوا يثيرون الشكوك حول حقيقة وجود الشعب الفلسطينى . لقد أوصلهم غرورهم إلى التشكيك بوجود شعب فلسطينى . وفى خطاب لحزب الماباى وبعد ثلاثة أشهر من احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة ، صرح أبا إيبان :

« لم تعد المشكلة هى هل يعترف الأردن بوجود إسرائيل ، بل هل تعترف إسرائيل بوجود الأردن ؟ » .

لقد كانت قيادة إسرائيل ، وما زالت ، تعارض بقوة قيام دولة فلسطينية فى فلسطين أو فى اى جزء منها . ولا شك أن إسرائيل والولايات المتحدة تفضلان أن تريا الضفة الغربية وقطاع غزة وقد انضمتا إلى الأردن أو سوريا أو مصر أو اى دولة عربية ، من أن تصبح دولة فلسطينية مستقلة . إذ أن اى تدبير من هذا النوع يعتبر مؤقتا بالنسبة للاسرائيليين ويمكن إلغاؤه فى ظروف مناسبة عندما تحتل إسرائيل تلك المناطق . وعندها ستدّعى أن هذه المناطق هى جزء من أرض إسرائيل ، وأن لاسرائيلُ حق أقوى من أى من الدول العربية الأخرى . اما إنشاء الدولة الفلسطينية فى فلسطين ، فسيقف فى طريق أية محاولة لضم هذه الأراضى ، نظرا لأن العالم لن يسمح لاسرائيل باحتلال وضم دولة عضو فى الأمم المتحدة . يضاف إلى كل هذا أن للشعب الفلسطينى حقا أقوى فى الأرض من الاسرائيليين ، كما أن لهم حقا أكثر فى القدس وحيفا واللد والرملة ويافا وعكا وصفد وغزة وخان يونس وبيسان ونابلس والجليل وغيرها .

وهناك مسألة أخرى تقلق الاسرائيليين إذا ما خلقت الدولة الفلسطينية ، وهى أن إسرائيل احتلت فلسطين بقوة السلاح وبدون حق شرعى . وسيبقى العالم ينظر لما اغتصب من أرض فلسطين كحق من حقوق الشعب الفلسطينى . هذا ما يقلق قادة إسرائيل . لكن إنكار حقوق شعب فلسطين الوطنية ليس هو الجواب . **والطريق الصحيح هو اعتراف الاسرائيليين بحقوق الفلسطينيين** ، وكل محاولة لفرض حل مجحف بحقوق الفلسطينيين بالقوة وبمساعدة قوى خارجية ستفشل ، لأنها لا تزيل الظلم الذى حل بالشعب الفلسطينى .

غير أنه من الواضح من تصرفات إسرائيل أن هذا أمل بعيد المنال **لأن حروب التوسع الاسرائيلية لا تتوقف** . وبتاريخ ١٦ مايو/ آيار ١٩٨٠ ، نشرت جريدة « التربيون » أن الاسرائيليين يعدون أعمالا إرهابية ضد الفلسطينيين فى الأراضى المحتلة . وقالت الجريدة إن هذه هى المرة الأولى التى يحدث فيها مثل هذا الإعداد للارهاب منذ قيام الدولة اليهودية . والحاخام مائير كاهانا المولود فى أمريكا ، والذى سبق أن بعث لى بتهديد يرد ذكره فى مكان آخر من هذا الكتاب ، هو الذى يرأس المنظمة الارهابية « عصبة الدفاع اليهودية » . ذكر كاهانا فى مؤتمر صحفى أن على إسرائيل دعم عصبته التى يرجو أن تقذف بالقنابل لقتل بعض القادة فى الأراضى المحتلة من أجل طرد السكان من هذه الأراضى .

وبعد خمسة عشر يوما وبتاريخ ٢ يونية /حزيران ١٩٨٠ ، استخدم الارهابيون القنابل والأسلحة فى هجومهم على رئيس بلدية نابلس بسام الشكعة ورئيس بلدية رام الله كريم خلف ، اللذين اصيبا بجراح خطيرة الأمر الذى أدى إلى بتر ساقى الشكعة وقدم خلف . وقد توفى رئيس بلدية رام الله بسبب توقف القلب فى مارس/ آذار ١٩٨٥ . لكن هل يستطيع الصهيونيون ضمان بقاء إسرائيل بوسائل الارهاب والعنف . ويسير فى هذا الخط الصهيونى الجنرال رفائيل ايتان ، الذى كان رئيس أركان الجيش الاسرائيلى عندما اجتاحت القوات الاسرائيلية الأراضى اللبنانية ، والذى انتخب عضوا فى الكنيست عام ١٩٨٤ .

قال إيتان بتاريخ ٧ مايو/ آيار ١٩٨٠ : إن قبول القانون الدولى بالنسبة لفلسطين

سيسبب ضياع مدن كثيرة : يافا وبئر السبع وغيرهما ، وهى المدن التى تقع ضمن الدولة الفلسطينية حسب قرار التقسيم . ويعرف إيتان ، كما يعرف غيره من القادة الصهيونيين ، أن إسرائيل مدينة بوجودها لهذا القرار الذى يريد التنكر له .

إن الاجتياح الاسرائيلى للبنان عام ١٩٨٢ هو إحدى هذه الحروب الفاشلة فى الشرق الأوسط ، والتى كانت أكثر وحشية وأكثر خرابا من كل الحروب التى سبقتها . ولا تختلف المذابح التى ذكرتها سابقا عن مذابح عين الحلوة وصبرا وشاتيلا ، بالاضافة إلى ضرب المدنيين فى بيروت وما جاورها ، وما قدمته البحرية الأمريكية لاسرائيل من عون . غير أن هذا لم يوقف المقاومة الفلسطينية ، بل زادها إيمانا وتصميما . وإذا كان تفوق إسرائيل العسكرى قد خلق غطرسة لديها انعكست فى تصرفاتها وخطب ممثليها فى الأمم المتحدة ، **فهذا كله لم يحقق السلام والأمن لمنطقة الجليل** التى تزعم إسرائيل أنها اجتاحت لبنان من أجلها . وهذه الانتصارات السابقة ضد العرب والتوسع الاسرائيلى لمناطق جديدة **لم توفر السلام فى الأرض المقدسة تماما** ، كما أن ضرب الأمريكيين لفييت نام بالقنابل لم يأت بالسلام لتلك البلاد .

ولا شك أن نتائج استمرار هذه الأعمال ستكون خطيرة ليس للعرب فحسب بل للعالم أيضا . هناك الكثيرون من الكتاب والمؤرخين الذين عالجوا هذه النقطة ، فالمؤرخ البريطانى الشهير أرنولد توينبى علق فى كتابه (خبرات) على الشبه بين حروب إسرائيل فى الأراضى المقدسة وحرب الأمريكيين فى فييت نام ، قال :

« لقد أحبطت قوة الولايات المتحدة الأمريكية العسكرية فى فييت نام عام ١٩٦٨ ، لأن القومية هى رسالة تقف الشعوب على أتم الاستعداد للدفاع عنها وتقديم أرواحها من أجلها » .

وأضاف توينبى : إن عند الفلسطينيين حافزا أعظم وأقوى من الفييت ناميين للمقاومة .

وفى كتابه هذا ، وهو كتابه الأخير قبل وفاته ، ذكر المؤرخ أنه ما دام أى شعب رازحا تحت الاحتلال ، فلابد له من استعادة سيادته واستقلاله السياسى . وكما يعلم الاسرائيليون **فإنه لا يمكن إبادة الشعب الفلسطينى ولا الشعب الفييت نامى . فالفلسطينيون سيستمرون فى مقاومة الاحتلال الاسرائيلى ، لا لأنهم يودون أن يروا اناسا يموتون أو بيوتا تدمر أو مجموعة من البشر تشوه ، لكن لأن الاسرائيليين لم يتركوا لهم بديلا آخر للمقاومة .**

لقد استخدمت كلمة « **استعمار** » عندما أشرت إلى الاستيطان الاسرائيلى ، لكن هذه الكلمة ليست كلمتى ، بل أعطيت للممارسات الاسرائيلية من قبل المؤرخ توينبى ، فقد ذكر فى نفس الكتاب ما يلى :

« ومنذ قيام إسرائيل ، أصبح **الاستعمار الاسرائيلي** واحدا من أسوأ قضيتين في تاريخ الاستعمار في العصر الحديث ، ويتبدى هذا السوء في ممارسات **هذا الاستعمار الاسرائيلي** . فقد مارس صهيونيون من أوروبا الشرقية الاستعمار في فلسطين بشكل متطرف ينطوي على طرد ونهب السكان العرب الأصليين ، في الوقت الذي أخذت فيه شعوب أوروبا الغربية تتخلى وتتراجع عن حكمها المؤقت على شعوب غير أوروبية » .

أما القضية الأخرى التي أشار لها توينبي في كتابه ، فهي قضية الهنود الحمر في الولايات المتحدة .. الذين طردوا من بيوت أجدادهم ـ مما يطلق عليه الآن ولايات ، جورجيا ، والاباما ، ومسيسبي ، وتينسي ـ ووضعوا في أماكن معزولة يطلق عليها الآن ولاية أوكلاهوما . قال توينبي عن هاتين القضيتين الاستعماريتين :

« إن الاستعمار الأمريكي في القرن التاسع عشر كان جريمة ، **وإن الاستعمار الإسرائيلي الذي يرتكب في وقت تسطير هذا الكتاب هو جريمة تحدث من ناحية أخلاقية في غير زمانها** » .

وقد أجرى توينبي مقارنة دقيقة بين استمرار الحروب الإسرائيلية ضد الفلسطينيين ، والحروب الأمريكية في آسيا ، وقال :

« في نوفمبر ١٩٦٨ كانت إسرائيل في جنوب غرب آسيا والولايات المتحدة في جنوب شرق آسيا ، كل واحدة في **الموقع اللامنطقي** الذي وجدت اليابان نفسها فيه في الصين قبل نهاية الحرب الصينية ـ اليابانية التي امتدت من عام ١٩٣١ إلى ١٩٤٥ . إنه الموقف الذي أحبط ، وهزم في النهاية عددا من المهاجمين المتتاليين لروسيا : البولونيون في القرن السابع عشر ، والسويديون في القرن الثامن عشر ، والفرنسيون في عام ١٩١٢ ، وحديثا الألمان في الحرب العالمية الثانية (بالمقارنة بنجاح الألمان السريع في فرض تسوية سلمية على روسيا قبل نهاية الحرب العالمية الأولى) . وبشكل لا يختلف عن هتلر ونابليون وشارل الثاني عشر في روسيا ، ومثل اليابانيين في الصين ، فإن الأمريكان في جنوب شرق آسيا والإسرائيليين في جنوب غرب آسيا قد تحدوا اللانهاية . **إنهم يستطيعون ان يربحوا معركة بعد أخرى وأن يحتلوا منطقة بعد أخرى ، لكن خصومهم يبقون في الميدان ، لأنه رغم ان هؤلاء الخصوم لا يستطيعون المحافظة على مراكزهم ، فإن تحت تصرفهم مساحات لانهاية لها يستطيعون التراجع إليها والاستمرار في التراجع إلى ان تمتد المناطق التي يسيطر عليها المحتلون لدرجة لا يستطيعون عمليا وفعليا المحافظة عليها** .

« وراء نهر الأردن يمتد العالم العربي شرقا إلى سلسلة جبال زاقروس والخليج العربي . ووراء قناة السويس يمتد غربا حتى المحيط الأطلسي . ووراء صحراء سيناء يمتد جنوبا إلى عدن وإلى السودان . ووراء القنيطرة يمتد شمالا إلى سوريا . أما في جنوب شرق آسيا فيواجه الأمريكان المشكلة التي واجهها الإسرائيليون في العالم العربي : خلف فيتكونج

يقف شمال فييت نام ووراء شمال فييت نام تقع الصين . ورغم أن سكان الولايات المتحدة هم اليوم حوالى ضعف سكان اليابان ، فخبرة اليابان فى اجتياحها للصين ١٩٣١ ـ ١٩٤٥ تشير إلى أنه حتى قوة الولايات المتحدة البشرية والصناعية ومواردها الاقتصادية لا تساوى العمل الشاق المطلوب لإنهاء الحرب مع الصين بالانتصار .

« فعلى الولايات المتحدة أن تحتل فييت نام الشمالية قبل أن تبدأ فى اجتياح الصين . وهنا لا تكون حربها مع الصين فقط ، بل مع الصين والاتحاد السوفييتى . فرغم خلافات الدولتين الكبيرتين الشيوعيتين حول أمور كثيرة ، لكنهما متفقتان فى إصرارهما على أن يجعلا ربح حرب الولايات المتحدة مع فييت نام مستحيلا .

« فى هذه الحالة الاستراتيجية المقضى عليها بالإحباط ، **فإن الولايات المتحدة وإسرائيل ، كلتيهما ، معاقتان بحالة نفسية يبعثها الشعور بالنصر المتتالى الذى سجله ماضيهما المتضمن سلسلة غير متوقفة من الانتصارات** . فالإسرائيليون كانوا هم الفريق المنتصر فى ثلاث حروب عربية ـ إسرائيلية ، وانتصارهم الثالث لهذه الحروب كان مفاجئا وأكثر الحروب الثلاث إثارة . وقلما يكون المنتصرون فى وضع يساعد على تقديم أية تنازلات .. **فسلسلة الانتصارات المذهلة لابد أن تعمى المنتصرين ، فلا يرون الحقيقة التى تقول إن النصر العسكرى هو قوة ضائعة** . وهكذا ، فعبقرية العمل العسكرى قد سببت عقبات سيكولوجية تقف فى طريق وصول إسرائيل إلى هدفها . ربما يبدو هذا القول متناقضا ظاهريا ، **لكن هذه هى الحقيقة** » .

ونظرية توينبى أثبتت صحتها بالنسبة لفييت نام . فقد انتهت الحرب وانسحبت القوات الأمريكية . وتكبدت الولايات المتحدة الشىء الكثير قبل أن تتعلم هذا الدرس . فهل يدفع الإسرائيليون نفس الثمن قبل أن يتعلموا الدرس ، أم أنهم سيستفيدون من الخبرة الأمريكية ؟ .

بعد الانتصار الإسرائيلى فى عام ١٩٦٧ ، قال إسحاق دوتشر المعلق السياسى اليهودى والناقد الاقتصادى : إن الإسرائيليين يظهرون كأنهم بروسيّو الشرق الأوسط بعد أن ربحوا ثلاث حروب ضد جيرانهم العرب . وأضاف أن البروسيين قهروا هم أيضا قبل قرن من الزمان جيرانهم الدنمركيين والنمساويين والفرنسيين خلال سنوات قليلة .

لم يعش دوتشر طويلا ليرى **الحرب العربية الإسرائيلية الرابعة** ، فقد توفى فى روما فى أغسطس / آب ١٩٦٧ . وكان قد تنبأ قبل وفاته **أن يسبق الطيران المصرى فى توجيه الضربة الوقائية الأولى** . وفى أكتوبر / تشرين الأول ١٩٧٣ كانت مصر وسوريا هما اللتان ضربتا أولا ، وقد ثبت الآن أن الضربات الوقائية ليست هى الجواب لأنها لا تحل النزاعات ولا تأتى بالسلام .

ويبدو أن قادة الصهيونية يرفضون منطق الكتاب والمؤرخين ، ويرفضون تطبيق هذا

المنطق على الشعب الفلسطينى . لكن هذا الموقف الصهيونى لا يلقى المساندة من جميع يهود العالم ، فهذا موشا مينوهن المؤلف اليهودى يقول بعد خبرة طويلة مع الصهيونية :

« عندما يطبق مبدأ عدم جواز الحصول على أراضى الغير عن طريق الحرب على الفتوحات الإسرائيلية ، تعتبره إسرائيل الصهيونية من أعمال اللاسامية . ولهذا تجد الإسرائيليين يتحدون الأمم المتحدة رغم أنها هى التى خلقت إسرائيل » .

وهناك الموسيقار جوزيف الجار الذى كان عند كتابة مقالته بمجلة « النيوزويك » بتاريخ ١٥ سبتمبر/ إيلول ١٩٨٠ مديرا للفرقة السيمفونية فى الأمم المتحدة ، كتب محذرا أن سياسة بيجن ستنمى اللاسامية . وهاجم جيولا كوهن التى قالت فى الكنيست فى أثناء مناقشة ضم القدس غير القانونى : إن اليهود لم يعودوا لإسرائيل طلبا للأمان بل لبناء أمة على الأرض التى خصصها لهم التوراة . وأكد الجار :

« إن العرب يريدون السلام .. ونظرية الربح والخسارة هى نظرية بالية فى عصر الذرة . فإما أن نربح جميعا وإما أن نخسر جميعا . والحل لنا نحن اليهود يكمن فى قوتنا الحقيقية التى لا تأتى عن طريق القوة أو العسكرية ، بل بالأخلاقيات والانصاف والعدالة التى تعلمناها فى المدارس منذ الصغر . علينا أن نتوقف عن مصادرة أراضى الغير الذين عاشوا عليها قرونا عديدة » .

وهناك كتّاب وفلاسفة كثيرون أكدوا أن طرد الفلسطينيين واخذ اراضيهم امر سيظل الجميع يذكرونه على انه جريمة لا تغتفر . من هؤلاء الكتاب ، الحاخام إلمر بيرجر وجودة ماجنس والفيلسوف مارتن بيوبر ، وكلهم يهود أدانوا الممارسات الصهيونية لهذا السبب . وأذكر أن داج همرشولد أمين عام الأمم المتحدة قد قال لى إنه : « لو أتبع ب . ج (مشيرا لبن جوريون ، الذى كان آنذاك رئيسا للوزراء) حكمة بيوبر وفلسفته لتحقق السلام الدائم والعادل فى الشرق الأوسط » .

والآن مات بن جوريون وماتت جولدا مائير ومات آلون ومات ديان . وأتبع بيجن قائد العصابة الإرهابية « الإرجون » فى أثناء رئاسته للوزراء عاداته القديمة ، وعقيدته البالية . وسار الجيل الناشىء فى إسرائيل على خطى ديان وبن جوريون وشامير وشارون وبيجن ، ورفض هذا بعض يهود إسرائيل ، وشكل هؤلاء اليهود منظمات لمعارضة السياسة الصهيونية ، منها حركة « السلام الآن » . هؤلاء الناس خاب ظنهم وغادر عدد منهم إسرائيل ليعيش فى أمريكا وأوروبا .

أما بقية قادة الصهيونية فى إسرائيل فمصرون على العمل لتحقيق حلمهم فى التوسع ، مستخدمين طرقا وحشية لتحقيق هذا الغرض . فرجال الأحزاب التى فى الحكم ورجال الأحزاب الرئيسية المعارضة ، كلهم يلتقون بالنسبة للجوهر حتى وإن اختلفوا بالنسبة

للشكل . فجميعهم يريدون ضم الأراضى التى تمت حيازتها بالقوة عام ١٩٦٧ . وكلهم ينادون باستعمال جميع الوسائل لتحقيق المزيد من التوسع . وإذا اختلفوا ، فإنما يختلفون حول ما إذا كان ضم المناطق الفلسطينية يجب أن يتم عن طريق التشريع وسن القوانين أو عن طريق الممارسة العملية ، أى الضم الهادىء . قد يختلفون حول ما إذا كان التوسع على مراحل ، أو فى الحال .. كل ذلك لأن **فكرة الصهيونية وفكرة الضم هما وجهان لقطعة نقود واحدة .**

وبهذه الخلفية أجد الصهيونيين الذين يميزون بين اليهود والأغيار ويصرون على أنهم ضحية لأنهم ليسوا كالأغيار ، يمارسون اليوم عنفا أشد ضد هؤلاء الذين ليسوا مثلهم ـ أى الفلسطينيين . لقد خاضوا حروبا كثيرة بسبب الجشع والرغبة فى المزيد من الأراضى . فالقيادة الإسرائيلية لم تقدر حتى الآن أن تتعلم من خبرتها المأساوية ، **أن العنف يولد العنف** ، وأن هذه القوة والإرهاب الوحشى المستمر والأعمال التعسفية ضد السكان فى الأراضى المحتلة التى تنتشر كالنار وتنتهى بالهدم والدمار والقتل الجماعى ، لابد أن تولد عنفا معاكسا .

□ □ □

الفصل التاسع

السفير يارينج والدول الكبرى والقرار ٢٤٢

« كلما استعرضت سير الأحداث في العالم هذه السنوات ، ازددت قناعة ان الأمم المتحدة واجهزتها تمثل امل السلام في العالم » .

دوايت د . إيزنهاور
رئيس الولايات المتحدة

عندما بحثنا فى مجلس الأمن تنفيذ القرار ٢٤٢ ، أثير موضوع الانسحاب الإسرائيلى الكامل من الأراضى المحتلة . قال مندوب إسرائيل : إن القرار ٢٤٢ يعنى فى الواقع الانسحاب إلى حدود آمنة ، وزعم أن أمن إسرائيل هو أساس تحديد كيف يكون الانسحاب . كيف توصل مندوب إسرائيل لهذا الرأى ؟ لا أدرى ! الذى أعرفه جيدا أن القرار ٢٤٢ قد أقر بالإجماع فى مجلس الأمن ولا ذكر فيه لـ « الانسحاب إلى حدود آمنة » ، بل تحدث القرار عن حق كل دولة فى « العيش » فى سلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها ، وهو شىء يختلف عما زعمه مندوب إسرائيل .

والتركيز هنا هو على كلمة « العيش » ، التى لا تعنى أى تغيير مادى فى الحدود يرضى مطالب ومطامع إسرائيل « الأمنية » . والحق فى العيش هو ناحية ذهنية لا حالة مادية . كانت الفكرة أن لكل دولة ـ وهذا لا يستثنى دولة فلسطين العربية ـ الحق فى العيش ضمن حدود آمنة من أعمال العنف أو المقاومة .

وكيف يؤمن الأمن ؟ الجواب هو : بالحل العادل للقضية الفلسطينية وبعده لن تكون هناك حاجة لا للإرهاب الإسرائيلى من جهة ، ولا للمقاومة الفلسطينية من جهة أخرى .

لقد تأكد الجانب العربى من هذا التفسير قبل قبوله مشروع القرار ، وأكدت بريطانيا والولايات المتحدة أن القرار يدعو إلى الانسحاب الكامل وأن الغاية منه تحقيق الانسحاب من جميع الأراضى المحتلة ، وإلا تكون هناك مخالفة صارخة لمبدأ القانون

الدولى الذى لا يجيز الحصول على الأرض عن طريق القوة أو الحرب ، وقد أكد هذا المبدأ فى القرار ٢٤٢ .

ولا حاجة إلى القول بأن جميع المباحثات والاتصالات بين الولايات المتحدة والدول العربية تركزت على الحالة التى نشأت نتيجة حرب ما يسمى بالأيام الستة . لم يكن فى ذهن الأمريكان ولا العرب أن يضعوا « وصفة » لحل المشكلة الفلسطينية ككل . كانت الفكرة هى العودة إلى الحال السابق أولا ، أى الانسحاب أولا ، وبعد ذلك تأتى المرحلة الثانية وهى النقاط الأخرى الواردة فى القرار . والمرحلة الثالثة هى فتح الملف الفلسطينى . هذا ما أكده السفير جولدبرج لمحمود رياض ، وما أكده لى السفير الأمريكى . ولم يحصل تغيير لهذه المواقف ، إلا بعد أن أخذت العلاقة الأمريكية الإسرائيلية تسير نحو تخطيط جديد ، وعلاقة أقوى ، واستراتيجية تمليها المصالح المشتركة .

مباحثات جولدبرج ومحمود رياض

وفى مباحثات جولدبرج مع محمود رياض وزير خارجية مصر التى سبقت إقرار القرار ٢٤٢ ، اتفق على أن ينحصر القرار فى حرب ١٩٦٧ ، وأن لا يتناول مشكلة فلسطين التى كانت على جدول أعمال الجمعية العامة منذ عام ١٩٤٧ .

كان هذا الاتفاق واضحا عندما سأل محمود رياض جولدبرج أن يوضح على أى أساس يمكن للمشاورات بينهما أن تتم . يقول رياض : إن السفير جولدبرج لم يستطع إعطاء الجواب قبل الرجوع إلى واشنطن . وبعد أيام ، أعلمه أن حكومته تعتقد أن تتم المشاورات حول مشروع قرار يتناول نتائج حرب يونية /حزيران وأن لا يمتد ليشمل القضية الفلسطينية برمتها .

وقبل إقرار القرار ٢٤٢ ، جاء محمود رياض إلى مكتبى ومعه اللورد كارادون لبحث مشروع القرار مع بعض رؤساء الوفود العربية ، بما فيهم وزير خارجية الأردن عبد المنعم الرفاعى . سأل محمود رياض اللورد كارادون الذى وضع مشروع القرار ، الأسئلة التالية من أجل إيضاح النقاط التى أثارها بعض المندوبين العرب :

رياض : حسب مشاوراتك مع الأمريكان وحسب فهمك لمعنى مشروع القرار ٢٤٢ ، هل يعنى انسحاب إسرائيل من جميع الضفة الغربية ؟

كارادون : نعم .

رياض : وسيناء وقطاع غزة أيضا ؟

كارادون : نعم .



□ جلسة للتشاور قبل اجتماع مجلس الأمن فى ٩ نوفمبر/تشرين الثانى ١٩٦٧ ، ويرى من اليسار لليمين عبد المنعم الرفاعى وزير خارجية الأردن ، المؤلف ، محمد عوض القونى مندوب الجمهورية العربية المتحدة ، ومحمود رياض وزير خارجيتها .

ريـاض : ومرتفعات الجولان ؟

كارادون : نعم ، باختصار يعنى القرار عودة إسرائيل إلى موقع ٤ يونية/ حزيران .

قابل رياض أيضا كوزنتسوف نائب وزير خارجية الاتحاد السوفييتى ، وسأله ما يلى :

لقد فهمنا من الإنجليز والأمريكان أن مشروع القرار المقدم من قبل اللورد كارادون يعنى الانسحاب الكامل من جميع المناطق العربية ، فهل هذا فهمك أيضا ؟

أجاب كوزنتسوف : نعـــم .

ثم أن الغموض المزعوم فى القرار لم يرد فى اللغات الأربع الرسمية الأخرى فى مجلس الأمن ، وهى الفرنسية والروسية والصينية والأسبانية . ففى جميع هذه اللغات كانت الإشارة إلى الانسحاب الإسرائيلى من الأراضى المحتلة واضحة .

ورغم أن السفير آرثر جولدبرج قد أعلن التزام حكومته - وبتعليمات منها - فى مجلس الأمن بأن تضع ثقلها الأدبى والسياسى لتنفيذ القرار، إلا أنها لم تفعل شيئا من ذلك. **ومرور الوقت والضعف العربى أعطى الإسرائيليين الفرصة لأن يبدأوا فى إعطاء القرار قراءة جديدة من وحى خيالهم.**

وعندما تحدث القرار ٢٤٢ عن حق كل دولة فى أن **تعيش ضمن حدود آمنة ومعترف بها، كانت الدولة الفلسطينية العربية من هذه الدول**. وهذا واضح أيضا، لأن دولتى فلسطين وإسرائيل قد تقرر قيامهما عملا بنفس قرار التقسيم عام ١٩٤٧، فإذا كانت قد قامت واحدة، وتأخر قيام الأخرى فهذا لا يحرمها من حقها فى المساواة. **والعيش « ضمن حدود آمنة ومعترف بها »**، لا يعنى إقدام دولة على ضم أراضى الدولة الأخرى. فقد كانت الغاية أن يظهر الإسرائيليون بأعمالهم وتصرفاتهم، أنهم عازمون على ترك حلم التوسع حتى يكون بإمكانهم العيش بسلام ضمن المنطقة المخصصة لهم بموجب قرار التقسيم. عليهم أن يظهروا أنهم عازمون على خلق جو سياسى وإعداد أرضية للتعايش السلمى، وبالمقابل يقوم الفريق الآخر بإظهار روح مماثلة. هذا هو الذى يغير طبيعة العلاقة بين الفرقاء. وإذا ما تم هذا، فأى حدود ستكون آمنة للفريقين للعيش ضمنها. فالتوسع وبناء المزيد من المستعمرات اليهودية على التراب الفلسطينى كل يوم لا يخلق الشىء المثالى الذى يحقق العيش ضمن حدود آمنة، بصرف النظر عن أين تكون هذه الحدود، وبدون ذلك فإن أية حدود مهما اتسعت لا تكون آمنة.

يجب ألا يحظى المعتدى بثمرة عدوانه

هذه الخلفية للقرار ٢٤٢ ضرورية لفهم النقطة المشار إليها أعلاه، وفهم ما قصده هؤلاء الذين صوتوا إلى جانب هذا القرار، الذى جاء نتيجة مشاورات كثيرة. إنه حصيلة ستة أشهر من المفاوضات والمناقشات والجهود الدبلوماسية.

لقد عارضت إسرائيل الانسحاب غير المشروط، وأصرت على أن يكون الانسحاب هو قسم من تسوية جميع النقاط الواردة فى القرار. وأصر الجانب العربى على **ألا يحظى المعتدى بثمرة عدوانه**، ويجب أن يكون الانسحاب **غير مشروط**. وأشار إلى موقف الرئيس إيزنهاور خلال العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦، عندما قال الرئيس الأمريكى لشعبه:

« كلما استعرضت سير الأحداث فى العالم هذه السنوات، ازددت قناعة أن الأمم المتحدة وأجهزتها تمثل أمل السلام فى العالم ».

وفى عام ١٩٦٧ استخدمت إسرائيل جميع جهودها الدبلوماسية وضغوط اللوبى الصهيونى فى أمريكا لضمان عدم إرغامها على الانسحاب الكامل قبل تحقيق السلام . وفى مقال حول هذه الجهود التى تمت عام ١٩٦٧ قبل وأثناء الحرب ، كتب جديون رافائيل الذى كان مندوب إسرائيل لدى الأمم المتحدة آنذاك يقول : « إن إسرائيل شعرت قبل بدء الحرب بضرورة تأمين التعاون بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية لتجنب ما وقع عام ١٩٥٦ ، عندما أخذت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى موقفا واحدا فى الأمم المتحدة أدى إلى فرض الانسحاب الإسرائيلى الكامل من غزة وسيناء . كان الموقف الأمريكى يستند على أن إسرائيل المحتلة لا تستطيع فرض شروطها للانسحاب وأن الفتح العسكرى لا يكون الإطار لمناقشة شروط السلام . وقال وكيل وزارة الخارجية الأمريكية هربرت هوفر أمام الجمعية العامة :

« غاية الميثاق هى السلام مع العدالة ، والأمم المتحدة هى الوسيلة لتحقيق ذلك ، فالسلام وحده لا يكفى ، والسلام بدون العدالة هو سلام مؤقت . ومن جهة أخرى ، فبدون سلام فالعدالة مهددة بحروب كثيرة غير عادلة » .

أما بالنسبة لحرب ١٩٥٦ ، فقد اتخذ الرئيس الأمريكى ليندون جونسون سياسة مختلفة .. قال السفير جولدبرج فى مجلس الأمن :

« ما يحتاجه الشرق الأدنى اليوم هو خطوات جديدة من أجل السلام الحقيقى لا مجرد إيقاف إطلاق النار ، وهو ما كان قائما خلال الثمانية عشر عاما الماضية ، وليس فقط الانسحاب الذى هو ضرورى ولكنه غير كاف » .

لقد بحث مجلس الأمن موضوع احتلال إسرائيل للمناطق العربية والحاجة إلى الانسحاب العاجل . وعندما لم يتفق أعضاء مجلس الأمن على موقف موحد ، نقل الموضوع إلى جلسة خاصة للجمعية العامة . ومن المفيد عرض ملخص التطورات الهامة التى جرت فى الجمعية العامة ومجلس الأمن :

بتاريخ ٦ يونية/حزيران ١٩٦٧ ، أصدر مجلس الأمن القرار رقم ٢٣٣ الذى طالب فيه الدول ذات العلاقة أن تتخذ فى الحال كخطوة أولى جميع الإجراءات لإيقاف إطلاق النار حالا وإيقاف جميع العمليات العسكرية فى المنطقة . **كان واضحا ومعروفا أن إيقاف إطلاق النار هو الخطوة الأولى والانسحاب هو الخطوة الثانية . وكان هذا هو مفهوم جميع أعضاء مجلس الأمن ، بل كان مفهوم الأكثرية الساحقة فى الجمعية العامة .**

وتقدمت ثمانى عشرة دولة من دول أمريكا اللاتينية بمشروع قرار للجمعية العامة بتاريخ ٣٠ يونية/حزيران ١٩٦٧ ، ليؤكد أن إيقاف إطلاق النار الذى أمر به مجلس الأمن كان خطوة أولى ويجب أن تتبعها إجراءات أخرى تقرها المنظمة ويلتزم بها الفرقاء ، وحدد مشروع القرار ضرورة اتخاذ الإجراءات التالية :

١ ـ أن تسحب إسرائيل جميع قواتها من جميع المناطق التى احتلتها نتيجة النزاع الأخير .

٢ ـ أن ينهى الفرقاء حالة الحرب القائمة ، وأن يقيموا حالة من التعايش معتمدة على حسن الجوار ، وأن يلجأوا فى جميع الحالات إلى تسوية النزاعات بالطرق السلمية حسب الميثاق .

يتضح من هذا أن الانسحاب الكامل لم يكن مدار مفاوضة وانه الخطوة الثانية بعد إيقاف إطلاق النار ، والخطوة الثالثة هى أن ينهى الفرقاء حالة الحرب ويقيموا التعايش المبنى على حسن الجوار والعودة إلى المنظمة الدولية وميثاقها لحل النزاعات بالطرق السلمية . وكل هذه المبادرات والقرارات تدور حول إعادة الحال السابق لخلق جو مساعد لحل قضية فلسطين .

وكان **مشروع امريكا اللاتينية** لا يختلف من حيث النقاط الأساسية عن القرار ٢٤٢ ، وهو يعكس نية أعضاء المنظمة الدولية بالنسبة لموضوع الانسحاب ، وكذلك التفسير الذى يجب أن يعطى للقرار ٢٤٢ . ولقد أكد هذا القرار الحاجة للانسحاب الإسرائيلى من جميع الأراضى التى احتلتها إسرائيل نتيجة الخلاف الذى وقع حديثا .

ومشروع قرار آخر قدمته تسع عشرة دولة من دول عدم الإنحياز فى آسيا وإفريقيا ، وقد جاء فى الفقرة الأولى منه ، المتعلقة بالانسحاب ما يلى :

« تطلب الجمعية العامة من إسرائيل أن تسحب فى الحال جميع قواتها إلى المواقع التى كانت تقف فيها قبل ٥ يونية / حزيران ١٩٦٧ » .

اما فى مجلس الامن ، فقد قدمت الهند ومالى ونيجيريا بتاريخ ٧ نوفمبر / تشرين الثانى ١٩٦٧ مشروع قرار يؤكد :

« عدم جواز الاحتلال أو حيازة الأراضى بواسطة الفتح العسكرى خلافا لميثاق الأمم المتحدة ، ولهذا فيجب انسحاب قوات إسرائيل المسلحة من جميع المناطق التى احتلت نتيجة الخلاف الذى وقع حديثا » .

وبتاريخ ١٠ نوفمبر / تشرين الثانى ١٩٦٧ ، **قدم الاتحاد السوفييتى** مشروع قرار لمجلس الامن تنص الفقرة الثانية (أ) منه على ما يلى :

« أ ـ أن يسحب فرقاء النزاع فى الحال قواتهم إلى المواقع التى كانوا فيها قبل ٥ يونية / حزيران ١٩٦٧ عملا بمبدأ عدم جواز حيازة مناطق نتيجة الحرب » .



□ المؤلف يرأس الجمعية العامة للأمم المتحدة ، باعتباره نائبا للرئيس في إحدى الجلسات التي غاب عنها الرئيس ، في أكتوبر/تشرين الأول ١٩٦٧ ، ويرى السفير السعودي وهو يتحدث للجمعية .

دور الولايات المتحدة

أما الولايات المتحدة الأمريكية ، فقد حاولت ربط الانسحاب الإسرائيلي بتحقيق حالة السلام « العادل » والدائم في الشرق الأوسط . فقد قدمت مشروعها بتاريخ ٧ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٦٧ وتنص الفقرة الأولى منه على ما يلي :

« إن مجلس الأمن :

أ - يؤكد أن تحقيق مبادىء الميثاق يستدعي تحقيق حالة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط تتضمن انسحاب القوات المسلحة من مناطق محتلة ، وإنهاء حالة الحرب ، والاعتراف المتبادل والاحترام لحقوق كل دولة في المنطقة وسيادتها والاحترام الاقليمي والاستقلال السياسي ، والحدود الآمنة والمعترف بها ، وعدم استعمال القوة أو التهديد بها » .

غير أن هذه المحاولة الأمريكية التي تجعل مفاوضات السلام تسبق الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة ، قد رفضتها الدول العربية التي تمسكت بمبدأ الانسحاب غير المشروط أولا . وهذا الاعتراض العربي الذي أيدته أكثرية أعضاء مجلس الأمن

هو الذى حمل أمريكا على عدم الإصرار على مشروع قرارها ، وهو الذى أدى إلى إقرار مشروع القرار البريطانى ، الذى تضمن مبدأ القانون الدولى الذى ينادى بعدم جواز أخذ أراضى الغير بالقوة وهو الذى تضمنه القرار رقم ٢٤٢ .

وعندما تقدم الأمين العام بواسطة ممثله الشخصى جونار يارينج لتنفيذ القرار ٢٤٢ ، أخذ يواجه نفس الموقف الأمريكى . فلا مبادىء القانون الدولى ولا شرعية الأمم المتحدة استطاعت اقناع الولايات المتحدة أو إسرائيل بتغيير موقفهما من موضوع الانسحاب . وعلى العكس من ذلك ، فقد لعبت الولايات المتحدة دورا فعالا لاستمرار الاحتلال الإسرائيلى . ليس هذا فحسب ، بل إن ضم بعض المناطق العربية بما فيها المدينة المقدسة ـ القدس ـ وكذلك الاستيطان الإسرائيلى ، كل هذا قابلته أمريكا بعدم اتخاذ أى إجراء فعال ، وبدأ الموقف الأمريكى يزداد تصلبا مع مرور الزمن رغم أن الولايات المتحدة قد أيدت فى يولية/تموز ١٩٦٧ مبدأ الانسحاب أولا . وفى الفقرة التنفيذية **للمشروع الأمريكى السوفييتى** ، الذى اتفقت عليه الدولتان العظميان بعد مفاوضات طويلة شاقة والذى وقع فى ١٩ يولية/تموز ١٩٦٧ ولم يقدم إلى الجمعية العامة ، نجد ما يلى :

« تؤكد الجمعية العامة مبدأ عدم جواز الاستيلاء على الأراضى عن طريق الحرب بموجب ميثاق الأمم المتحدة ، وتدعو جميع فرقاء النزاع إلى سحب قواتهم بدون تأخير من المناطق التى احتلوها بعد ٤ يونية/حزيران ١٩٦٧ . وتؤكد أيضا مبدأ قبول جميع الدول الأعضاء فى المنطقة بأن تتمتع كل منها بدون تأخير بحق وجود دولة وطنية مستقلة خاصة بها وفى العيش فى أمن وسلام . كما أنه يتوقع التخلى عن جميع الأعمال والطلبات التى لا تتفق مع هذا » .

هكذا كان الوضع قبل إقرار مجلس الأمن القرار ٢٤٢ بتاريخ ٢٢ نوفمبر/تشرين الثانى ١٩٦٧ ، ولدى تقديم مشروع القرار ، أكد لورد كارادون أن الغاية كانت الحصول على قرار متوازن ، لهذا كان **القسم الأول** منه يدعو إلى الانسحاب وإنهاء حالة الحرب ، **والقسم الثانى** يتضمن ما يتطلبه السلام . وكان كل هذا تمهيدا لفتح ملف قضية فلسطين .

لقد كان مفهوم الدول العربية ، ان تنفيذ القسم الأول كما هو المنطق يسبق القسم الثانى ، وانه يمهد الطريق إلى تنفيذ القسم الثانى .

وكان مندوب بريطانيا يحرص على نيل تأييد الاتحاد السوفييتى لهذا المشروع ، وقد اتصل بنائب وزير الخارجية كوزنتسوف لنيل هذا التأييد . وطلب الوزير السوفييتى إمهاله بعض الوقت ليقوم بالاتصال بموسكو ، ووافق اللورد كارادون على ذلك على أمل أن يحظى بالتأييد السوفييتى المطلوب . وفى اليوم التالى ، أبلغ كوزنتسوف كارادون موافقة حكومته على المشروع .

ومن أجل إقناع الدول العربية بقبول القرار ، أرادت الولايات المتحدة الأمريكية إظهار

جدية اهتمامها بسرعة تنفيذ القرار . وقد أكدت لنا أنها ستستعمل كل ثقلها من أجل هذه الغاية ، وطلبنا تسجيل ذلك فى مجلس الامن . وفى يوم إقرار القرار ٢٤٢ ، **تعهد المندوب الامريكى امام المجلس وسجل فى محضر جلسة ٢٢ نوفمبر/تشرين الثانى ان حكومته ستستخدم كل نفوذها الدبلوماسى والسياسى لدعم جهود الممثل الشخصى للأمين العام لتحقيق تسوية عادلة كريمة تمكن الفرقاء من العيش بسلام وامن واستقرار .**

المراوغة الإسرائيلية

وعندما عين الأمين العام ، السفير السويدى يارينج كممثل شخصى له ، واجه كما قلت مراوغة الإسرائيليين ورفض الانسحاب مطالبين بحل كامل قبل الانسحاب . وأيدت امريكا الموقف الإسرائيلى وقالت إن القسم الأول والثانى من القرار لا يمكن اعتبارهما إلا وحدة واحدة ، لهذا لابد من تنفيذ القرار كصفقة واحدة . وبعد مشاورات بين الدول العربية التى قبلت القرار ، وافقت على قبول الاقتراح الأمريكى . وأعلن محمود رياض بالنيابة عن هذه الدول فى مؤتمر صحفى كبير عقد فى قاعة الجمعية العامة ، أنه يرحب بتقديم السفير يارينج برنامجا زمنيا لتنفيذ جميع النقاط الواردة فى القرار « كصفقة » واحدة . وهذا ايضا رفضته إسرائيل التى أصبحت تقول لابد من تنفيذ القسم الثانى أولا ، وهكذا قلبت القرار رأسا على عقب ، وأضافت أن القرار يعنى وضع حدود آمنة ، ومتفق عليها عن طريق المفاوضات المباشرة بين الفرقاء .

وهنا أخذ الإسرائيليون يتقدمون بأنواع الاقتراحات والمشاريع التى لا تخلو من الغش والخداع كأساس للمفاوضات . وأخذت تنهال على الأسرة الدولية تفسيرات كثيرة مقدمة من مسؤولين إسرائيليين رسميين ، ورفض يوثانت ويارينج الموافقة على هذا الأسلوب الذى يتنافى مع نص القرار ولا يتفق مع شرعية الأمم المتحدة بالنسبة لهذه القضية .

بينما أخذت جهود السلام تصطدم بعقبات خلقتها التكتيكات الإسرائيلية ، **كانت الثورة الفلسطينية تنمو وتقوى** ، وبدا واضحا للأمم المتحدة أن السلام العادل والدائم يستدعى الاعتراف بالشعب الفلسطينى كفريق معنى مباشرة بالموضوع . واعترف يارينج أن هناك نقصا فى القرار ، لانه تجاهل الشعب الفلسطينى الذى تمثله منظمة التحرير الفلسطينية كفريق للنزاع ، ولم يضع إشارة لقضية فلسطين التى هى السبب الرئيسى لجميع النزاعات الماضية والحالية . وكان يعتقد أنه لابد فى مرحلة متقدمة من المباحثات من أن يتقدم الأمين العام بطلب إلى مجلس الأمن من أجل توسيع صلاحيات ممثله (يارينج) ، لتتضمن الاتصال بمنظمة التحرير الفلسطينية كطرف رئيسى بالنسبة لقضية فلسطين .

اقتراح اجتماع الدول الكبرى

تعثرت الأمور بسبب الغطرسة الإسرائيلية ، وكادت أن تجمد مهمة يارينج . **وهنا تقدمت فرنسا لإنقاذ الموقف مقترحة اجتماع الدول الكبرى الأربع ، وهى الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفييتى ، وبريطانيا ، وفرنسا** ، من أجل مساعدة السفير يارينج فى مهمته .

واجتمع ممثلو الدول الأربع على أمل المساهمة فى تسهيل مهمة يارينج . غير أن جميع جهودهم قد باءت بالفشل وتوقفت اجتماعاتهم ، **وهنا لابد من الإشارة لأسباب هذا الفشل** .

بدأ سفراء الدول الأربع اجتماعاتهم فى ربيع ١٩٦٩ . فعقدت **الجلسة الأولى** فى منزل السفير الفرنسى الذى ترأس الاجتماع الأول لأن المبادرة كانت فرنسية ، وكان عامل المجاملة يستدعى أن يعقد **الاجتماع الأول** فى السفارة الفرنسية بنيويورك . وعقد **الاجتماع الثانى** فى منزل السفير السوفييتى (جاكوب مالك) . وعقد **الاجتماع الثالث** فى منزل السفير البريطانى (اللورد كارادون) . وعقد **الاجتماع الرابع** فى منزل السفير الأمريكى (يوست) ، وهو سفير دولة المقر .

وترأس كل سفير الاجتماع الذى عقد فى منزله وكان يرافقه نائبه ومستشاره . كانت اجتماعاتهم سرية ولغتها الرسمية الانجليزية ، وكان معهم مترجمان للمساعدة إذا طلب الفرنسى أو السوفييتى ذلك .

وانبثقت عن الاجتماع لجنة فرعية اسمها « **مجموعة العمل** » مشكلة من مساعدى السفراء . وكانت مهمة اللجنة وضع ورقات العمل . اجتمعت مجموعة العمل مرة فى الأسبوع . وهذا ما حملنى والسفير المصرى محمد عوض القونى على **الاعتقاد بأن عمل السفراء لا يتميز بالجدية** ، وأن بعضهم يرى أن التوتر فى المنطقة والمضاعفات تستدعى عملا مهدئا يبعث الهدوء فى المنطقة ، واستغلت الاجتماعات لهذه الغاية . أثرت والسفير القونى هذه النقطة مع السفراء الأربعة وكان موقف أمريكا وبريطانيا لا ينقصه الوضوح :

« نحن فى حاجة إلى تعليمات من حكوماتنا على كل نقطة تثار خصوصا تلك التى لا اتفاق عليها » .

لم يقنعنا هذا الكلام ، وتوصلت والقونى إلى نتيجة واحدة ، هى أن بعض الدول الكبرى تستخدم هذه الاجتماعات للغايات التى أشرت إليها .

وافقت اللجنة الرباعية فى بداية اجتماعاتها على مبادىء رئيسية توجيهية لمساعدة السفير يارينج وهى :

١ - أن يتم تنفيذ القرار ٢٤٢ بجميع اجزائه كصفقة واحدة للتسوية .

٢ - أن أسس التسوية يجب أن يتفق عليها كصفقة واحدة .

٣ - انه لا يجوز ولن يكون هناك مكاسب إقليمية عن طريق الحرب .

٤ - لن يفرض اى حل على الأطراف ، واى اقتراحات بشأن التسوية لابد من تقديمها إلى الفرقاء للموافقة .

٥ - أن الهدف النهائى هو الوصول إلى سلام دائم مبنى على العدالة حيث تعيش كل دولة فى سلام ، وان العلاقة لن تكون مبنية - كما هو الحال فى الماضى - على إيقاف لاطلاق النار او اتفاقية هدنة .

٦ - أن الدول الاعضاء بقبولها الميثاق قد الزمت نفسها بالتقيد بالمادة (٢) منه ، التى تؤكد المساواة بين الدول وتسوية مشاكلها بالطرق السلمية وان لا تلجا إلى القوة او التهديد بها او التدخل فى شؤون الدول الاخرى الداخلية .

اعتبرت هذه النقاط الست هى إطار التسوية وتضمنت محاولة لإيضاح أى غموض فى القرار ٢٤٢ . وعندما ترأس لورد كارادون الاجتماع الثالث ، افتتحه بقوله : « نحن نعمل فى إطار قرار نوفمبر/تشرين الثانى ، كامل القرار ولا شىء إلا القرار » . وعندما نقل لى السفير السوفييتى مالك ما قاله اللورد فى الاجتماع حول القرار ٢٤٢ ، قلت للسفير الروسى : إنه كان عليه أن يضيف « فليساعدنى الرب » لأن كلمات كارادون كانت أشبه بالقسم .

ضحك مالك لأن بداية الاجتماع كانت مسلية .

وقال السفير الأمريكى تشارلز يوست فى تلك الجلسة إن سياسة حكومته تقف على ثلاث لاءات : « لا تغييرات جذرية .. لا خطة آلون .. ولا ثقل للفتح » . وكان بذلك يذكّر بلاءات الخرطوم .

وقال السفير مالك : إنه لابد ، على أساس أنبيانين المقدمين قبل قليل ، من إصدار بيان يوضح الفقرة المتعلقة بالانسحاب وأن يعطى البيان الأولوية فى عملنا . وأضاف : دعونا نقول انسحاب من سيناء والقطاع (غزة) والقدس والضفة الغربية ومرتفعات الجولان .

ورد يوست : علينا أن نقول انسحاب لحدود آمنة .

مالك : هذه لا وجود لها فى القرار ٢٤٢ ، فالقرار يتحدث عن انسحاب من الأراضى المحتلة ، والحدود الآمنة تأتى فى المرحلة الثانية وتعنى آمنة للفريقين .

مقابلة هامة للسفير الأمريكى

قمت بتاريخ ١٨ ابريل/نيسان ١٩٦٩ بزيارة السفير الأمريكى وليام بافام فى مكتبه من أجل أن أحصل على صورة أوضح بالنسبة للموقف الأمريكى. وبافام هو نائب « جولدبرج » وشغل بعد ذلك منصب الأمين العام المساعد فى الأمم المتحدة ، وهو شخص أقدر نزاهته . وسألته عن الموقف فى الاجتماعات الرباعية ، وقال : إنهم اجتمعوا أربع مرات حتى الآن . **فى الاجتماع الأول ، دارت المناقشة حول القرار واتفق ان يكون القرار أساس المناقشة ، وان بيانا للصحافة لابد منه لتاكيد جدية العمل وان البيان يمنع اى سوء فهم لما يجرى فى ذلك الاجتماع .**

وفى الاجتماع الثانى ، قدم الوفد الأمريكى ورقة عمل امريكية وقدم الوفد السوفييتى ورقة عمل روسية ، واتفق على ان تنظر الورقتان سوية . تضمنت الورقة الأمريكية عناوين مثل « السلام » .. « الانسحاب إلى حدود آمنة » ... الخ . ولم يتوصل المجتمعون إلى اتفاق على هاتين الورقتين ، واتفقوا فقط على بحث القرار فقرة فقرة .

كان الموقف الفرنسى متميزا بالوضوح ، لأن النص الفرنسى كان واضحا ولا يحتاج إلى تفسير .

باشر الأعضاء بحث الفقرة الأولى من القرار ، أى الانسحاب ، ولم يتفقوا على نقطة محددة : هل سيكون الانسحاب من الأراضى المحتلة أو لحدود آمنة ؟ وهذا يعنى هل تعالج المسألة على مرحلة أو مرحلتين ؟ قال السفير السوفييتى : إن القرار يدعو إلى مرحلتين تبدأ الأولى بالانسحاب الكامل وبعد ذلك يبحث موضوع الحدود الآمنة لجميع الفرقاء كمرحلة ثانية . وهنا تأجل الاجتماع للحصول على تعليمات من الحكومات الأربع .

قال بافام : رُكِّز على نص الفقرة الأولى كثيرا ولم يتم الوصول إلى اى اتفاق .

واقترح السفير الفرنسى أن يصدر بيان يعكس النية ، وذلك لتطمين شعوب المنطقة وتخفيض التوتر . لم يُوافق على ذلك ، وشعر البعض أنه سيكون لذلك أثر معاكس قد يخلق عقبات لمهمة يارينج ، وقد يولد خيبة أمل لدى شعوب المنطقة . بينما قد تأتى إسرائيل ـ التى استمرت فى وضع العراقيل لجميع المحاولات الهادفة لتحقيق الانسحاب ـ بنص معاكس

أو قد تعمل على إعاقة عمل الأربعة . لجميع هذه الأسباب اسقطت فكرة إصدار بيان نوايا .

وفى الاجتماع الثالث ، بدأ الأعضاء فى بحث أمور أساسية ، اقترح وضع صيغة تقدم إسرائيل بموجبها « الانسحاب » والعرب يقدمون « تعاقد السلام » أو « عقد سلام » . لم يتقدم أحد من الأربعة باقتراح « معاهدة سلام » ، لأن الأربعة كانوا على قناعة أن معاهدة سلام هى من الأمور المستحيلة .

وعندما اجتمع الأربعة فى اجتماعهم الرابع ، عادوا لبحث المادة الأولى ، الفقرتان (١) و (٢) . أكد الوفد الأمريكى ما قاله وزير خارجيته من أن الانسحاب يجب أن يكون لحدود آمنة . وأصر مالك على أن يكون الانسحاب من الأراضى المحتلة وأن تأتى الحدود الآمنة فى المرحلة الثانية . وقال السفير الأمريكى يوست : إن الاثنين يسيران سوية ولا يمكن أن يكون هناك حدود آمنة ومعترف بها بدون انسحاب من مناطق محتلة . وأضاف : الحدود مرتبطة بأمن الفريقين .

وأكد يوست أن تغيير خطوط هدنة ١٩٤٩ يعتمد على الحاجة إلى أمن الفريقين . وأضاف : تغيير الخطوط القائمة يجب أن يكون محصورا فيما يستدعيه الأمن المشترك ، ويجب أن لا يعكس ثقل الفتح . وجميع الفرقاء ـ كما قال ـ يعترفون أن هناك مناطق على خط الهدنة تحتاج إلى تصحيح وهذا لا يمكن فرضه . والولايات المتحدة لا تؤيد تغيير مناطق بشكل واسع كما جاء فى خطة آلون ، فالعدالة تقتضى أن تكون التغييرات بموافقة الفريقين المعنيين . والدول العربية لها الحق فى أن تفكر فى أمنها ، ولهذا فموافقة الفريقين مطلوبة .

وفى اجتماعى بالسفير الأمريكى أثرت هذا السؤال :

« انت تقول إن الانسحاب مرتبط بالحدود الآمنة ، لهذا فانت تصر على ضرورة موافقة إسرائيل . وإسرائيل لن توافق . وستستمر فى تغيير معالم الأراضى المحتلة وستواجهكم بأمر واقع جديد » .

أجاب السفير : إن الرأى العام العالمى ومجلس الأمن والدول الكبرى الأربع لن يسمحوا لمثل هذا أن يحدث .

وفى الاجتماع الرابع ، قال السفير يوست :

« لا نرى أن يتم الانسحاب ما لم تتلق إسرائيل تأكيدات بسلام دائم وملزم ، والحصول على التزام تعاقدى من أجل السلام ضرورى وحيوى للفريقين » . وأضاف أن هذا الاتفاق التعاقدى يجب أن يتضمن ما يلى :

١ ـ أن يكون الالتزام شاملا .

٢ ـ أن يكون تعاقديا وملزما للطرفين ، يعنى أن تكون حالة السلام معرّفة فقهيا وملزمة تعاقديا .

٣ ـ أن يتم الوصول إلى المحتوى بالاتفاق بين الفرقاء بواسطة السفير يارينج مع أنه يمكن عقد اجتماع لوضع اللمسات التفصيلية الأخيرة .

وبالنسبة لعقد معاهدة ، فقد شعر الأمريكيون أنه ما دام من الصعب الحصول على معاهدة سلام ، فمن الممكن إذا قبلت فكرة وضع اتفاقية ، أن يستفاد من الصيغة التى استخدمت بعد الحرب العالمية الثانية لوضع تدبيرات ثنائية بين الاتحاد السوفييتى واليابان . وهذه لم يكن لها قوة معاهدة سلام ، لكنها كانت اتفاقية ملزمة للطرفين .

وقال السفير مالك : إن شكل الوثيقة يأتى فى مرحلة ثانية . أما السفير يوست ، فقد شعر أن الشكل هو أساسى فى هذه الحالة وأن الاتفاقية لابد أن تكون دائمة .

ظهر واضحا أن الدول الأربع غير متفقة على تفسير القرار ٢٤٢ ، قال السفير يوست :

« نحن متفقون على الانسحاب من أراض محتلة ، غير أن القرار لم يقل الانسحاب إلى أين . نحن لسنا لجنة حدود . على الفرقاء انفسهم الاتفاق على ما الذى يحقق الأمن المتبادل » .

وعندما بحثت هذه المسألة مع السفير الأمريكى ، أصر على أن أى اتفاقية يجب أن تكون دائمة ، وأضاف : إن علينا أن نكون حاضرين لتوقيع وثيقة لا معاهدة سلام . أما بالنسبة للانسحاب ، فقد ذكر أن الاحتلال هو الورقة الرابحة فى يد إسرائيل . وأنهم لا يمكن أن يتركوا الأرض المحتلة ما لم يعرفوا ما هو مدى المجازفة والنتائج . والتنازلات التى تعطى من الجانب العربى هى تصريح رسمى عن السلام ، وهذا لا يكون سارى المفعول إلى أن يتم الانسحاب ، ولهذا فالانسحاب وتصريح السلام هما قسم من صفقة شاملة وكاملة ، ولابد أيضا من عقد ملزم يحقق السلام .

وفى أثناء زيارتى للسفير بافام فى شهر أبريل/نيسان ١٩٦٩ طلبت إليه بيان الموقف الاسرائيلى ، قال : إن الأمريكيين قد أبلغوا الاسرائيليين أنه سيكون هناك اجتماع رباعى للدول الأربع الكبرى ، وأنه لن يكون هناك مشروع الون لأنه غير مقبول ، ولا معاهدة سلام ، ولا حيازة مناطق كبيرة من قبل إسرائيل ، ولا بحث أمن إسرائيل فقط بل الأمن للجميع .

وأكد لى السفير الأمريكى أنهم « معرضون لضغوط من تل أبيب ولكن لن يقف أى ضغط فى طريق سياسة أمريكية متوازنة » .

وعلمت أنه فى نهاية الاجتماع الرابع لم يعلن الملخص للبيانات التى قيلت فى الاجتماع ، وأشارت الولايات المتحدة إلى أنه يمكن تلخيص الموقف بما يلى :

١ ـ أن هناك ضرورة للسلام العادل والدائم وهناك حاجة لاتفاقية لذلك .

٢ ـ لابد من التزام متبادل وملزم ، وهذا يجب أن يكون شاملا .

٣ ـ أنه لابد من اتفاق ملزم للفرقاء تحت إشراف السفير يارينج ومساعدة الدول الأربع الكبرى .

٤ ـ أن الالتزام يجب أن يكون غير قابل للنقض أو الالغاء ، ولابد من دور تلعبه الأمم المتحدة .

توقف اجتماع الدول الكبرى

فى مرحلة لاحقة ، اختلفت الدول الأربع حول اتخاذ خطوات أخرى . فالولايات المتحدة لا تريد تقدما حقيقيا لأن هذا يعمل لمصلحة جميع الدول الكبرى ، بينما هنرى كيسنجر يريد أن يكون هو والولايات المتحدة المستفيدين الوحيدين . فبينما كان الاتحاد السوفييتى وفرنسا يريدان اقتراحات واضحة ومحددة لتنفيذ القرار ٢٤٢ ، لم تشارك الولايات المتحدة فى هذا الراى ، ووصلت المباحثات إلى طريق مسدود . كان موقف امريكا تمليه القناعة بانه لا بريطانيا ولا فرنسا تستطيع أن تلعب اى دور حقيقى فى الشرق الأوسط ، وهى لا تريد ايضا دخول الاتحاد السوفييتى فى تسوية امنية .

شعر جاكوب مالك أن أمريكا لا تريد للاجتماعات التقدم ، ولا أية مشاركة سوفييتية فى جهود السلام . ولاحراج الولايات المتحدة ، أعلن عن عزمه إذا بقى الحال على ما هو عليه العودة إلى الاتحاد السوفييتى فى منتصف يونية / حزيران . ولم يساعد هذا وسافر مالك واستمر المأزق حتى نهاية العام .

وعززت هذه المناورات التى انتهت إلى مأزق قناعتى أن لا أمل من هذه المباحثات ، وأن الانسحاب الاسرائيلى من الأراضى العربية لن يتم إلا فى إحدى حالتين : إما الضغط الأمريكى ، او القوة العربية . ولعدم توافر اى منهما ، فستزداد المضاعفات فى المنطقة . وبقيت هذه قناعتى عند كتابة هذا الكتاب .

وفى الثانى من ديسمبر/كانون الأول ١٩٦٩ ، عاد سفراء الدول الأربع للاجتماع فى بيت السفير الأمريكى برئاسة تشارلز يوست . واتفقوا على أن يبدأوا تطوير النقاط الست التى اتفقوا عليها من أجل تقديمها ليارينج كتوجيه للنهج الذى يجب أن يسير عليه فى مهمته ، وأنهم من خلال يارينج يريديون مساعدة الفرقاء للوصول إلى سلام عادل ودائم . ووافقوا على أن دورهم هو تقديم النصيحة والمساعدة ليارينج فى أثناء المفاوضات .

وفى تلك الجلسة كان التركيز على الأردن . واتفقوا على أن الموضوع الذى هو أمام يارينج بالنسبة للقرار ٢٤٢ ليس موضوع اقليمى بل موضوع أمنى . **ومرة أخرى لم يصل السفراء إلى اى تقدم ملموس** . وكان علىّ أن اتقدم للجمعية العامة قبل نهاية دورتها ، لكشف ما يجرى فى اجتماعات الدول الكبرى ، التى طال انتظار نتائجها وعلق عليها الكثير من الآمال . **قلت فى الجمعية العامة : « إن هذا القرار يحمل رقم ٢٤٢ ، وأن الدول الأربع لم تصل إلى اتفاق لأنهم أربع دول وقفوا اثنين مقابل اثنين ! امريكا وبريطانيا فى جهة ، وفرنسا والاتحاد السوفييتى فى جهة اخرى** . ومرة ثانية وصلت المباحثات إلى مأزق .

وفى نفس الوقت ازدادت قوة المقاومة الفلسطينية للاحتلال الاسرائيلى . ظهر النضال بخبرة أكثر ، وتمرين أكثر دقة . ولجأ الاسرائيليون إلى أعمال الانتقام ضد دول عربية مجاورة ، يهاجمون أحيانا الأردن وأحيانا سوريا وأحيانا مصر . وكثرت الشكاوى لمجلس الأمن لردع الصلف الاسرائيلى ، لكن مجلس الأمن مشلول الحركة بسبب طبيعة تشكيله ، والفيتو الذى تتمتع به الولايات المتحدة . ولم يستطع ان يتخذ عقوبات ضد إسرائيل وبقى مجمدا . كانت لديه الصلاحية ، لكنه لا يمارسها . **وبعد ذلك جاءت حرب سنة ١٩٧٣** ، وتحرك كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية آنذاك ، والذى لم يشأ أن يكون لأى عضو من أعضاء الأمم المتحدة فضل المشاركة فى تحقيق السلام فى الشرق الأوسط ، إذ أراد **ان يكون كل شىء امريكيا ، وان يكون هو النجم المضىء فى الدبلوماسية الأمريكية** ، فقد تجمدّت عمليا فى عهده مهمة يارينج ، وبدأ **دبلوماسية الخطوة خطوة** . وعندما تغيرت الادارة الأمريكية ، انتهى دور كيسنجر وتقدم ريجان بمبادرة جديدة فى سبتمبر/ أيلول ١٩٨٢ .

وطيلة هذه المدة كانت إسرائيل تمشى بتكتيك المراوغة لكسب الوقت ، وتأخذ فى تغيير وضع الأراضى المحتلة ، واستمرت فى إقامة المستعمرات اليهودية فى الضفة الغربية وقطاع غزة والجولان السورية . وخطوة خطوة ، أخذ الاسرائيليون يضمون أجزاء من الأراضى المحتلة . وأقاموا المزيد من المستعمرات فى القدس وقطاع غزة والضفة الغربية والجولان . وأخذوا يواجهون العالم بالأمر الواقع الجديد . ووقفت القرارات التى سبق للأمم المتحدة أن أقرتها ، بما فيها قرار التقسيم ، فى طريق إسرائيل التى لم تعد ترغب فى أن يكون لها أية علاقة بالمنظمة أو جهازها التنفيذى .

وظهرت المراوغة الاسرائيلية واضحة عندما كلفت بتنفيذ القرار ٢٤٢ ، وردت على ذلك

بتفسيرات للقرار لا أساس لها من الصحة . كان من بينها موضوع الانسحاب الوارد فى القرار . لم يكن موضوع الانسحاب الكامل قابل للمساومات . ولم يعترض عليه أى عضو من أعضاء الأمم المتحدة قبل وبعد إقرار القرار ٢٤٢ . حتى الولايات المتحدة التى أعطت إسرائيل الكثير من الدعم فى جوانب كثيرة من جوانب القضية الفلسطينية ، لم تعارض فى ذلك الوقت مبدأ الانسحاب الكامل . كل ما أراده الرئيس جونسون هو إجراء تعديلات طفيفة لصالح الطرفين . وكلمة « **طفيفة** » تأكدت فى جميع الاتصالات . وكلمة « **الطرفين** » أيضا تعنى ما يخدم أمن الفريقين .

ولهذا السبب **وافق الجميع على أن يتضمن القرار ٢٤٢ مبدأ القانون الدولى الذى لا يجيز حيازة الأرض عن طريق الحرب** . والولايات المتحدة لا تنسى أنها لعبت دورا قياديا فى صياغة المادة ١٧ من ميثاق بوجوتا الذى حدد المبادىء التى تقف عليها العلاقة بين دول القارة الأمريكية ، بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية . وقد تضمنت المادة ١٧ مبدأ القانون الدولى الآنف الذكر . ومن جهة أخرى ، أكدت الجمعية العامة للأمم المتحدة مرة أخرى هذا المبدأ ، وما زال يمثل جزءا من القانون الدولى اليوم .

فى مقال وصلنى من اللورد كارادون ـ لم ينشر ـ حول انطباعاته بعد زيارته للشرق الأوسط عام ١٩٧٥ ، كتب يقول :

« بعض الاسرائيليين لا يعتقدون أنه يمكن الدفاع عن منطقة الساحل بدون تأمين منطقة لأمنها تمتد من العريش على البحر الأبيض المتوسط وتتجه إلى نقطة تقع غرب شرم الشيخ » .

هذا الخط يقسم صحراء سيناء إلى قسمين . وعلّق كارادون على هذا بقوله :

« المزعج فى مثل هذا القول هو الروح التى يعكسها ، روح خذ ما تريد واعمل ما يحلو لك . وهى تحدٍ لحقوق الآخرين وتنكر لها ، وهذا ما قامت عليه تصرفات إسرائيل ما بين حربى ١٩٦٧ و ١٩٧٣ » .

وقد أشار اللورد كارادون إلى محادثة تمت بينه وبين جنرال إسرائيلى بثها راديو إسرائيل فى القدس . وفى هذه الندوة قال للجنرال :

« من المؤكد أنك تقدر أن القلاع فى مناطق معادية لا تؤمن السلام ، بل تضمن استمرار العداء » .

وتطرق اللورد كارادون للقرار ٢٤٢ وأكد مبدأين أساسيين :

الأول : عدم جواز حيازة الأرض بواسطة الحرب .

الثانى : سيادة كل دولة فى المنطقة ووحدتها الاقليمية واستقلالها ، وحق هذه الدول فى العيش فى سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها بعيدة عن التهديدات وأعمال القوة .

وقال كارادون :

« إذا أرادت إسرائيل أن تعيش فى سلام بعيدة عن التهديدات وأعمال القوة ، عليها أن تقرر ما الذى سيحدث للمناطق التى احتلتها فى حرب ١٩٦٧ ، والتى بموجب القرار ٢٤٢ على إسرائيل إخلاؤها » .

وأضـــاف :

« فى البداية كان المتوقع أن تعود الضفة الغربية إلى الأردن ، غير أن منظمة التحرير الفلسطينية عارضت ذلك . فإذا لم تنجح فكرة منظمة التحرير حول أن تصبح فلسطين جميعها فى يوم من الأيام دولة عربية إسرائيلية (فكرة دولة علمانية) ، وإذا كانت عودة المناطق المحتلة إلى الأردن تواجه معارضة المنظمة ، فمن الواضح أن الامكانية الوحيدة الباقية هى إنشاء دولة فلسطينية مستقلة » .

وعن الفلسطينيين ، قال كارادون :

« إنهم موهوبون ، إنهم رجال ، إنهم شعب يتمتع بثقافة عالية ، إنهم بحاجة إلى اعتراف وإلى وطن يحافظ على هويتهم المميزة ، وبحاجة إلى فرصة لاستخدام مواهبهم العالية لأعمال بناءة » .

والمؤسف أن أمريكا لم تلعب الدور المطلوب لتحقيق السلام فى المنطقة ، وذلك بدعم الحل العادل الذى أشار إليه اللورد كارادون . وقد ذكرت جريدة « لندن تايمز » بتاريخ ٢٨ أغسطس / آب ١٩٧٨ أن الدكتور كيسنجر :

« أعلم القادة الاسرائيليين أن الولايات المتحدة لن تستعمل أية ضغوط عليهم لفك مستوطنات الجولان بأى اتفاق يتم . وأن الاسرائيليين على ثقة أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تستعمل أى ضغط لمنع استمرار بناء المستوطنات فى الضفة الغربية وقطاع غزة » .

الانسحاب الكامل هو الشرط الذى يسبق السلام الدائم ، وهذا هو التفسير

الصحيح والمنطقى للقرار ٢٤٢ . وأى اتفاق على حل بينما الاحتلال قائم ، لا قيمة له ويعتبر أنه أخذ نتيجة الاكراه وهو لاغ وباطل .

عندما اقترح الوفد الأمريكى فى السادس من يونية/حزيران عام ١٩٦٧ إيقاف إطلاق النار بين الفرقاء ، أصر الجانب العربى أن يتضمن القرار أيضا انسحاب جميع القوات الاسرائيلية فى الحال من الأراضى المحتلة . . هذان الاجراءان ينفذان فى آن واحد . وقال العرب إن هذا ما تم عام ١٩٥٦ مع مصر .

لم توافق أمريكا على ذلك واستمرت الحرب . ومنعا للمزيد من سفك الدماء بسبب ما سمي بالمزيد من « المشاورات بين أعضاء مجلس الأمن والفرقاء » ، اتفق أخيرا على أن **يتخذ مجلس الأمن قرار إيقاف إطلاق النار « كخطوة أولى » ، على أن تكون « الخطوة الثانية » هى الانسحاب ، « والخطوة الثالثة » هى بداية الجهود لتحقيق التسوية السلمية .**

اتفق محمود رياض نائب رئيس وزراء مصر وعبد المنعم الرفاعى رئيس وزراء الأردن وانطون عطا الله وزير خارجية الأردن على أن يكون الانسحاب كاملا . **وعندما سأل يارينج ـ فى أثناء مساعى تنفيذ القرار ٢٤٢ ـ مصر والأردن عن مفهومهما لكلمتى « حدود آمنة » ، كان الرد انهما لا يعرفان بأى حدود أمن معترف بها عدا خط التقسيم الذى تضمنه قرار الجمعية العامة بتاريخ ٢٩ نوفمبر/تشرين الثانى ١٩٤٧** . وقد وزعت هذه الردود بطلب منى كوثيقة رسمية من وثائق الأمم المتحدة . وفيما يلى سؤالا يارينج الموجهان للفرقاء ، وردهم على كل سؤال :

السؤال الأول :

هل اسرائيل (الأردن أو الجمهورية العربية المتحدة) تقبل حق الأردن ، لبنان ، والجمهورية العربية المتحدة (إسرائيل) فى العيش بسلام داخل حدود آمنة ومعترف بها بعيدة عن التهديدات أو استعمال القوة ؟ .

جواب الأردن :

الأردن يوافق على حق كل دولة فى المنطقة فى العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها متحررة من التهديدات أو أعمال القوة ، شريطة أن تسحب إسرائيل قواتها من جميع الأراضى العربية التى احتلتها منذ ٥ يونية/حزيران ١٩٦٧ ، وأن تنفذ قرار مجلس الأمن بتاريخ ٢٢ نوفمبر/تشرين الثانى ١٩٦٧ . وكان رد مصر متطابقا مع الرد الأردنى ، أما رد اسرائيل فقد كان كما يلى :

تقبل إسرائيل حق الأردن ، ولبنان ، والجمهورية العربية المتحدة ، والدول المجاورة الأخرى فى العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها متحررة من تهديدات أو أعمال القوة . والمعاملة بالمثل هى شرط إسرائيل الوحيد لقبول هذا . وأعمال القوة تشمل جميع الاستعدادات والأعمال والحملات التى تقوم بها قوات غير نظامية أو نظامية أو أفراد موجهة ضد حياة وأمن أو أملاك إسرائيل فى أى مكان فى العالم .

السؤال الثانى :

فى هذه الحالة ، ما هو التصور للحدود الآمنة المعترف بها الذى تراه إسرائيل (الأردن ، الجمهورية العربية المتحدة) ؟ .

رد الأردن ومصر كما يلى :

عندما جىء بقضية فلسطين أمام الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ ، تبنت الجمعية العامة قرارها رقم ١٨١ القسم ٢ بتاريخ ٢٩ نوفمبر/تشرين الثانى ١٩٤٧ لتقسيم فلسطين ، وقد حددت الحدود .

وقد رفض الاسرائيليون تحديد مطالباتهم الحدودية ، وكان ردهم :

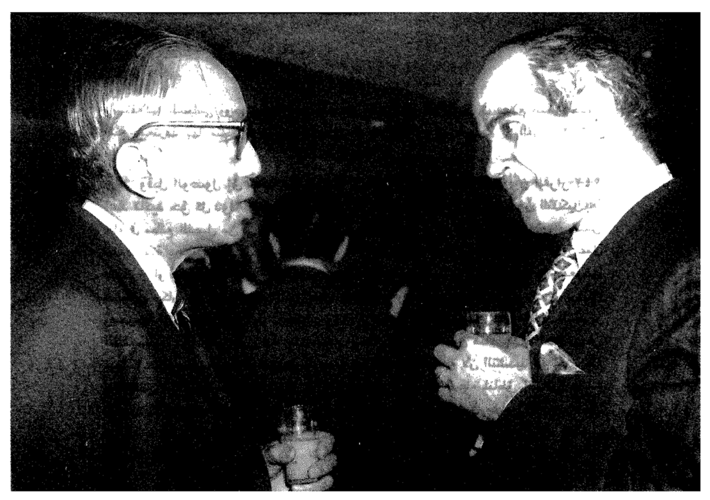
لا توجد حدود آمنة ومعترف بها بين إسرائيل والدول العربية ، ولهذا يجب إنشاء هذه الحدود كجزء من عملية السلام ، ويجب إبدال إيقاف إطلاق النار بمعاهدات سلام توجد حدودا دائمة وآمنة ومعترفا بها ، كما يتفق عليه بواسطة المفاوضات ما بين الحكومات المعنية .

وبتاريخ ٢٥ يناير/كانون الثانى ١٩٧١ ، قدمت الحكومة الأردنية موقفها الرسمى من خلال السفير جونار يارينج عندما استأنف مهمته ، كما يلى :

١ - انسحاب القوات العسكرية الاسرائيلية من جميع المناطق بدون استثناء عملا بالقرار ٢٤٢ (١٩٦٧) ، الذى أكد « عدم جواز الاستيلاء على الأراضى بواسطة الحرب » . على إسرائيل قبول ووضع هذه الفكرة التى تحكم العلاقات بين الشعوب موضع التنفيذ .

٢ - السلام لا يتجزأ . لكل دولة فى المنطقة الحق فى العيش بسلام داخل حدود آمنة ومعترف بها متحررة من تهديدات أو أعمال القوة ، وعلى اسرائيل بوضوح أن تتخلى عن سياستها التوسعية .

٣ - تعترف حكومة الأردن بأهمية مدينة القدس العربية الدينية الثقافية لجميع



□ الدكتور الفرّا يتحدث مع يوثانت حول مباحثات يارينج ، في سبتمبر/ أيلول ١٩٧٠ .

الأديان ، وستضمن حرية الوصول لجميع الأماكن التاريخية والدينية لجميع أصحاب العلاقة بما في ذلك حرية العبادة . الأردن على استعداد لعمل الترتيبات اللازمة لتحقيق ذلك .

٤ ـ يجب الوصول إلى تسوية عادلة لمشكلة لاجئي فلسطين . يمكن تحقيق ذلك عن طريق احترام إسرائيل لحقوق الشعب الفلسطيني حسب قرارات الأمم المتحدة .

٥ ـ إلغاء جميع مطالبات حالات الحرب أو المطالبة بوجودها وضمان حرية الملاحة في المياه الدولية .

٦ ـ حرمة وعدم انتهاك المناطق الاقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة من دول المنطقة . يمكن للأعضاء الأربعة الدائمين الحصول من خلال مجلس الأمن على ترتيبات مناسبة لضمان الأمن لجميع دول المنطقة . يمكن لهذه الترتيبات أن تتضمن وضع قوة مراقبة دولية يشارك فيها أعضاء مجلس الأمن الدائمو العضوية . وتدبيرات الأمن للدول في المنطقة قد تتضمن إنشاء مناطق منزوعة السلاح على أساس التبادل .

٧ ـ وبتنفيذ الخطوات المذكورة أعلاه ستختفي عوامل النزاع والتوتر ، ويتبع ذلك السلام العادل والدائم . وسيكون هناك احترام واعتراف بسيادة كل دولة في المنطقة

واستقلالها السياسى ووحدتها الاقليمية ، وحق هذه الدول فى العيش فى سلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها متحررة من تهديدات أو أعمال القوة ، كما وردت فى القرار ٢٤٢ .

وقبل الوصول إلى نهاية هذا الفصل من الكتاب ، لابد من القول بأن القرار ٢٤٢ أعاد تأكيد حق كل دولة فى العيش ضمن حدود آمنة معترف بها . ولابد من التذكير بما جاء فى مطلع الفصل من أن التشديد هنا كان على كلمة حق كل دولة فى « **العيش** » ضمن حدود آمنة . معنى هذا - كما سبق وقلت - أن لكل دولة الحق فى أن لا تواجه بأى عمل عسكرى أو عمل مقاومة يزعج حياتها أو يجعل « **العيش** » ضمن حدودها غير آمن ومعرض للخطر . وكان فى ذهن أولئك الذين فاوضوا ووضعوا مشروع القرار تعديات إسرائيل وهجومها المتكرر على جيرانها ، وعمليات رجال المقاومة التى يقوم بها رجال منظمة التحرير الفلسطينية . وكانوا يعرفون أنه عندما يقوم السلام العادل ستكون هناك حدود آمنة تعيش فيها كل دولة . لم يكن القصد تغيير حدود وضعتها الأمم المتحدة لأن التشديد هو على كلمة « **العيش** » ، وهذه قصد منها نفى وإبعاد أى امكانية لأى ادعاء لمناطق اضافية باسم الحدود الآمنة . لقد آثرت هذه النقاط مع جميع الأعضاء الدائمين فى مجلس الأمن وفى كل مرة بحث هذا الموضوع مع السفير يارينج . وتحدت السلطات الاسرائيلية كل منطق ، وتنكرت لكل ما اتفق عليه ، وبقى القرار ٢٤٢ مدار جدل .

انتقل السفير القونى إلى القاهرة ليشغل مركز وزير السياحة ووصل السفير الدكتور محمد الزيات خلفا له . واستمر يارينج فى اتصالاته ، وكان يستقبل مندوب مصر ومندوب الأردن كلا على حدة . وكنت والسفير الزيات نلتقى قبل وبعد كل اجتماع مع يارينج من أجل التنسيق ونقل التطورات إلى عاصمتينا كما هى تعليمات العاصمتين . وكان الزيات وهو دبلوماسى عريق ، يصرف وقتا قصيرا يرد على أسئلة يارينج ثم يخرج لإعلامى بما يكون قد تم معه ، ثم ينتظرنى إلى أن اجتمع بيارينج . كنت أصرف وقتا طويلا مع يارينج وعندما أخرج ، أجد الدكتور الزيات - وقد دخن عددا كبيرا من السجائر - بانتظارى . وفى أحد الأيام التفت لى وقال وعلامة الاستغراب على وجهه : « ما الذى يحملك على التأخر كل هذا الوقت ؟ لدى يارينج أربعة أسئلة تحتاج إلى أربعة أجوبة قصيرة ، يدفعنى فضولى لمعرفة ماذا تقولان طيلة هذا الوقت ؟ » . قلت للدكتور الزيات : « لا يوجد لديك ما يقلقك يا دكتور . **ستترك إسرائيل سيناء مقابل ثمن ، لكنها لن تترك الضفة الغربية وغزة بأى ثمن . وعندما يترك الاسرائيليون سيناء ، سيطلق عليك التاريخ المصرى والشعب المصرى اسم « البطل » ، لأنه سيقول إنك قد حررت بالدبلوماسية البارعة سيناء التى خسرتها القوات المسلحة المصرية فى الميدان . اما بالنسبة لى ، فالعكس هو الصحيح** . أعرف أن إسرائيل مراوغة وليست أمينة فى كل تصرفاتها مع يارينج بالنسبة للضفة الغربية والقطاع والجولان ، وبدون القوة العربية أو ضغط أمريكى صادق وفعال ، لن تتخلى عن هذه المناطق . ولمعرفتى كيف عاملت إسرائيل جميع الوثائق والاتفاقات فى الماضى ، علىّ أن أكون حريصا ومنتبها بالنسبة لكل ورقة يقدمها لى يارينج أو أى سؤال يقدمه أو مشكلة يثيرها ، وذلك للتأكد من أن موقفنا لا ينقصه الوضوح .

محاولات كثيرة جرت لتنفيذ القرار ٢٤٢ لكن بلا جدوى .. وتوقفت جهود يارينج وعاد إلى بلاده ولم يحقق شيئا . وانتقل الزيات ليشغل مركزا وزاريا فى الحكومة المصرية . ونقلت أنا إلى عمان ، ومنها سفيرا إلى أسبانيا . وقبلنا غادر اللورد كارادون ليعمل فى السياسة البريطانية . واستقال جولدبرج . **واليوم هناك بين وثائق الامم المتحدة يقبع القرار رقم ٢٤٢ . فقد كانت فترة طويلة ، واجتماعات كثيرة بلا نتيجة ولا قرار .**

□ □ □



الفصل العاشر

القدس والضغوط الأمريكية

« وجدت اللجنة أن ملكية حائط المبكى ، وحق التصرف فيه وفي المناطق المجاورة له ، تخص المسلمين ، وأن الحائط نفسه ، كجزء من الحرم الشريف ، هو أملاك إسلامية » .

لجنة الفقهاء الدولية ، ١٩٢٩

ماذا عن القدس ، المدينة المقدسة ، مدينة السلام ؟ لماذا تغير إسرائيل شكلها ؟ وهى التى تحتلها بشكل غير قانونى ، حققته عن طريق القوة عام ١٩٦٧ .

فى عام ١٩٦٨ ـ بعد أن رفضت إسرائيل الانصياع لقرارى الجمعية العامة حول عدم تهويد القدس ـ كلفتنى الحكومة الأردنية برفع شكوى القدس إلى مجلس الأمن ، مبينا المخالفات الخطيرة للقانون الدولى ولوثائق الأمم المتحدة المتعلقة بهذه المدينة ، ومطالبا باتخاذ الاجراءات اللازمة لايقاف هذه المخالفات وإلغاء جميع الاجراءات التى اتخذتها إسرائيل لتهويد القدس .

ودعوت مجلس الأمن إلى الانعقاد لمعالجة الموضوع . وقبل انعقاد الجلسة الأولى ، قال لى السفير الأمريكى آرثر جولدبرج : « إننا تسرعنا بالذهاب إلى مجلس الأمن » . وأضاف : « كانت الدبلوماسية الهادئة هى الجواب وهى الطريق الأفضل ، وإن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تستطيع أن تقوم بذلك للأردن » . وأضاف أيضا : « الموقف الهادىء هو الذى يخلق الجو الذى يساعد السفير يارينج فى مهمته بالمنطقة ، وعلينا جميعا أن نعطيه كل فرصة لاحراز تقدم .. » .

قلت للسفير جولدبرج : يا إلهى ! أنحن الذين نعرقل مهمة يارينج ؟ أو أولئك الذين يغيرون معالم القدس فى هذه اللحظة ؟ أيقدم الانتقاد الينا إذا أردنا أن نأتى لمجلس الأمن الدولى لمنع خطوات إذا تمت ستجعل السلام مستحيلا ؟ .

أجاب : « لم اقصد هذا ، بل كل ما ارجوه أن نحرص على أن تكون المناقشة هادئة » .
وأجبته بالموافقة ..

وعرضت القضية على مجلس الأمن فى جلسته الأولى . وقلت : **إن القدس الشرقية كباقى الضفة الغربية وقطاع غزة قد احتلت نتيجة حرب ١٩٦٧ . وأن القانون لا يجيز لسلطات الاحتلال اجراء أى تغيير فى وضع القدس** . وأن الحصول على مناطق عن طريق القوة لا يعطى حقا للمحتل ، بل يفرض واجبا على الشعب الذى يرزح تحت الاحتلال أن يقاوم إلى أن يتخلص منه . وأضفت : إن من المسلم به أن العمل غير القانونى لا يعطى نتيجة قانونية ولا يمنح حقا ، ولهذا فلا ثمرة قانونية يمكن أن تجنى من العدوان . **واشرت إلى القرارين اللذين اصدرتهما الجمعية العامة فى شهر يولية / تموز عام ١٩٦٧ ، الأول يدعو إسرائيل لالغاء الاجراءات التى اتخذتها لتغيير وضع القدس والامتناع عن اتخاذ المزيد من هذه الاجراءات مستقبلا ، والقرار الثانى يستنكر رفض إسرائيل الالتزام بالقرار الأول وما تقوم به من اجراءات** . هذان القراران صدرا بأكثرية قريبة من الاجماع ولم يصوت أحد ضدهما .

لم يبرر الاسرائيليون التغييرات التى أجروها فى المدينة المقدسة ، وأصروا على أن القدس هى عاصمتهم الأبدية . وفى أثناء المناقشات التالية حول القدس ، زعم الاسرائيليون أنهم يملكون حائط المبكى ، ولهذا لا يستطيع أحد أن يحرمهم من حقهم فى المدينة المقدسة . واستمر مندوب اسرائيل يتحدث عن « قدسنا » و« مدينتنا » كجزء من حملة تشير إلى أن القدس يهودية . وكأنها تخص اليهود فقط ، وكأن جميع « الأغيار » من مسلمين ومسيحيين هم غرباء فى المدينة ..

وفى خطاب القيته بتاريخ ٢٧ ابريل / نيسان عام ١٩٦٨ أمام مجلس الأمن خلال المناقشة الثانية للقضية ، أشرت إلى **أن الاسرائيليين لا يملكون اى شىء فيما يسمونه بحائط المبكى والمنطقة المجاورة له** . وقدمت للمجلس قرار **لجنة الفقهاء الدولية** الصادر عام ١٩٢٩ بطلب من بريطانيا ، وموافقة عصبة الأمم ، من أجل البت فى طلبات وحقوق المسلمين واليهود بالنسبة للحائط الغربى « حائط المبكى » والمنطقة المجاورة له فى القدس .

تشكلت اللجنة من فقهاء من السويد وسويسرا وهولندا . وعقدت ثلاثا وعشرين جلسة استمعت خلالها إلى بيانات من ثلاثة وخمسين شاهدا منهم : اثنان وعشرون عن الجانب اليهودى ، وثلاثون عن الجانب المسلم ، وضابط بريطانى . نظرت اللجنة فى جميع التقارير والمراسلات والمذكرات والمحاضر المتعلقة بأمور مرتبطة بحائط المبكى ، واستمعت إلى مرافعات المحامين اليهود وإلى المرافعات المضادة لمحامين فلسطينيين ، بالاضافة إلى أحد عشر محاميا من المسلمين والمسيحيين يدافعون عن قضية المسلمين ، جاءوا من الهند والمغرب والجزائر وطرابلس ومصر وسوريا وشرق الأردن والعراق وايران ، ومن أجزاء من القارة الافريقية .
وبعد كل ذلك وجدت اللجنة :

اولا :

أن ملكية الحائط وحق التصرف فيه وفى المناطق المجاورة له تخص المسلمين ، وأن الحائط نفسه كجزء من الحرم الشريف هو أملاك اسلامية .

ثانيا :

وجدت اللجنة أن الجانب اليهودى لم يدعى أية ملكية لحائط المبكى او لحى المغاربة أو لأى جزء من المنطقة المجاورة (وهى المناطق المعرضة الآن إلى الهدم والتخريب وأنواع العدوان) . وذكّرت اللجنة أن الجانب اليهودى عندما حدد طلبه قال بصراحة : « إن الجانب اليهودى لا يطالب بأى حق فى ملكية الحائط » .

ثالثا :

وجدت اللجنة أنها كيفما نظرت إلى الطلب اليهودى ، فهو لا يتعدى كونه مجرد طلب منح اليهود امتيازا بزيارة الحائط . وقلت للمجلس إنه حتى منح هذا الامتياز قد جاء نتيجة تسامح المسلمين .

رابعا :

وجدت اللجنة أنه حتى المنطقة المجاورة للحائط هى أملاك اسلامية وتشكل وقفا اسلاميا ، وقد أقام هذا الوقف « أفضل » ابن صلاح الدين عام ١١٩٣ .

خامسا :

وجدت اللجنة أن المبانى فى حى المغاربة (وهى التى هدمتها اسرائيل بالبلدوزر فى عامى ١٩٦٧ و ١٩٦٨) ، بنيت عام ١٣٢٠ لتخدم الحجاج المغاربة وتكون مكانا لاقامتهم عند زيارة القدس ، وقد جعلها أبو مدين وقفا اسلاميا .

سادسا :

وجدت اللجنة أن الحارس على وقف أبو مدين قام عام ١٩١١ بتقديم شكوى أن : « اليهود خلافا للعادة قد وضعوا كراسى على رصيف المنطقة المجاورة للحائط ، وطلب تجنبا لادعاء اليهود بالملكية مستقبلا إزالة تلك الكراسى » . وذكرت أن هذا يبين أن المسلمين كانوا يخشون أن يقوم اليهود بأعمال تمكنهم مستقبلا من الادعاء بملكية الحائط والساحة المجاورة له منذ ذلك الوقت . وفى شكوى إلى مجلس القدس الادارى ، الذى شكلته حكومة الانتداب ،

قال الوصى على الوقف لتبرير شكواه : إنه بعد الكراسى تأتى الطاولات والمقاعد الطويلة والمنصات ، ويمكن تثبيتها فى الأرض ، وقبل مضى مدة طويلة يمكن لليهود ادعاء التصرف وحق الملكية لهذه المنطقة . كان هذا قبل حوالى الستين عاما من الاحتلال الاسرائيلى للقدس .

وقد قرر مجلس القدس الادارى عدم السماح بوضع أى شىء من قبل اليهود على أرض الوقف مما قد يؤدى أو يعتبر كإثبات للملكية ، وهذا القرار يتفق تماما مع ما توصلت اليه لجنة الفقهاء بعد ذلك بتسعة عشر عاما .

سابعا :

وجدت اللجنة أن الحكومة البريطانية قد ذكرت للبرلمان فى كتابها الأبيض بتاريخ نوفمبر / تشرين الثانى ١٩٢٨ أن الحائط الغربى أو حائط المبكى :

« هو قانونيا ملكية مطلقة للمسلمين ، وأن الرصيف المواجه له هو أرض وقف كما ثبت من الوثائق التى يحتفظ بها الوصى على الوقف » .

هذا هو القرار التاريخى الذى تتجاهله اسرائيل وكادت تنساه المجموعة الدولية ، لولا اننا تقدمنا به وطلبنا ضمه كوثيقة رسمية لوثائق مجلس الأمن حول الموضوع . وكان معالى الأستاذ أكرم زعيتر هو الذى مدنا بهذه الوثيقة لنتقدم بها ونعتمد عليها فى مجلس الأمن . ولم يستطع مندوب إسرائيل أن ينطق بكلمة واحدة معارضا هذه الوثيقة التاريخية . لقد ذكر محامى الجانب اليهودى الدكتور الياش : إن كل ما يريده اليهود هو أن يسمح لهم المسلمون بزيارة الحائط ، وقال : إن عرب القدس قد تسامحوا فى الماضى ويرجو أن تثبت اللجنة هذه الموافقة الآن . وأيد كلامه قادة الحركة الصهيونية .

اليوم يتجرأ الاسرائيليون بكل صفاقة بالادعاء أن القدس يهودية ، وأن المسلمين والمسيحيين أغراب ولا ملكية لهم فى المدينة . **وما قررته لجنة الفقهاء المحايدة وهو ما قدمته لمجلس الأمن بتاريخ ٢٣ فبراير / شباط ١٩٦٩ ، يجعل من السخافة أن تزعم إسرائيل أن المدينة يهودية وأنها العاصمة الأبدية لاسرائيل . وما ممارسات إسرائيل التى هى مدار الشكوى ، إلا تحديا لقرارات الجمعية العامة ومجلس الأمن ولهذه الوثائق الدولية ، وما هدم حى المغاربة وإحراق المسجد الأقصى والاعتداء على أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، إلا تحديا لحق المسلمين المعترف به دوليا ، ويمثل مخالفة صريحة للمادة ٥٣ من مواثيق جنيف التى تمنع اى هدم من قبل السلطات المحتلة لأملاك تخص أفراد أو جماعات او املاك عامة او منظمات خيرية .**

ولا حد لسياسة تشويه وتزوير الحقائق التى تتبعها السلطات الاسرائيلية . فقد ذكر مندوب إسرائيل بتاريخ ٣٠ يونية / حزيران ١٩٦٩ أمام مجلس الأمن أن أكثرية سكان القدس كانت عند قيام الانتداب البريطانى يهودية . وعندما أبرزت الاحصاءات البريطانية

التى أعدتها حركة فلسطين فى أثناء الانتداب البريطانى والمستقاة من وثائق لجنة التحقيق البريطانية الأمريكية ، والتى تثبت كذب ما ادعاه المندوب الاسرائيلى والتى تبين أن عدد السكان العرب فى القدس فى نهاية عام ١٩٤٤ كان ١٤٠٥٣٢ ، بينما كان عدد اليهود ـ ومعظمهم جاء بصورة غير مشروعة ـ ١٠٠٢٠٠ يهودى ، لم يكن أمام مندوب إسرائيل ما يقوله . . ونسى أن « للكذب أجنحة قصيرة جدا سرعان ما تسقط على صخرة الحقيقة » .

وبعد الاحتلال الاسرائيلى اتخذت سلطات الاحتلال إجراءات كثيرة وقامت بتغييرات فى القدس لتغيير وضعها ، وقد أدان مجلس الأمن هذه الاجراءات لأنها تنطوى على محاولات لضم القدس مع أن الاحتلال لم يعط أى حق للاسرائيليين فيها . ومندوب إسرائيل لا يستطيع أن يغطى ضم القدس غير القانونى بستار وحدة المدينة ، هذا تماما ما فعله هتلر عندما احتلت قواته النازية تشيكوسلوفاكيا وبولونيا . كانت كلمات هتلر آنذاك :

« الآن تحققت كامل وحدتنا » .

ورغم ما قدمناه من حجج قانونية وبيانات لا يرقى اليها الشك ، ورغم معارضة الأسرة الدولية القوية ، استمر الاسرائيليون يطالبون بالقدس كعاصمتهم الأبدية ، وأخذوا يزعمون أن القدس لا تدخل ضمن قرار ٢٤٢ . ذكرنى هذا بالممارسات الصهيونية بالنسبة لجميع الوثائق الدولية حول فلسطين ، والتى يعطيها الصهيونيون تفسيرات مختلفة فى أوقات وظروف مختلفة تناسب أغراضهم . لقد كنت متأكدا من أنهم يثيرون هذه النقطة بالنسبة للقدس من أجل عرقلة جميع مساعى السلام . **ولهذا أردت من مجلس الأمن تثبيت مبدأ القانون الدولى حول عدم جواز الاستيلاء على الأرض بواسطة الحرب ـ وهو المبدأ الوارد فى القرار ٢٤٢ ـ فى مشروع القرار المطلوب تقديمه للمجلس ، كى يشمل هذا المبدأ المدينة المقدسة ولا يترك مجالا لتكتيكات ومناورات وادعاءات السلطات الاسرائيلية المحتلة** ، وكى لا يؤخذ ما تدعيه هذه السلطات من غموض فى القرار ٢٤٢ ضدنا (وضد القدس مستقبلا) ، وكى يكون انسحاب القوات الاسرائيلية من القدس أمرا أقره مجلس الأمن فى قرار خاص حول القدس ، خصوصا وأن القدس هى مفتاح السلام فى الشرق الأوسط . . ومثل هذا النص يضع حدا لمغالطات السلطات الاسرائيلية بالنسبة للقدس . عرضت مخاوفى واقتراحى على دولة رئيس الوزراء بهجت التلهونى ومعالى وزير الخارجية عبد المنعم الرفاعى ، ووافقا على نص اقترحته تضمن مبدأ القانون الدولى الذى أشرت اليه . كان مشروع القرار يتميز بالوضوح ، وجاء فى آخر ديباجته : « يؤكد مجلس الأمن عدم جواز حيازة الأراضى بالفتح العسكرى » .

وفيما يلى نص مشروع القرار :

« إن مجلس الأمن ،

إذ يذكر قرارى الجمعية العامة ، رقم ٢٢٥٣ (الدورة الاستثنائية الطارئة ـ ٥)

الصادر فى ٤ يولية/تموز ١٩٦٧ ، ورقم ٢٢٥٤ (الدورة الاستثنائية الطارئة - ٥) الصادر فى ١٤ يولية/ تموز ١٩٦٧ ،

وقد نظر فى كتاب ممثل الأردن الدائم رقم (S/8560) بشأن الوضع فى القدس ، وتقرير الأمين العام رقم (S/8146) ،

وقد استمع إلى البيانات التى ألقيت فى المجلس ،

وإذ يلاحظ أن إسرائيل اتخذت ، منذ تبنى القرارات المذكورة أعلاه ، المزيد من الاجراءات والأعمال التى تتنافى مع هذه القرارات ،

وإذ يذكر الحاجة إلى العمل من أجل سلام دائم وعادل ،

وإذ يؤكد ، من جديد ، رفضه الاستيلاء على الأراضى بالغزو العسكرى ،

١ - يشجب عدم امتثال إسرائيل لقرارات الجمعية العامة المذكورة اعلاه .

٢ - يعتبر ان جميع الاجراءات الادارية والتشريعية ، وجميع الأعمال التى قامت بها إسرائيل ، بما فى ذلك مصادرة الأراضى والأملاك التى من شانها ان تؤدى إلى تغيير فى الوضع القانونى للقدس ، هى اجراءات باطلة ، ولا يمكن ان تغير فى وضع القدس .

٣ - يدعو إسرائيل ، بإلحاح ، إلى ان تبطل هذه الاجراءات ، وان تمتنع فورا عن القيام باى عمل آخر من شانه أن يغير فى وضع القدس .

٤ - يطلب من الأمين العام ان يقدم تقريرا إلى مجلس الأمن بشان تنفيذ هذا القرار » .

فوجئت الولايات المتحدة عندما سمعتنى أقدم مشروع القرار فى وثيقة رسمية لمجلس الأمن . لم يؤخذ رأيها قبل تقديمه . وغضب السفير الأمريكى ، وانفعل ، وأرادت حكومته عرقلة كل المساعى اللازمة لانجاحه ، واحتجت لدى حكومة الأردن على هذا الاجراء المتسرع ! . ولدقة الموقف ، كنت على اتصال دائم بوزير الخارجية بالنسبة لأى تطور ليكون فى الصورة الكاملة حول كل ما يدور فى المنظمة الدولية .

ومن أجل إقفال الطريق أمام نجاح مشروع قرارنا ، تقدمت الولايات المتحدة بمشروع قرار أمريكى ينص على :

« إن مجلس الامن ،

بعد أن استمع إلى البيانات التى ألقيت أمام المجلس ،

ومستنكرا المشاريع المتعلقة بالحالة فى القدس ،

ومؤكدا القرار ٢٤٢ بتاريخ ٢٢ نوفمبر/ تشرين الثانى ١٩٦٧ ،

يصرح أن الأعمال الفردية ، والاجراءات الاسرائيلية ، لا يمكن قبولها ولا تعتبر مغيرة أو مقررة وضع القدس ،

يطلب من إسرائيل أن تتوقف عن اتخاذ مثل هذه الأعمال والاجراءات ،

يطلب من الفرقاء تجنب جميع الأعمال التى قد تضعف جهود تحقيق سلام عادل ودائم فى المنطقة ،

يؤكد نيته فى ابقاء هذا الموضوع تحت المراجعة المستمرة ،

يعيد تأكيد دعمه للجهود المبذولة تحت رعاية ممثل الأمين العام الشخصى لتحقيق تسوية سلمية مقبولة حسب قرار مجلس الأمن ٢٤٢ » .

□ □ □

وكما هو ظاهر ، لم يشر المشروع الأمريكى إلى مبدأ عدم جواز أخذ الأرض بالقوة ، وبدأت الاتصالات بين أعضاء المجلس ، كان الأمريكيون يريدون أن يتبنى المجلس مشروعهم ، أما أنا - وبدعم من رئيس الوزراء الأردنى بهجت التلهونى ووزير الخارجية عبد المنعم الرفاعى - فقد أردت أن ينجح مشروع قرارنا الذى قدمه نيابة عنا السفير الباكستانى آغا شاهى ، وأردت أن يوضع مشروع قرارنا للتصويت أولا ، وأن لا تعطى الأولوية للمشروع الأمريكى الذى قدم بعد مشروعنا . وبدأت المشاورات بينى وبين السفير جولدبرج ، وقال لى : إنه لا يقبل مشروع قرارنا وإذا وضع للتصويت فسيفشل . ولم يقل صراحة إنه سيستخدم حق الفيتو ضد المشروع إذا أحرز الأصوات المطلوبة . وأخذت اتساءل ماذا يعنى السفير ؟ هل أمنت الولايات المتحدة العدد اللازم من الأصوات لافشال المشروع أم أنها ستفشله بالفيتو ؟ .

لقد صعقت عندما استمعت لما قاله السفير الأمريكى ، وسألته ما هو هدفه من كل هذا ؟ وما الذى أثار اعتراضه واعتراض وزارة خارجيته ؟ قال : « المسألة فى غاية البساطة : أنت تريد أن تنسف كامل عملنا من أجل السلام القائم على القرار ٢٤٢ » .

سألته : لكن كيف ؟

أجـاب : أنت تعرف كيف .

قلت : لا . . لا أعرف ، قل لى .

هنا بين السفير أن القرار ٢٤٢ هو نتاج شهور طويلة من المفاوضات . وقال : « كانت فكرتنا أن يبقى القرار متوازنا بالشكل الذى وضع فيه وقدم لمجلس الأمن وأقره » . وسكت لحظة ثم أضاف :

« انت الآن تريد فى دقيقتين أن تغير كامل الفكرة ، وأن تعيد كتابة ذلك القرار » .

وهنا قلت له أن يسمعنى جيدا ، وقلت :

هل القدس مشمولة بالقرار ٢٤٢ ؟ وبمعنى آخر ، هل مبدأ الانسحاب يشمل القدس ؟

قال : نعم ، لكن هذا يأتى فى اثناء المفاوضات .

قلت : هذا جيد ، ومادامت القدس مشمولة بطلب الانسحاب الوارد فى القرار ٢٤٢ ، ما الذى يمنع دمج نفس مبدأ عدم جواز حيازة الأرض عن طريق الحرب فى مشروعنا الحالى حول القدس ؟

أجـاب : لا . . هذا غير مقبول لدى حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ، أنصحك أن لا تصر عليه ، هذا ليس من مصلحة الأردن يا صديقى ! .

ووجدت نفسى أقول للسفير :

أنا الذى يعرف مصلحة الأردن . إن مصلحته هى فى تحقيق قرار واضح لا غموض فيه ، وأنا واثق انك تعلم هذا .

هنا قال السفير :

إن وزارة الخارجية الأمريكية على اتصال بالحكومة الأردنية ، فلننتظر نتيجة الاتصالات . واتفقنا على الاجتماع فى اليوم التالى .

نقلت ما دار بيننا من حديث إلى عمان . وفى أثناء الاتصالات بينى وبين حكومتى وقبل

الوصول إلى موقف محدد ونهائى ، ظن الوفد الأمريكى أن تعليمات محددة لصالح حكومته قد وصلتنى ، ولهذا ضغط الوفد لاجتماع عاجل لمجلس الأمن يطرح خلاله مشروع قرارهم للتصويت . هذا ، وكنت قد اقترحت على حكومتى رفض المشروع الأمريكى لأنه لا يعالج معالجة صحيحة الحالة التى خلقتها اسرائيل والمطروحة فى شكوانا على مجلس الأمن . ثم انه يؤكد تاييده لمساعى السلام التى يقوم بها يارينج لتحقيق تسوية سلمية مقبولة حسب القرار ٢٤٢ ، وهذا لا علاقة له بالشكوى الاردنية . والمشروع اعطى معالجة روتينية للتطورات الخطيرة فى القدس ، واعاد تعزيز الغموض فى القرار ٢٤٢ بالنسبة للمدينة ، فاذا رفض مجلس الأمن دمج مبدأ القانون الدولى الذى أشرت اليه سابقا ، عندها تصبح حقوقنا التاريخية محاطة بهالة من الشكوك وتكون نتيجة شكوانا لمجلس الأمن نصرا لاسرائيل . لهذا فالقضية خطيرة .

كان عطوفة روحى الخطيب أمين القدس معى عند مناقشة قضية القدس فى مجلس الأمن عام ١٩٦٨ وقدم بيانا مدروسا قيما حول القضية . كان ذلك بعد خوض معركة دبلوماسية وقانونية كبيرة فى المجلس ، دارت حول هل يسمح له بالتكلم كأمين لبلدية القدس ، وبشكل مستقل عن الوفد الأردنى ، أم يتكلم كعضو فى وفد المملكة الأردنية . وقد طالت المناقشات لاصرارى على ضرورة الاعتراف بشرعيته كأمين للقدس ، وأن إبعاد السلطات الاسرائيلية له لا يحرمه من وضعه الشرعى كأمين للقدس ، وعلى المجلس أن يستمع اليه بهذه الصفة ، ففى ذلك تأكيد لبطلان جميع الاجراءات التى اتخذتها سلطات الاحتلال والتى تخالف القانون الدولى . وتمسك رئيس مجلس الأمن اللورد كارادون بموقفه ، إلى أن مال اعضاء مجلس الأمن إلى الاستماع إلى عطوفة روحى الخطيب مستقلا عن الوفد الأردنى . وكان هذا نصرا كبيرا للقضية ، إذ فيه اعتراف بالوضع السائد قبل الاحتلال بالنسبة للمدينة المقدسة ورفض لأى تغيير قامت به سلطات الاحتلال فى وضع المدينة .

وبعد أن تكلم روحى الخطيب ، تأجلت الجلسة وتوجهنا جميعا لحضور مأدبة غداء اقامها السفير فخر الدين محمد مندوب السودان الدائم ورئيس المجموعة العربية على شرف روحى الخطيب ، دعا اليها جميع أعضاء مجلس الأمن . وعندما وصل كارادون رحب بلقاء روحى الخطيب وخاطبه وابتسامة على شفتيه « يا سيادة رئيس بلدية القدس » . . وضحك الجميع لانسجامه مع ارادة مجلس الأمن . وأخذت صور لرئيس مجلس الأمن مع رئيس بلدية القدس . وعندما زادت الضغوط الأمريكية علينا ـ كما هو الحال بالنسبة لكل دولة صغيرة ـ قدرت أن وزارة الخارجية الأمريكية أخذت تلجأ إلى أنواع الضغوط لاقناع الأردن بقبول المشروع الأمريكى . وفى هذه المرحلة ، اقترح روحى الخطيب أن يذهب لعمان لوضع الحكومة فى الصورة الصحيحة ، وأنه بعد أن عرض قضية القدس على المجلس قد يكون وجوده فى عمان أكثر فائدة من بقائه فى الأمم المتحدة .

ورحبت بالفكرة . وقبل وصول أمين القدس إلى عمان جاءنى السفير جولدبرج وقال إنه يود أن يعقد مجلس الأمن فى الحال وأن يقدم مشروعه للتصويت ، لأننى حسب معلوماته

تلقيت التعليمات ، ولا حاجة للمزيد من التأخير . أجبته أن معلوماته خاطئة ، وأنني ما زلت على اتصال بحكومتي ولا حاجة للتسرع بعقد مجلس الأمن .

وفي اليوم التالي ، تلقيت تعليمات جديدة من الحكومة ، يثيرون فيها من جديد خوفهم من أن يقضي الفيتو الأمريكي أو عدم توافر الأصوات المطلوبة على امكانية الحصول على قرار ، وهذا يشكل كارثة . وقد فوضتني الحكومة بدفع مشروعنا للتصويت إذا تأكدت من النجاح . وكلفت بإعادة تقييم الموقف ورفع ذلك إلى عمان . قدرت المسئولية الجسيمة الملقاة على عاتقي ، وأخذت أقوم باتصالاتي والتشاور حول الحالة الجديدة التي خلقها التهديد الأمريكي باستعمال الفيتو . لم ألمس أن الدول قد غيرت موقفها ، وازددت قناعة **بأن الولايات المتحدة الأمريكية لن تعرض كرامتها لأية نكسة وأنها لن تستخدم الفيتو ، بل هي تلعب لعبة تكتيكية .**

كان للوفد الأمريكي بالأمم المتحدة ثلاثة سفراء :

السفير جولدبرج ومعاونين ، أحدهما ـ دك بيدرسون ـ جاء لمقابلتي مع اقتراح عقد مجلس الأمن في الحال وطلب التصويت على المشروع وإنهاء المسألة . كانت البرقيات بيني وبين حكومتي في ذلك الوقت مستمرة ولم يصلني الموقف النهائي بعد . لم أعرف موقف حكومتي النهائي . ومرة ثانية قدرت أن عقد مجلس الأمن بهذه السرعة هو سابق لأوانه . وكنت أحاول كسب المزيد من الوقت وكان يوم جمعة .

حوار مع سفير

لهذا رأيت عدم الدخول في بحث الموضوع مع السفير الأمريكي دك (ريتشارد) بيدرسون ـ الذي يشغل حاليا مركز مدير الجامعة الأمريكية في القاهرة ـ واعتبرت أن لقاءنا كان عفويا وبالصدفة لأننا التقينا بدون موعد في مدخل الجمعية العامة قريبا من المصعد .

قلت لبيدرسون : آسف يا دك . أنا أقف معك هنا كصديق ، لكن ما دمت تحمل طلبا رسميا أرجو أن تطلب من رئيسك الاتصال بي .

أجاب : لكن السفير جولدبرج في واشنطن وسيحضر خلال ساعة أو ساعتين .

أجبت : هذا جميل ، إذا كان الطلب لا يتحمل الانتظار حتى وصول السفير جولدبرج ، فليبحث الطلب معي القائم بأعماله ، أي الرجل الثاني في البعثة ، وهو وليم بافام ، فأنت مع كل احترام الرجل الثالث في البعثة حسب ترتيب البروتوكول .

استاء دك بيدرسون كثيرا ورأيت علامات الارتباك على وجهه ، وأسفت لهذا لأنني

أعرف الرجل لأكثر من عشر سنين وأعرف أيضا مواقفه الحقيقية من وراء الطلب الذى تقدم لى به . وقد شعرت بالاضافة إلى عامل الوقت أننى ما دمت رئيس الوفد الأردنى ، فمن حق الأردن علىّ أن أحافظ على حقوقى كاملة ، وأن لا اتعامل مع الرجل الثالث فى البعثة الأمريكية المعتمدة لدى الأمم المتحدة ولو كان بمرتبة سفير ، خصوصا وأن المطلوب هو كسب الوقت ، وعدم انعقاد مجلس الأمن بهذه السرعة .

وصل السفير آرثر جولدبرج بعد ساعتين واعتذر لتسرع أحد مساعديه بالإتصال بى . قال إنه جاء من واشنطن ، قلت له إن معلومات مساعده بيدرسون عن وصول تعليمات لى حول مشروع القرار الأمريكى غير دقيقة ، وإننى أتوقع وصول التعليمات خلال عطلة الأسبوع . وسألته : « ما سر هذا الاستعجال من جانبكم ؟ أنا صاحب الشكوى وأنا لا أريد اجتماعا قبل يوم الاثنين واليوم الجمعة وغدا عطلتكم الرسمية » .

قال : لننتظر كيف يتطور الموقف .

تمنيت له عطلة سعيدة وأكدت له أن لا اجتماع قبل الاثنين ، وأضفت : إننى قد أتغيب خلال عطلة الأسبوع . ولم أقل إلى أين .

السفر إلى كنـدا

ولتجنب المزيد من الضغوط قبلت دعوة لالقاء محاضرة فى كندا وجهت لى من الكنديين المنحدرين من أصل عربى . وسافرت إلى أوتاوا . ولم يعلم أحد بسفرى غير أخى وصديقى السفير المصرى محمد عوض القونى وأعضاء مكتبى ، واتفقنا على اللقاء فى مكتبى مساء يوم الأحد . كنت أتطلع إلى معرفة آخر التطورات من السفير القونى بسبب اتصالاته القوية ودبلوماسيته الرائعة . وخلال عطلة الأسبوع أخذ آغا شاهى سفير الباكستان يتلقى الضغوط من السفير الأمريكى ويتصل بى فلا يجدنى ، وقيل له إننى فى كندا . وأسقط فى يده ، كيف أسافر إلى كندا وأترك كل الضغوط الأمريكية تقع عليه . وكان يجد الرد المقنع ، وهو أنه لا يستطيع الاتصال بى .

عدت الساعة الثامنة من مساء الأحد . وخرجت من المصعد ووجدت القونى يغادر المصعد المقابل لى متجها إلى مكتبى ، وفى المكتب وجدت آلة التلكس تدق برقية وصلت تلك اللحظة . كانت صدفة غريبة أن أصل والقونى وتعليمات الدولة فى آن واحد . وأخذ الموظف المسؤول يفك البرقية ، والسفير المصرى يحيطنى بكل التحركات بين أعضاء مجلس الأمن .

كنت سعيدا لما قاله القونى حول تمسك جميع أعضاء مجلس الأمن بمواقفهم . وكنت سعيدا أيضا لتعليمات الحكومة .

كنت قبل سفرى لكندا قد أرسلت برقية طويلة لوزارة الخارجية ، **بينت فيها العواقب إذا تم إسقاط المبدا الذى تضمنه القرار حول عدم جواز حيازة الأرض عن طريق الحرب من مشروع قرارنا حول القدس ، او إذا وافقنا على طرح المشروع الأمريكى للتصويت الذى يؤدى إلى نفس النتيجة** . وان اى تراجع فى هذه المرحلة وبعد كل الذى جرى يكون كارثة . واكدت لرئيس الوزراء ووزير الخارجية أننى واثق من خبرتى من أن وزارة خارجية الولايات المتحدة ـ التى هى سيدة المناورات عندما يكون الموضوع يتعلق بالنزاع العربى الإسرائيلى ـ ستفكر كثيرا جدا قبل أن تقدم على استخدام الفيتو بالنسبة للقدس ، نظرا لمكانتها الروحية للعالمين المسيحى والإسلامى . وأكدت لحكومتى أنه إذا لم يستخدم الفيتو ، فلدينا من الأصوات ما يحقق نجاح المشروع ، وأننى واثق أن الحكومة الأمريكية لا تجرؤ على استعمال الفيتو ضد قرار القدس متحدية العالمين الإسلامى والمسيحى .

وكان رد الحكومة الذى وصلنى مساء الأحد لا يحمل تأييدا مطلقا لاقتراحى ، لكنه لا يعارضه أيضا . تميز رد الحكومة بالحرص الشديد لأن القضية تتعلق بالقدس المدينة المقدسة ، وهم يريدون أقوى قرار ممكن من مجلس الأمن ، غير أنهم من جهة أخرى لا يريدوننى أن أخرج بلا قرار . وقدرت أن المسؤولية كاملة ملقاة على عاتقى . لكننى نتيجة اتصالاتى بأصدقائى فى أسرة الأمم المتحدة ، والتقييم الذى توصلت إليه نتيجة هذه الاتصالات ، شعرت بارتياح واطمئنان ، وشعرت أن الله سيقف إلى جانبى ولن يخذلنى . وكانت ليلة صعبة تلك الليلة التى وصلت فيها البرقية ..

فى اليوم التالى ، طلبت انعقاد مجلس الأمن ، وأبرقت لحكومتى مطمئنا أن الوضع فى مجلس الأمن لا يبعث إلى اليأس أبدا وأننى طلبت انعقاد مجلس الأمن وأننى واثق من النجاح . وفى مجلس الأمن طلبت التصويت على مشروع قرارنا ، وصدم الوفد الأمريكى لسماع طلب التصويت على مشروعنا الذى تبنته الباكستان ، لأنه كان يتوقع العكس تماما . وأعلن رئيس مجلس الأمن طرح المشروع للتصويت . وكانت أعين جميع سفراء الدول العربية ، وجميع سفراء الدول الإسلامية الأخرى وجميع دول أمريكا اللاتينية ، كلها تنظر إلى مقعد الولايات المتحدة فى مجلس الأمن وإلى يد السفير آرثر جولدبرج بالذات . **وما أن أعلن الرئيس التصويت على مشروع قرارنا ، حتى صوتت إلى جانبه ثلاث عشرة دولة ولم يصوت أحد ضده وامتنعت دولتان فقط عن التصويت هما : الولايات المتحدة الأمريكية وكندا** . وصفق عدد كبير من الحضور لهذه النتيجة . كان هذا فى ٢١ مايو/ آيار ١٩٦٨(*) . تعاون معنا سفير الباكستان ووفده . وكان المرحوم ذو الفقار على بوتو وزير خارجية الباكستان ـ والذى يقدر موقفى والحكومة من قضية كشمير التى بحثت فى مجلس الأمن قبل ذلك ـ قد أعطى تعليماته للوفد الباكستانى بإعطائنا كل الدعم المطلوب ، وأن لا ينتظر تعليمات حكومته بل يؤيد وبدون أى تردد كل ما أطلبه أنا . وقد سبق للوزير الباكستانى ـ الذى أصبح فيما بعد رئيسا للباكستان ـ أن أوصى بمنحى وساما رفيعا تقديرا لدفاعى عن كشمير . وتم ذلك .

(*) قرار رقم ٢٥٢ (١٩٦٨) بتاريخ ٢١ مايو/ آيار ١٩٦٨ ـ جلسة رقم ١٤٢٦ .

تضمن القرار مبدأ عدم جواز حيازة الأرض عن طريق القوة . ودعا المجلس إسرائيل أن تلغى حالا الإجراءات التى اتخذت لتغيير معالم القدس التاريخية ، وأن تمتنع فى الحال عن اتخاذ أى إجراء قد يؤدى إلى تغيير وضع القدس .

بدا واضحا بعد إقرار هذا القرار أنه حتى لو فرضنا أن هناك غموضا فى القرار ٢٤٢ بالنسبة لأى جزء من الأراضى المحتلة ، فإن القرار الجديد ٢٥٢ لم يترك مكانا لأى غموض بالنسبة لمكان القدس فى القرار ٢٤٢ .

ولا يمكن بعد الآن أن يقال إن مبدأ الانسحاب قد استثنى القدس ، وكان هذا نصرا كبيرا لقضية القدس فى الصعيد الدولى . ومرت السنوات ، واستمرت التحديات الإسرائيلية ، وزاد الدعم السياسى الأمريكى لإسرائيل ، ولم يصدر القرار المطلوب وهو ردع إسرائيل عن طريق فرض العقوبات .

استدعائى إلى عمـان

بعد ذلك بفترة استدعيت إلى عمان . وفى مطار عمان استقبلنى رئيس بلدية القدس عطوفة روحى الخطيب وشخصيات مرموقة أردنية وفلسطينية . وهمس أمين القدس فى أذنى : أعددنا حفل استقبال كبير على شرفك ووجهنا الدعوة إلى كبار الشخصيات السياسية ، ومنهم الدبلوماسيون والقضاة ورجال الأعمال والمحامون . وسيلقى رئيس وزراء الأردن الأسبق سليمان النابلسى ، الذى هو أيضا رئيس لجنة إنقاذ القدس ، كلمة بهذه المناسبة . وقلت : ولماذا كل هذا ؟ .

أجاب : يسعى الأمريكيون لإزاحتكم من مركزكم فى الأمم المتحدة ، ونحن نريدهم والجميع أن يعرفوا أننا نؤيدك ونقدر مواقفك فى الصعيد الدولى . وأضاف : لا تستطيع الاعتذار فقد أرسلت الدعوات قبل وصولك .

واتصل بى السفير الأمريكى واعتذر لعدم استطاعته الحضور . قدرت ظرف السفير وشكرته على مكالمته . وفى اليوم التالى حضرت حفل الاستقبال .

ألقى دولة الرئيس سليمان النابلسى المعروف بمواقفه الوطنية وحسه القومى خطابا قويا فى الحفل . رحب بى وأشار إلى مواقفى فى الصعيد الدولى ، وهاجم الاستعمار الأمريكى وطالب الولايات المتحدة أن توقف هذه الممارسات التى لا تليق بدولة كبرى . وردا على كلمات الترحيب بى ، ألقيت كلمة قصيرة شكرت فيها الرئيس وكل من شارك فى تنظيم هذا الحفل وشارك فى حضوره ، مضيفا أن حقوقنا هى أقوى من كل الضغوط والتهديدات الأمريكية .

فى اليوم التالى تشرفت بمقابلة جلالة الملك حسين ، وبينت لجلالته الوضع فى الأمم

المتحدة . وحضر الاجتماع دولة رئيس الوزراء بهجت التلهونى ووزير الخارجية عبد المنعم الرفاعى ، وشاركا فى عرض ما تم فى الأمم المتحدة وأشادا بدورى وما حققته من نجاح . ووجدت جلالته ملما بكل شيء . وفى قضايا كثيرة ، بما فيها القدس ، كانت المناقشات تصل لدرجة من التعقيد تستدعى توجيهات خاصة من جلالة الملك ، وكانت توجيهاته تساعدنى كثيرا وتمنحنى القوة فى تلك المناقشات الصعبة .

طلب الملك عودتى إلى نيويورك وعدت فى اليوم التالى . وفى مقر الأمم المتحدة التقيت ببعض الزملاء . ورحبوا بى وعلامات التساؤل على وجوههم . لم أفهم ما كان يجول فى خاطر كل منهم . سألنى سفير الهند : ما الذى جاء بك إلى هنا ؟

قلت : ماذا تعنى ؟

قال : لقد ذكر لنا آرثر جولدبرج وأكد أنك استدعيت إلى عمان ولن تعود إلى نيويورك . وها أنت هنا . ما الذى حصل ؟

قلت : كما ترى ها أنا معكم . وأنا هنا لأبقى .

ومر بنا بمحض الصدفة آرثر جولدبرج ورآنى وجاء ليرحب بى مصافحا . كنت لطيفا جدا معه وهكذا كان هو .

وعدت إلى مكتبى . كنت أفهم موقف إسرائيل فى الأمم المتحدة ، لكننى لم أستطع فهم كيف يمكن لهذه التصرفات الأمريكية نيابة عن إسرائيل أن تخدم مصالح الولايات المتحدة الأمريكية فى الشرق الأوسط ؟ ! .

وبعد عودتى أثير موضوع القدس من جديد . فقد تحدت إسرائيل القرار ٢٥٢ واستمرت فى إقامة المستعمرات المجاورة للمدينة وتغيير معالمها وتراثها . واجتمع مجلس الأمن لمناقشة ما استجد بالإضافة إلى رفض إسرائيل الالتزام بالقرار السابق . وبتاريخ ٣ يولية / تموز ١٩٦٩(*) ، ادان مجلس الأمن إسرائيل بقوة لعدم رضوخها لإرادة المجلس . واعتبر - مرة اخرى - الإجراءات التشريعية والإدارية التى اتخذتها إسرائيل ، والتى تؤدى إلى تغيير وضع القدس ، بما فى ذلك الاستحواز على الاراضى والأملاك القائمة عليها ، غير قانونية ولا تغيير لوضع القدس . وطالب إسرائيل مرة ثانية بإلغاء جميع هذه الإجراءات فورا وان تمتنع مستقبلا عن إتخاذ اية اعمال قد تؤدى إلى تغيير وضع القدس . كما كلف مجلس الأمن إسرائيل أن تعلمه بدون أى تأخير آخر عن نواياها بالنسبة لتنفيذ بنود هذا القرار . وفى حالة الإجابة السلبية أو عدم الاستجابة من جانب إسرائيل ، سيجتمع مجلس الأمن بدون تأخير للنظر فى الإجراءات الواجب إتخاذها فى هذا الموضوع .

(*) قرار مجلس الأمن رقم ٢٦٧ بتاريخ ٣ يولية / تموز ١٩٦٩ .

لم تتجاوب إسرائيل مع قرار مجلس الأمن ولم تجب المجلس . واستمرت تحدياتها . ورغم إدانة إسرائيل بما يشبه الإجماع فى الجمعية العامة ومجلس الأمن ، إلا أنها لم تستجب للقرارات ، واستمرت فى تغيير معالم القدس وإعادة تخطيط شكلها . وازدادت السياسة الأمريكية تطرفا ، وأخذت الولايات المتحدة تستخدم الفيتو لصالحها . ولم يعد مجلس الأمن يتخذ إجراءات أخرى كما التزم فى قراراته السابقة . وأخذت المخالفات تزداد والسنين تمر بلا قرار . **وتلقيت قرارا بنقلى من الأمم المتحدة فى مطلع عام ١٩٧١ .**

وهناك جانب جدير بالذكر لهذا الموضوع . كل من حاول الدفاع عن المدينة المقدسة لم يسلم من حملات إسرائيل التشهيرية واللجوء لمختلف الاتهامات والافتراءات من أجل النيل من سمعته .

ومنذ مناقشات الجمعية العامة عام ١٩٤٧ التى انتهت بقرار تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية ، نجحت الحركة الصهيونية ـ بواسطة أساليب مختلفة ـ فى طرد أو نقل عدد من السفراء من مراكزهم . وهذا النجاح ألقى الرعب فى قلوب الآخرين . واليوم يكتفى كثير من الزملاء ، رغم أنهم يمثلون العالم المسيحى الذى له مصلحة أساسية فى المدينة المقدسة ، بالهمس لنا حول المدينة المقدسة فى الأمم المتحدة أو فى لقاءاتنا الاجتماعية . وهم لا شعوريا يهمسون حتى عندما لا يكون هناك شخص ثالث بيننا . يخافون الكلام . وبعضهم كانوا يلقون بيانات كثيرة الاعتدال حول هذا الموضوع الهام فى الأمم المتحدة . وسبب هذا الحرص هو نفوذ جماعات الضغط فى الولايات المتحدة . ونسى رجال الحركة الصهيونية أنه فى مثل هذه الظروف عندما كان الشعب يخاف الكلام علنا ، سهل ذلك مجىء هتلر إلى الحكم فى الثلاثينات .

والآن ، فإن ما توصلت إليه لجنة الفقهاء الدولية المكلفة بمسؤولية تحديد حقوق الملكية فى القدس ، وكذلك مبادىء القانون الدولى التى اكدها مجلس الأمن مرة تلو اخرى والتى تؤكد ان حيازة الأرض بواسطة الفتح أو الحرب لا تعطى للمحتل اى حق ، واستنكار الجمعية العامة القوى فى قرارين لممارسات إسرائيل فى المدينة المقدسة ، وقرارات مجلس الأمن التى اكدت هذا الموقف ، لم يقابل كل هذا من جانب إسرائيل سوى باللامبالاة .

تجاه كل هذا بقى أن نرى ما إذا كانت منظمة الأمم المتحدة ستقدم ، تمشيا وإخلاصا لتقاليدها ومكانتها وسلطتها ، على اتخاذ إجراءات أكثر فعالية .. أى تطبيق الفصل السابع من الميثاق الذى يفرض العقوبات الاقتصادية والسياسية او غيرهما من أجل تأمين إذعان إسرائيل لإرادة الأسرة الدولية . وما إذا كنا سنعيد قضية القدس إلى مجلس الأمن بنفس الثقة والتصميم ، وبدعم كامل من أسرة الدول العربية ، ومن مؤتمر الدول الإسلامية الذى أنشىء على أثر حرق المسجد الاقصى ومن أجل إنقاذ القدس ، والذى تطور واصبح يعالج قضايا كثيرة منها قضية القدس ..

□ □ □

الفصل الحادى عشر

وزارة أردنية جديدة وتزايد الضغط الأمريكى

« انا لا اؤمن بإملاء الإرادة . الأردن دولة ذات سيادة ونحن نحترم سيادتها . كل ما نرجوه ونتوقعه هو ان يتم التشاور بيننا قبل اخذ عمان القرار » .

ارثر جولدبرج

بعد حرب ١٩٦٧ تشكلت حكومة جديدة فى الأردن ومن بين أعضائها وزير خارجية جديد . لم تكن للوزير خبرة فى الأمور الخارجية . وكان معروفا بالاستقامة والنزاهة والنوايا الحسنة . وكانت له رغبة شديدة فى عمل أى شىء يساعد مهمة السفير يارينج . فكر فى التقدم بورقة لتنفيذ القرار ٢٤٢ ، ووصل إلى نيويورك فى سبتمبر/ أيلول ١٩٦٧ لحضور الدورة العادية للجمعية العامة حاملا هذه الفكرة .

كانت هذه زيارته الأولى للأمم المتحدة . تدارسنا جدول أعمال الجمعية العامة ، واتفقنا على الموعد المناسب لإلقاء كلمته الرئيسية فى المناقشة العامة للدورة كما يفعل جميع وزراء الخارجية . وأعرب عن رغبته فى زيارة وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية دين راسك ، وأضاف أنه قبل ذلك يود زيارة السفير جولدبرج .

قلت لمعالى الوزير إن من الخير أن تكون زيارته الأولى أو زيارة المجاملة لدين راسك . لم يوافقنى على ذلك ، وكان رأيه أنه يفضل إعداد الجو المناسب لهذه الزيارة عن طريق أولئك الذين يجدون آذانا صاغية لدى وزارة الخارجية والبيت الأبيض .

وأضاف : نعرف جميعا العلاقة المتينة القائمة ما بين الرئيس جونسون والسفير جولدبرج .

قلت : إذا كانت هذه هى المسألة فهى سهلة وأستطيع أن أرتب للوزير لقاء مع السفير جولدبرج فى الحال . فى هذا الوقت كنا نجلس فى الصالون الأندونيسى المخصص لأعضاء

الوفود ، والمقابل لمدخل الجمعية العامة ، وفى تلك اللحظة تأجل أجتماع الجمعية العامة ورأيت جولدبرج خارجا من الجمعية العامة . ذهبت له وطلبت إليه مقابلة وزير خارجيتى .

كان لقاؤنا غير رسمى . استمع السفير لوزير الخارجية طالبا مساعدة الولايات المتحدة من أجل أن تحقق مهمة يارينج بعض التقدم ، وعرف ما هو هدف الوزير ، وفى الحال بدأ جولدبرج يتكلم من مركز قوة ، قال : إذا كان الوزير ينشد صداقة ومساعدة الولايات المتحدة فعليه أن يعلم أن الصداقة هى نهج ذو اتجاهين .

قال الوزير : نحن نقدر هذا ونحن أصدقاء الولايات المتحدة ولهذا أنا هنا لمقابلتك .

أجاب السفير جولدبرج : لكن المطلوب من سفيرك هنا أن يظهر هذه الصداقة فى خطبه أمام أجهزة الأمم المتحدة المختلفة ، فهو مستمر فى هجومه على الولايات المتحدة .

كنت جالسا مصغيا لما قاله السفير الأمريكى . وفاجأ ما قاله جولدبرج وزير خارجيتى الجديد ، ونظر إلى السفير الأمريكى وقال بهدوء وبصوت خافت إنه لا يمانع فى معالجة هذه المسألة أولا . وهنا اقترح جولدبرج بحث جميع المسائل فى اجتماع خاص ، يعقد فى غرفة الاجتماعات الملاصقة لمجلس الأمن فى الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم التالى . ويبدو أنه كان المقصود من هذا التأجيل إعطاء السفير الأمريكى الوقت الكافى للإعداد له .

ظننت أننى حسب التقليد المتبع سأحضر الاجتماع وهممت بمرافقة الوزير ، غير أنه طلب منى عدم مرافقته . وأضاف : غيابك يجنبك الإحراج وسيساعدنا .. !

لم تعجبنى هذه الفكرة وكان على أن أوافق . ذهب الوزير يرافقه عضو من أعضاء الوفد الأردنى لمقابلة جولدبرج . وبقيت أتابع اجتماع الجمعية العامة .

اجتماع الوزير الأردنى بالسفير الأمريكى

وبعد دقائق جاء الزميل الذى رافق الوزير مسرعا لى وقال : إن الوزير يريد مشاركتى فى الاجتماع . قلت له : إننا لم نتفق على هذا ولا يوجد من يجلس مكانى فى الجمعية العامة وهناك إمكانية التصويت على نقاط هامة فى أية دقيقة ، ثم إننى لا أرى حاجة لحضور الاجتماع . وطلبت من الزميل إيضاح هذا لمعالى الوزير .

نقل الزميل للوزير ما قلته ، وعاد لى مسرعا ينقل رسالة ثانية من الوزير يطلب فيها منى أن أكلف غيرى من أعضاء الوفد بحضور اجتماع الجمعية العامة ، وأن أترك كل شىء ، وأحضر لأن السفير الأمريكى قد رفض أن يعقد الاجتماع فى غيابى كما اعتذر عن قول أى شىء إلا بحضورى .

قال السفير لمعالى الوزير : أنا قاض ياسيدى ، كيف أستطيع انتقاد تصرف زميل لى فى الأمم المتحدة فى غيابه ؟ .

اعترف أن الاجتماع قد أعد له إعدادا متقنا . أحضر السفير جولدبرج معه مساعده وليم بافام ورجل الخارجية جوزيف سيسكو . جلس سيسكو على يمينه وبافام على يساره ، وبدأ الاجتماع حال وصولى بشىء من التحذير أو بشىء من التهديد ، قال السفير :

« السيد الوزير إن أمنكم ومستقبلكم هو مهم جدا لنا جميعا » .

ما الذى عناه السفير بكلمة « جميعا » ؟ لا أدرى ، وأضاف : نحن أصدقاء الملك ونحن أصدقاء إسرائيل أيضا ، نحاول خدمة الفريقين ، غير أن موقف سفيرك الدكتور الفرّا هنا يؤثر على علاقاتنا . خطبه ضدنا تؤثر على الرأى العام . والرأى العام عندنا حساس جدا ، وصعب علينا إيضاح موقف الأردن نحونا . لو تفوه سفيركم فى واشنطن بمثل هذه الاتهامات ضد مواطنينا ـ وهو يشير هنا إلى جماعات الضغط الصهيونية الذين يسمون أنفسهم مواطنين أمريكيين ـ لكنا أمرناه بالعودة إلى الأردن كشخص غير مرغوب فيه خلال ٢٤ ساعة ، لأن هذا شىء لا يمكن تحمله . (طبعا لا تستطيع وزارة الخارجية الأمر بعودتى كشخص غير مرغوب فيه لأننى كنت معتمدا لدى الأمم المتحدة لا لدى الرئيس الأمريكى) . ثم أضاف : أنا أحترم الفرّا كشخص ، لكننا نتحدث عن مبادىء وعن كيفية تحسين العلاقات بين بلدينا ، وأسمح لى أن اقتبس شيئا من بياناته فى الأمم المتحدة .

وهنا بدأ جولدبرج يقرأ مقتطفات من خطبى التى أعدها مكتبه لهذا الاجتماع ، وشدد على خطاب كنت قد ألقيته بمجلس الأمن بتاريخ ٣١ مايو/آيار ١٩٦٧ ، أى خمسة أيام قبل حرب ٥ يونية / حزيران . قلت :

« فى يوم الأحد الماضى شاهدنا استعراضا فى نيويورك قامت به جماعة من المفروض أن يكونوا مواطنين أمريكيين . حملوا العلم الاسرائيلى فى يد والعلم الأمريكى فى اليد الأخرى » .

وأضفت : « سمعت قبل قليل إشارة إلى المصالح المتضاربة ، وأنا أتساءل فى حالة تضارب المصلحة بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل ، أين سيكون الولاء ؟ هل ستقف هذه الجماعة مع العلم الاسرائيلى أم مع العلم الأمريكى ؟ أنا اعرف ان سلوك مواطنى اى بلد هو مسالة داخلية تقع ضمن اختصاص تلك الدولة ، لكننى اقول انه عندما يؤثر هذا السلوك على مصالح غيرها من الدول الأعضاء كالأردن ، فإن من حقى وانا جالس هنا ان اناقش سلوك جماعات الضغط الموالية لاسرائيل والتى تعمل ضد المصلحة الأمريكية ، ضد مصالح الشعب المحب للسلام . هذا الاستعراض أيد حرب إسرائيل ضد العرب ، وقد رأيت بين الحضور نفس الوجوه التى رأيتها قبل ذلك بقليل تقود استعراضا آخر فى نفس المكان يناصر السلام فى فييت نام » .

كان السفير جولدبرج حساسا دائما لاشارتى فى الأمم المتحدة للأمريكيين الصهيونيين ، كان لا يريد أى شىء ينعكس على ولاء المواطنين اليهود فى الولايات المتحدة ، ولهذا كان دائما يأخذ الكلمة للرد على كل إشارة للصهيونية يتضمنها خطابى ، وفيما يلى رد السفير الأمريكى على ما قلت :

« من حق أى عضو فى مجلس الأمن أن يتفق أو يختلف مع بياناتنا ، فى الواقع هذا حق كل عضو فى الأمم المتحدة ، لكن الذى لا يخدم تقوية العلاقات بين الشعوب هو أن يشير ممثل أى دولة لمواطنينا الذين يمارسون حقوقهم الدستورية ويقولون أو يعملون اعتمادا على ما يرون بالنسبة للحالة التى نناقشها الآن . نحن جميعا نقرأ الصحافة العالمية ، ونقرأ أن مواطنين من جميع دول العالم يعبرون عن آرائهم بالنسبة لهذه الحالة الخطيرة وهذا يمكن تفهمه وهو طبيعى فى مثل هذه الظروف . غير أننا نرفض بشدة حق أى ممثل بالإعراب عن موقف بالنسبة لحق مواطنينا الإفصاح عن قناعاتهم فى هذا الموضوع » .

كل اقتباس تلاه السفير جولدبرج له خلفيته : خذ مثلا البيان الذى ألقيته أمام مجلس الأمن فى ٢٦ يولية /تموز ١٩٦٦ عندما كان الأردن العضو العربى الوحيد فى مجلس الأمن ، وكنت باسمه أدافع عن جميع المصالح العربية .

القصف الجوى ضد سوريا
وموقف الأردن فى مجلس الأمن

بتاريخ ٢٥ يولية /تموز ١٩٦٦ ، هاجمت القوات الجوية الاسرائيلية سوريا ، وتسببت فى تدمير البيوت وإتلاف الأملاك ، وقتل وجرح عدد من المواطنين السوريين . وكان جوزيف سيسكو مساعد وكيل وزارة الخارجية يزور إسرائيل فى نفس الوقت ويتناول الغداء مع إسرائيليين رسميين . ماذا كان يفعل سيسكو هناك ؟ تعرض السفير جولدبرج إلى خطابى حول الموضوع وأشار إلى اقتباس من البيان الذى قدمته لمجلس الأمن فى اليوم التالى :

« هذه الجريمة الجديدة ، جريمة نسف البيوت والهجوم الجوى على سوريا التى يناقشها مجلس الأمن الآن ، ليست جديدة فى تاريخ الصهيونية . إن نسف فندق الملك داود من قبل العصابات الارهابية الصهيونية بتاريخ ٢٢ يولية /تموز ١٩٤٦ ـ أى خلال الانتداب البريطانى ـ هو مثل حى على الوحشية الصهيونية . ففى ذلك الحادث الجبان قتل ما يزيد على مائة موظف حكومى من المسلمين والمسيحيين الأبرياء » .

وأضفت : « وبالمناسبة ، فإن فى فندق الملك داود الجديد ، تناول السيد جوزيف سيسكو مساعد وكيل وزارة الخارجية المسئول عن أمور الأمم المتحدة والذى وصل لاسرائيل فى نفس يوم الهجوم على سوريا ، الغداء مع مسئولين إسرائيليين من وزارة الخارجية . كان

هناك اجتماع بينه وبين هؤلاء المسئولين ، وقد يكون من المفيد لهذا المجلس أن يسمع آراء السيد سيسكو بالنسبة لهذه المسألة ، فقد تكون لديه معلومات من المصدر الأصلى حول هذا العدوان الذى نناقشه » .

أجاب السفير الاسرائيلى مايكل كومى وابتسامة عريضة على وجهه : « لقد تناول السيد سيسكو بالفعل الغداء مع مسئولين من إسرائيل فى الوقت والمكان اللذين أشار إليهما الأردن ، لكن ما هو الخطأ فى ذلك ؟ » .

أجبت : المسألة ليست من دعا من على الغداء فى فندق الملك داود فى القدس ، العالم كله يعرف من دفع ثمن هذا الغداء . **المطلوب معرفته هو ما الذى بحث على مائدة الغداء ؟ هل من علاقة بين هذا الاجتماع والقصف الجوى ؟ .**

كان فى قاعة النظارة جمهور أمريكى اعتبر مسألة مَنْ دفع ثمن الغداء مسلية ، فانفجر ضاحكا ، واعتبرت وسائل الإعلام الأمريكية أن ما جرى هو وجبة إعلامية لها استفادت منها وكانت مادة إعلامية رئيسية فى اليوم التالى تحت عنوان : من دفع ثمن الغداء ؟ .

هذا ما أزعج السفير جولدبرج ، وفى وزارة الخارجية لم يعرفوا كيف عرفت عن الزيارة والغداء بهذه السرعة . . من الذى نقل هذه المعلومات لى ، هل هى المخابرات الأردنية أو السورية ؟ .

وتلقف السفير فيدورينكو رئيس وفد الاتحاد السوفييتى هذه المسألة ، وسأل سيسكو أن يوضح نوعية مهمته وأنه يود أن يعرف دور وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية فى هذا العدوان ، وأثار عدة تساؤلات أخرى حول الموضوع .

وبعد الظهر وقبل أن يعلن الرئيس انعقاد الجلسة الثانية بدقائق ، جاء جوزيف سيسكو ـ الذى حضر اجتماعات المجلس بديلا للسفير جولدبرج الموجود فى جنيف لحضور دورة المجلس الاقتصادى والاجتماعى ـ ووضع يديه على كتفى وضغط بقوة كما كنت أضغط عليه فى المناقشة ، وقال لى مداعبا : أما آن الأوان لرفع يديك عن كتفى ؟ لقد ذهبت بعيدا فى قراءتك لزيارتى لاسرائيل . .

أجبت ضاحكا : هذا لمصلحتك ، أنا أعمل لجعلك مشهورا فى الولايات المتحدة .

أجاب : هذا لا يساعدنى ، أولا : أنا لست سياسيا ، ثانيا : لا يوجد ناخبون يهود فى ولايتى .

كان جوزيف سيسكو المسئول عن إدارة شئون الأمم المتحدة فى وزارة الخارجية ويحضر جميع القضايا المهمة فى مجلس الأمن . وفى إحدى المناسبات كشفت ما تتلقاه

إسرائيل من دعم أمريكى ، والتبرعات المعفاة من الضرائب التى يرسلها الصهيونيون لاسرائيل ، بدل أن تذهب للخزينة الأمريكية . فى ذلك اليوم جاءنى جوزيف وصافحنى مبتسما قائلا :

« أنت الأردنى الوحيد الذى أعرفه ، الذى يهاجم الولايات المتحدة ويفلت من نتائج عمله » .

التفت إلى جوزيف قائلا : قل لى يا جوزيف ، كم أردنيا تعرف ؟ الذى أعرفه أنك لا تعرف فى الأردن إلا الوزير الرفاعى وأنا .

ضحك وقال : دائما تجد الجواب !

كان هذا الحديث قبل أن يصبح جوزيف « صانع سلام » ، عندما تعرف مع هنرى كيسنجر وآخرين على أردنيين آخرين وغيرهم من العرب فى لبنان ومصر وسوريا .

بقى أن أقول : إن مصدر معلوماتى التى قدمتها إلى مجلس الأمن عن زيارة وغداء سيسكو مع مسئولين إسرائيليين لم تكن غريبة ولا عجيبة ، ولم تقدم لى لا من المخابرات السورية ولا الأردنية ، فقد عرفت فى أثناء إقامتى الطويلة فى نيويورك أن الجرائد الاسرائيلية تصل « ميدان التايمز » فى اليوم التالى لصدورها ، وعندما يحدث أى عدوان على الأهل والأراضى كنت أسرع فى صباح اليوم التالى لآخذ « الجيروزاليم بوست » بالانجليزية وغيرها من الجرائد العبرية . كان يترجم ما جاء فيها حول الموضوع الأخوة الفلسطينيون . كان هذا مصدر معلوماتى الذى لم يعرفه الأمريكيون حتى كتابة هذا الكتاب .

التصدى لادانة المقاومة الفلسطينية فى مجلس الأمن

الاقتباس الآخر الذى اختاره السفير جولدبرج وتلاه لوزير خارجيتى كان عن موضوع أكثر أهمية يتعلق بالمقاومة الفلسطينية .

كانت القوات الاسرائيلية المسلحة قد هاجمت الأردن وسببت الكثير من الدمار والاصابات . وجىء بالقضية إلى مجلس الأمن عام ١٩٦٦ . وفى خطابى الذى ألقيته فى المجلس **حذرت أن إسرائيل تعد لحرب مع الدول العربية المجاورة ، وقلت : إن هذه العملية الجديدة هى عملية استفزازية وهدفها واحد ـ هو الحرب .**

وكرد على شكوى الأردن لمجلس الأمن ، تقدمت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا بمشروع قرار صيغ بشكل يجعل المقاومة الفلسطينية مشاركة فى مسئولية الهجوم الاسرائيلى على الأردن . اعترضت على أية إشارة للمقاومة فى القرار ، لأنه لم يكن هناك ما يثبت أية

مسئولية تقع على المقاومة الفلسطينية . كانت المقاومة حديثة العهد وما زالت تحت الأرض . وكان يسمع الكثير عن منظمة فتح ولا يعرف شيئا عن تنظيماتها ، ولهذا فقد جاء في **مشروع القرار الأمريكي البريطاني** المقدم لمجلس الأمن ما يلي كأحد حيثيات المشروع :

« بما أنه إما منظمة « الفتح » أو منظمة « العاصفة » ، مسؤولة عن سلسلة من الغارات الهدامة داخل إسرائيل . . . » .

ثم ذهب المشروع إلى إدانة « فتح » و « العاصفة » وإسرائيل . **ومن الطبيعي أن حركة « فتح » عندما قامت كان جناحها العسكري هو « العاصفة » ، وكلاهما فرع من نفس المنظمة . لم يكن هناك شيء اسمه منظمة « العاصفة » ، وآخر اسمه حركة « الفتح »** . ولحسن الحظ لم تكن هذه الوقائع معروفة في تلك المرحلة لا للولايات المتحدة الأمريكية ولا للمملكة المتحدة (بريطانيا) ـ رغم تنظيماتهما الاستخبارية الضخمة .

وبالتالي ، فلا السفير جولدبرج ولا اللورد كارادون عرفا الفرق أو العلاقة القائمة بين « فتح » و « العاصفة » . كنت في غاية السعادة أن أعرف أن الدولتين الكبيرتين رغم قوة أجهزة استخباراتهما ، لم تعرفا حتى ذلك الوقت أن « فتح » و « العاصفة » هما منظمة واحدة . وبهذه الخلفية في ذهني **القيت في الرابع من نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٦٦ خطابا هاجمت فيه بشدة مشروع القرار الأمريكي البريطاني** ، الأمر الذي أزعج السفير جولدبرج وجاء الآن ليثيره مع وزير خارجيتي ويتلو قسما منه ، هو :

« . . أشارت بريطانيا وأمريكا في مشروع قرارهما إلى أنه إما منظمة « الفتح » أو « العاصفة » مسؤولة عن سلسلة طويلة من الغارات الهدامة داخل إسرائيل . . **هذه فقرة أود ان اطلق عليها فقرة « إما / أو »** . المفروض والمتوقع منا أن نأخذ علما بواقعة بشيء ثابت ، غير أن هذه الفقرة تنطوي على شك . هي لا تنسب المسئولية للفتح ولا للعاصفة ، ولكنها بكل بساطة تقول « **إما / أو** » ، وهذا مرفوض .

« لماذا لم تقم الدولتان مقدمتا المشروع بتحديد إحداهما ؟ لماذا لم يأت ممثل المملكة المتحدة ، وأنت يا سيادة الرئيس ممثل الولايات المتحدة الأمريكية إلى هذا المجلس متوصلين إلى رأي ، وتقررا بوضوح وبدون شك ، من المسئول من المنظمتين ؟ أو هل هما مجتمعتان مسئولتان ؟ وكيف توصلتما إلى هذه النتيجة ؟ ما هي بينتكما المقنعة لهذا المجلس ؟ إن السفير جولدبرج هو قاض عالم ، وعندما يقدم قضيته لهذا المجلس نتوقع منه أن يكون قد وزن كقاض جميع البينات .

« . . وإذا كان الجهاز الدولي المختص في المنطقة لم يستطع التوصل إلى هذه الواقعة ، كيف يستطيع مندوبا بريطانيا والولايات المتحدة الجالسان هنا والبعيدان آلاف الأميال عن المنطقة أن يأتيا إلى هنا وأن يقولا إما « الفتح » أو « العاصفة » ؟ وإذا كان الاسرائيليون في شكواهم قد أدانوا المجهول ، كيف يمكن للولايات المتحدة وبريطانيا أن تكونا أكثر معرفة وتأكدا من الاسرائيليين ؟ أقول : هل هذه محاولة من قبل إحدى هاتين الدولتين للاستفادة

من هذا الحادث فى سنة انتخابية وأن تكون أكثر إسرائيلية من إسرائيل نفسها ؟ جميع هذه الأسئلة المهمة تكشف الحافز الحقيقى لوضع هذا النص » .

وفى مثل هذا الاجتماع الذى تكررت فيه الاشارة إلى حركة « الفتح » ، كان « تشيف اديبو » سفير نيجيريا يترأس مجلس الأمن ، وكان من عادته أن ينادى كل عضو فى مجلس الأمن يطلب الكلمة باسمه لا بصفته . . فلا يقول أدعو ممثل دولة كذا ، بل أدعو السيد كذا ممثل الدولة . كنت فى إحدى هذه الجلسات قد أشرت مع التأكيد إلى حركة « الفتح » . وكثيرا ما دافعت عن التهم التى تحاول إسرائيل تارة ، وبريطانيا وأمريكا تارة أخرى ، إلصاقها بفتح . ويبدو أن اسم « الفتح » قد لصق فى ذهن رئيس المجلس ، وعندما طلبت الكلمة الثانية فى تلك الجلسة ، قال الرئيس ، إما بدون وعى أو متعمدا لا أدرى : « والآن أعطى الكلمة للسفير الفتح من الأردن » . قال السفير « الفتح » بدل أن يقول السفير « الفرّا » . أثارت هذه الجملة ضحك أعضاء مجلس الأمن ، وكذلك السفراء والدبلوماسيين ورجال الاعلام والنظارة الجالسين هناك . . كان هناك عضو واحد جالسا مواجها لى على الجانب الآخر من مائدة المجلس الشبيهة بحدوة الحصان ، وهو الوحيد الذى ظن أن ما حصل لا يدعو إلى الضحك ، كان هذا هو المندوب الاسرائيلى .

بعد ذلك لفت السفير جولدبرج انتباه وزير خارجيتى إلى كلمة كنت ألقيتها أمام الجمعية العامة حول قضية اللاجئين ، وحول محاولة تخفيض ميزانية وكالة الغوث من أجل الضغط على الدول العربية المضيفة لاستيعاب اللاجئين ضمن حدودها وبذلك تضع حدا لحق العودة . **حذرت الجمعية العامة من أن هذا التصرف سيؤدى إلى المزيد من عدم الاستقرار فى الشرق العربى . وفى كلمتى أمام الجمعية العامة فى نوفمبر/تشرين الثانى ١٩٦٦ ، هاجمت هذه الممارسات الأمريكية البريطانية بالنسبة للقضية الفلسطينية ككل ، وبالنسبة لهذه المادة بصورة خاصة ، وقلت :**

« عندما يجد شعبنا انه لا يوجد تقدم نحو الحل السلمى العادل وأن هناك محاولة معاكسة لانهاء مسئوليات وكالة الغوث الدولية من أجل نقل المسئوليات للدول المضيفة ، فمن حقهم أن يثوروا وأن يتحدّوا هذه الاجراءات بجميع الوسائل المتوفرة لديهم .

« . . نحن نرى هذه التحديات اليوم ، إن هذه التطورات غير السارة فى المنطقة التى حذرت من وقوعها سابقا هى نتيجة السياسة الأمريكية بالنسبة لهذه القضية ، ورفض إسرائيل إعادة اللاجئين إلى بيوتهم » .

هجوم على قرية السموع والتقدم لمجلس الأمن

وبتاريخ ١٣ نوفمبر/تشرين الثانى ١٩٦٦ ، قامت إسرائيل بهجوم وحشى ضد الأردن . تخطت قوات إسرائيل النظامية خط الهدنة وهدمت بيوتا فى قرية السموع



□ المؤلف يعرض صور ضحايا العدوان الاسرائيلي على قرية السموع على مجلس الأمن فى نوفمبر/تشرين الثانى ١٩٦٦ .

وقتلت مع سبق التصميم ، وجرحت عددا من المواطنين المدنيين . وأصدرت الخارجية الأمريكية بيانا صحفيا ضعيفا حول ما جرى . وبتاريخ ١٦ نوفمبر/تشرين الثانى ١٩٦٦ ، القيت خطابا امام المجلس باعتبارى شاكيا ، اقتبس السفير جولدبرج قسما من هذا الخطاب وتلاه أمام وزير خارجيتى :

« إن رد فعل الولايات المتحدة الذى يعكسه البيان الصحفى رقم ٤٩٧٥ بتاريخ ١٣ نوفمبر/تشرين الثانى ١٩٦٦ يمكن وصفه انه ، بأقل الدرجات ، كان بيانا تعيسا ، فقد حاولت الولايات المتحدة أن تجد مبررا للهجوم الإسرائيلى . وزيادة على ذلك ، أقول مع الاسف إن امريكا ما زالت تتعامل مع قضية فلسطين وكأنها من القضايا المحلية ـ لقد قامت بذلك منذ البداية وحتى الآن . لهذا فسياستها أمام المشكلة الفلسطينية لم تمنع المجرمين الصهيونيين الذين تخطوا خط الهدنة من القتل والذبح . والآن عندما ظهرت وقائع القضية واضحة . الآن بعد أن استمعنا إلى تقرير الأمين العام للأمم المتحدة القيم . الآن بعد أن أصبحت الولايات المتحدة ترى تطور سوء الحالة وزيادة التوتر فى بلد صغير ، فى بلد صديق ، فى بلد محب للسلام ، فى الأردن ، نود أن نسمع ماذا سيقول ممثل الولايات المتحدة .. أنت يا سيادة الرئيس ماذا ستقول عن هذه الجريمة ؟ » .

بعد ذلك تحدث السفير جولدبرج طويلا مع الوزير عن خطابى لمجلس الأمن بتاريخ ٢١ نوفمبر/تشرين الثانى ١٩٦٦ ، وتلا جزءا طويلا منه . وكل ما نقله فى هذه المرة وما سبقها ، كان صحيحا .. غير أنه أخذ ينتابنى الشعور بعد أن سمعت كل هذا أنه لا يحق للقاضى

جولدبرج أن يستمر فى هذا التدخل فى أمورنا الداخلية . فأنا أمثل دولة مستقلة ذات سيادة ولا حق له أن يستجوب وزير خارجيتى بالنسبة لخطب سفيره . وما دام الوزير لم يوقفه ، رايت أن أتحلى بالصبر إلى أن ينتهى هذا الحوار .

كان هذا هو الجزء الذى تلاه جولدبرج بنوع من الاهتمام :

« نشرت « النيويورك تايمز » يوم السبت الماضى أن مرجعا فى مركز كبير فى واشنطن ذكر أن سياسة الولايات المتحدة نحو إسرائيل ستبقى سياسة صداقة ومساعدة وحماية ، كما كانت منذ ولادة إسرائيل .

« وأنا اتساءل ما معنى الإصرار على الصداقة والمساعدة والحماية من قبل مرجع يحتل مركزا كبيرا فى واشنطن فى هذه المرحلة من مناقشات المجلس ؟ هل صدر هذا البيان لمساعدة الأعضاء هنا لتكوين رايهم أو تقديرهم لموقف دولة كبرى تتمتع بمقعد دائم فى مجلس الأمن ؟ أو هل كان المقصود منه تهدئة أعصاب المعتدى الذى يواجه الآن الإدانة وطلبات فرض العقوبات ؟ وإذا كان الرد على قضيتنا هنا هو طمأنة إسرائيل بأنها تجد الصداقة والدعم والحماية ، فهل مجلس الأمن فى موقف لإتخاذ اى إجراء لمنع العدوان ؟ » .

واضفت : « ما قلته الآن هو استقراء أى رجل عادى مما قاله المسئول الكبير ، بالإضافة إلى ظروف أخرى لا يعرفها اعضاء المجلس .

« إذا كنت من خلال رئاسة المجلس تستطيع أنت يا سيادة الرئيس ، وأنت ممثل الولايات المتحدة الأمريكية ، أن تعلمنى إذا كان تقييمى خاطئا يسعدنى ويسعد وفدى أن يصحح هذا التقييم . اقول ذلك لأن هذا البيان الأمريكى قد أقلق حكومتى وحكومات عربية أخرى ، لأنه يعكس الموقف الذى ستتخذه الولايات المتحدة الأمريكية بالنسبة للعدوان الذى يناقشه المجلس الآن وبالنسبة لقضية فلسطين ككل » .

واضيف : « إننا لا نستطيع أن نتجاهل أن الست والأربعين دبابة التى هاجمت السموع فى الأردن كانت من نوع الباتون الأمريكى ، التى قيل لنا أنها أرسلت لأمور دفاعية ، لكنها استخدمت لاجتياح الأردن فى عملية عدوانية شرسة أطلق عليها السفير الإسرائيلى كومى اسم عملية دفاعية . هل هذه الدبابات سلمت أيضا انسجاما مع سياسة الصداقة والمساعدة والحماية ؟ وقل لى يا سيادة الرئيس لماذا استعملت للهدم والقتل والعدوان ؟ » .

قدّر وزير خارجيتى أن الحديث كان عن السموع ، وهى القرية التى هدم نصفها نتيجة العدوان بالإضافة إلى عشرات الرجال والنساء والأطفال الذين ذبحوا ، مع إصابات أخرى أشار إليها تقرير الأمين العام للأمم المتحدة .

قلت للوزير : اوقف جولدبرج !

كان هذا كل ما قاله جولدبرج عن خطب ١٩٦٦ ، وظننت أنه انتهى لكنه تبين أن لديه الكثير الذى يقوله عن عام ١٩٦٧ ، فهى سنة حرب الأيام الستة .. السنة التى خطط فيها السفير جولدبرج فى نيويورك مع الاخوين رستون .. أحدهما فى البيت الأبيض والثانى فى وزارة الخارجية . وقد لعب ثلاثتهم الدور الرئيسى لدعم إسرائيل . لم أشأ إيقاف السفير والاعتراض على المزيد من هذا أو الإشارة إلى السيادة الأردنية ، بل همست فى أذن الوزير وطلبت منه أن يوقف جولدبرج . فقد استمعنا إلى الكثير ، ولا يجوز استمراره فى التدخل فى أمور الأردن الداخلية . غير أن الوزير أراد ان يسمع المزيد ، فقد تلقى كل ما سمعه بهدوء وبنوع من التسلية .

حرب الأيام الستة

تبين من حديث جولدبرج أنه كان يصغى بكل اهتمام لخطبى الكثيرة فى مجلس الأمن فى أثناء حرب الأيام الستة . **بتاريخ ٧ يونية/حزيران ١٩٦٧ ، اعلن الاردن قبول وقف اطلاق النار ، وارسلت وزارة الخارجية الأردنية برقية بهذا المعنى إلى الأمين العام للأمم المتحدة** ، وتليت البرقية بعد ظهر يوم ٨ يونية/حزيران ١٩٦٧ ، وكان القبول مفاجأة للجميع . وصعق كل من سمع الاعلان من جميع الوفود العربية والصديقة التى كانت بعيدة عن الصورة الحقيقية . كنت جالسا فى مجلس الأمن منتظرا ما سيفعله المجلس ، عندما جاءنى وزير خارجية المغرب المرحوم أحمد بن هيمة وطلب منى أن اتحدث فى مجلس الأمن رغم كل ما وقع وأن لا أترك الميدان إلى أبا إيبان ، ولا إلى المتشبث جولدبرج . **واضاف : هذا هو الوقت لإلقاء كلمة ، ارجو ان تفعل ذلك .. قل اى شىء .. إن الأردن صديق للولايات المتحدة .. تكلم ليعلم الرأى العام الأمريكى ما الذى فعلته الولايات المتحدة لصديق .**

قلت لأخى أحمد : إن إعلان وقف اطلاق النار قد تم ، لقد قلت الكثير منذ قيام الحرب ولا جديد عندى اقوله . انهزمنا ... فماذا أقول ؟ كنت مستاء جدا وأكاد لا أصدق أن كل ما كنا نسمعه كان مجرد وهم ... وتضليل افتعلته إسرائيل وصدقه العرب ... ! .

قال بن هيمة بالحاح وتأكيد : لا .. لا .. هذا غير صحيح ، أعرف أنك لا تعنيه ، أنت أقوى من الهزيمة .. استعد للكلام ، سأذهب الآن وأضع اسمك على قائمة المتكلمين .. ستتكلم بعد أن ينتهى جولدبرج من كلمته الآن .

كان آرثر فى تلك اللحظة قد أخذ ينهى كلمته موجها اللوم إلى العرب والاتحاد السوفييتى لما حدث . كان فى الواقع يقول فى خطابه للعرب : « قلنا لكم هذا » .

وبعد أن انتهى من إلقاء كلمته أعطانى الرئيس الكلمة ، وهذا هو الجزء الذى نقله السفير جولدبرج إلى الوزير ليوحى له أننى محام غير مرغوب فيه لتولى الدفاع فى قضية بلادى :

« المساعدة الأمريكية السخية التى أعطيت لإسرائيل بواسطة الهبات المعفاة من الضرائب والأسلحة ، ودبابات الباتون ، المعطاة لأغراض دفاعية ، والتى استعملت لاجتياح الأردن ، والأسلحة الثقيلة والغطاء الجوى القوى المقدم من الولايات المتحدة .. كل هذه مكنت إسرائيل من احتلال الكثير من أراضينا ، ومن تشتيت وتشريد المزيد من أهلنا » .

وكنت قد أضفت ـ وهذا ما لم يشر إليه جولدبرج : « **لكن كل ذلك لن يمكن إسرائيل من قهر روحنا القوية ولا إيماننا ولا تصميمنا على تحرير بلادنا . لتتقدم القوات الإسرائيلية ومعها الدعم الأمريكى ، لتاخذ عمان ودمشق والقاهرة وغيرها ، لكن شيئا واحدا لن تستطيع اخذه هو قهر إرادتنا . سنقاوم الاحتلال . ستقوى المقاومة وسيكون النصر لنا** » .

كانت معنوياتنا فى الأمم المتحدة قوية جدا . كنا نسخر من خسارة « معركة » ، ونعرف أننا سنتغلب على الصعاب وستقف هذه الأمة وتنتصر .

وفى اليوم التالى ، ٩ يونية /حزيران ، خالفت إسرائيل قرار وقف إطلاق النار . وبدلا من أن يعالج جولدبرج النقطة الوحيدة والرئيسية أمام مجلس الأمن وهى هذه المخالفة ، جاء باقتراح قيام الجهاز فى المنطقة بالتحقيق حول من الذى خالف إيقاف إطلاق النار . وظننت أننى لو تركت هذا الإنحراف عن القضية بدون رد ، فقد ينتهى الأمر بإدانتنا من قبل مجلس الأمن لا إدانة إسرائيل ، ولهذا كان علىّ الرد عليه . وفيما يلى ما تلاه القاضى جولدبرج من خطابى فى مجلس الأمن على وزير الخارجية ، بينما كنت أصغى باستغراب :

« استمعت باهتمام للبيان الذى ألقاه السفير جولدبرج ممثل الولايات المتحدة . واستغربت أن يتحدث القاضى جولدبرج عن تحقيقات محايدة بشأن إيقاف إطلاق النار من قبل جهاز الأمن العام فى المنطقة .. استغربت هذا لأننى كنت آمل أن يضع القاضى جولدبرج النقاط الأولى أولا ، كنت آمل أن يطلب من المجلس التأكد من الوقائع بالنسبة للعدوان ، ومن الذى ارتكب العدوان ، الذى يبحثه المجلس الآن ، من الذى اجتاح الأراضى واحتل مدن وقرى وهدم مبانى وقتل سكان ؟ ! . كنت آمل أن يأتى القاضى جولدبرج هنا كممثل لدولة عظمى ، من أعضاء الأمم المتحدة ، وهو الذى كان يردد كلمات : « كلما عظمت الدولة ، عظمت مسؤولياتها » ، أقول كنت أتوقع أن يأتى أمام المجلس مقدرا مسؤولياته ليبحث صلب الموضوع . لكن القاضى جولدبرج لم يفعل ذلك ، لم يتعرض لجريمة الحرب التى ارتكبت ضد حكومتى ، ضد شعبى ، وضد المواطنين المدنيين فى الأردن .

« وهناك سؤال آخر . كثيرا ما أسمع جملة تتكرر مرة وأخرى أن حكومة الولايات

المتحدة ملتزمة بحماية وحدة وسلامة اقاليم جميع الشعوب فى الشرق الأوسط .. وأسمع كثيرا تردد كلمتى « **جميع الشعوب** » . لكن عندما اجتاح الجيش الإسرائيلى التراب الأردنى ، عندما قتل آلاف المدنيين ، لم أسمع شيئا عن هذا الالتزام الأمريكى فيما عدا الخطاب الذى كرر نفس البيان :

« نحن ملتزمون لجميع الأعضاء فى الشرق الأوسط ولجميع الشعوب فى المنطقة » .

« وأجد من واجبى أن أقول للولايات المتحدة ما يلى :

« نحن بلد صديق للولايات المتحدة ، وكعضو صغير فى هذا المجلس علينا أن ننتبه لمراعاة حساسيات دولة كبرى . علينا أن ننتبه فى اختيار الكلمات والاصطلاحات لأننا فى حاجة لتأييد جميع الدول الكبرى ، غير أن ما يجرى لا يمكن نعته أو وصفه بكلمات حلوة ! » .

وفى اليوم التالى ، تابع مجلس الأمن مناقشة الموضوع ولم تجر أية محاولة لإنهاء الاحتلال الإسرائيلى لأراضينا ، وكان علىّ أن أتكلم واستفز خطابى السفير جولدبرج . وهذا ما نقله السفير من خطابى :

« صفحات كاملة من الجرائد (نشرها اللوبى الصهيونى فى الولايات المتحدة) استخدمت لتضليل الرأى العام الأمريكى . هذه الصفحات تحدثت عن السلام ، إحداها حملت عنوان : « إسرائيل تريد السلام » . ويبدو أنهم أخطأوا فى تركيب حروف كلمة (PEACE) (التى تعنى سلام) ، وكان الأجدر بهم كتابة الكلمة الحقيقية التى تمارسها إسرائيل الآن وهى (PIECE) (وهى تعنى قطعة) .. نعم هى تريد قطعة أرض الآن وقطعة أرض فى اليوم التالى وقطعة فى اليوم الذى يليه إلى أن تحقق إسرائيل الكبرى . فقد احتلت اليوم الضفة الغربية ، وهى قطعة (PIECE) رقم واحد ، واحتلت قطاع غزة وهو قطعة (PIECE) رقم اثنين ، والجولان السورى وهو قطعة (PIECE) رقم ثلاثة ، وسيناء مصر وهى قطعة (PIECE) رقم أربعة ، وهكذا .. هذا هو السلام الذى تعنيه . والسلام الذى تعنيه هو الكلمة التى ذكرتها .. ونحن هنا فى مجلس الأمن ، بدلا من اتخاذ القرار الفعال السريع فى عدوان ظاهر ، دخلنا فى نقاش عن القانون والشرعية وغير الشرعية . كان هذا حديث الأمس ، أما حديث اليوم عندما ظهرت الوقائع الدامغة ، وقدمها الأمين العام تغير الاتجاه . فجاءت الولايات المتحدة لمجلس الأمن لتقول إنها لا تستطيع الحكم على ادعاءات من جانب واحد . وكأن ما جرى وعرفه العالم يحتاج إلى إثبات . هذه ليست ادعاءات يا سيادة الرئيس ، فقد قدم الأمين العام البينات والوقائع . وكلنا نذكر أن السفير جولدبرج بالذات ـ أنت ـ هو الذى قدم مشروع قرار فى أكتوبر الماضى ، يريد فيه إدانة دولة استنادا إلى تحقيقات من جانب واحد . أما قضيتنا فواضحة ، وموقف الولايات المتحدة هو الغريب » .

أمر المجلس بإيقاف الحرب فى جزء من الشرق العربى ، لكن مخالفات إسرائيل للقرار استمرت ، واستمرت الحرب فى سيناء وغزة والجولان . وحالت التكتيكات الأمريكية دون اتخاذ إجراء سريع لإيقاف الحرب . أردنا العمل السريع ، لكن سلوك الولايات المتحدة دعا إلى عدم اتخاذ إجراء . شاركت الدول العربية فى المناقشة ووجهت نداء لمجلس الأمن ، لاتخاذ إجراءات فعالة . وبعدها ألقى السفير جولدبرج كلمة نصح فيها أعضاء المجلس بأن لا يلقوا خطابات نارية .

هاجمت موقف جولدبرج الذى لا يريد لنا حتى إبداء الاستياء لما يدور فى أهم أجهزة الأمم المتحدة ـ مجلس الأمن ـ وهو الجهاز المكلف بحفظ السلام والأمن الدوليين . وفى اجتماعنا ذكر جولدبرج ما يلى من خطابى :

« يُطلب منا أن لا نلقى خطبا حماسية فى هذا المجلس ، المطلوب كما يفضل جولدبرج ليس الكلمات الساخنة . وهذا يعنى أن المطلوب منا هو السكوت بينما تقوم القوات الإسرائيلية بغزو أرضنا وذبح شعبنا . يطلب منا أن لا نسمى الجريمة باسمها . أمامنا نصيحة بأن نتجنب إيضاح جرائم إبادة البشر المرتكبة ضد أهلنا ..

« إننا نوافق على ان الكلمات الساخنة وحدها ليست الجواب السليم للأعمال الساخنة . قد لا تكون لدينا وسائل اخرى فى الوقت الحاضر ، لكننا تجاه هذه الظروف نامل ان نستطيع بواسطة الكلمة الصادقة النزيهة ان نفتح بابا مغلقا وان نرفع الستار المظلم بيننا وبين الشعب الأمريكى ، كى لا تكون الحقيقة غريبة فى ارض جيفرسون وواشنطن .

« كيف نستطيع ، نحن وفد الأردن ، الدولة الصغيرة فى الأمم المتحدة ، أن نجد لغة لطيفة معتدلة ناعمة لا تجرح شعور دولة كبرى لنصف بها قنابل النابالم الأمريكية التى استعملها الإسرائيليون ضد شعبنا وجيشنا الصغير الشجاع الذى حارب بدون آليات مناسبة وبدون غطاء جوى ، ولكن بكل التضحية وبكل الشجاعة وبكل الرجولة والإصرار ؟ ومع هذه الأعمال الوحشية والأعمال الأخرى التى ترتكبها إسرائيل ، كيف نستطيع أن نجد مبررا لهؤلاء السياسيين الأمريكيين الذين يستغلون المعاناة والآلام والخسائر التى يتكبدها شعبنا ، وجرائم إبادة البشر التى ترتكب ضده ، من أجل تحقيق مكاسب سياسية محلية شخصية رخيصة ؟ » .

مقارنة الصهيونية بالنازية

ثم أشار جولدبرج إلى موقفى فى حرب يونية/ حزيران عام ١٩٦٧ ، عندما قارنت الصهيونية بالنازية ، كما استفز عندما قلت إن الولايات المتحدة تحاول دعم وتكييف العدوان

الإسرائيلى . كان السفير الأمريكى قد قدم مشروع قرار عارضناه بشدة ، وقلنا إنه يحقق لإسرائيل مكاسب سياسية عن طريق القوة ، وهذا ما يشجع المعتدى . وقد اثبتت الأحداث بعد ذلك صحة تخوفنا . وهذه السياسة والدعم الامريكى هما اللذان شجعا على المزيد من الحروب والمزيد من معاناة الإنسان . فالوقاحة الإسرائيلية والرغبة فى التوسع معززة بالدعم الأمريكى المالى والعسكرى ، ولَّدت النتائج التى يواجهها مجلس الأمن . ركز السفير فى حديثه مع وزيرى على هذه الكلمات مشيرا إلى خطابين القيتهما فى الثالث والرابع عشر من يونية/ حزيران ١٩٦٧ . حيث قلت :

« يعتبر الأردن صديقا للولايات المتحدة . ويؤسفنى أن أقول إن الأردن قد خُدع من قبل ما سمى صديق . لقد وعدنا بتأمين سلامة أراضينا وبأن سلامة أراضى جميع الشعوب فى الشرق الأوسط ستكون مضمونة . قيل لنا إن تحركات الأسطول السادس فى البحر الأبيض المتوسط قصد بها التأكيد على تنفيذ هذه السياسة وإيقاف العدوان من أى جهة كانت . ولكن عندما تم غزو الأردن وتم احتلال جزء كبير من أراضيه بدون وجه حق ، وقف الأسطول السادس صامتا . ولا يستطيع المرء إلا أن يتساءل : هل كان الأسطول السادس واقفا هناك لحماية الأردن ، أم لتسهيل مهمة الغزاة ؟ ! .

« فإذا كانت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية تتجاهل حقوق العرب ، وإذا كانت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ترغب فى أن تكون النفعية هى مبدؤها الذى تعتمد عليه ، فسيطرح هذا الأمر الخطير تحديا لكل عربى .

« وفى النهاية ، دعونى أقل بكل وضوح : إن الأردن ليس سعيدا للدور الذى لعبته الولايات المتحدة الأمريكية وبعض القوى الأخرى فى مجلس الأمن بالنسبة لقضيتنا . وإذا استمرت هذه السياسة الأمريكية ، ربما ربح بعض السياسيين فى امريكا ما سمى « بالصوت اليهودى » فى الولايات المتحدة ، لكن الشعب الأمريكى سيخسر بكل تاكيد - واكرر بكل تاكيد - جميع مصالحه واصدقائه فى الشرق العربى .

« ... يشعر وفدى أنه بوجود سفينة التجسس - ليبرتى - فى المنطقة فى مهمة ، كان لدى الولايات المتحدة ما يبرر الاعتقاد بأن الاسرائيليين يعدون لعدوان ضد الأردن » .

اما بالنسبة للحركة الصهيونية وما تناوله خطابى حول المقارنة بين النازية والصهيونية ، فقد أخذ من كلمتى فى مجلس الأمن بتاريخ ١٣ يونية /حزيران ١٩٦٧ ما يلى :

« ... النازية والصهيونية تتفقان على فكرة الطابور الخامس : فقد استخدم النازيون الطابور الخامس ، واستخدم الصهيونيون فى الولايات المتحدة مجموعات الضغط .. يوجد لهم مدينة داخل كل مدينة ، وقرية داخل كل قرية ، ولهم مجموعات ضغط فى كل فرع من فروع الحكومة الأمريكية . هذه هى الوقائع .. فليتقدم الاسرائيليون ليدحضوا أيا منها . لهذا ، فحركة هدامة كهذه يجب أن لا يسمح لها أن تعمل فى الولايات المتحدة ضد مصالح الشعبين

العربى والأمريكى . والحركة التى تهدف إلى التوسع وتشريد شعبى والتوسع فى أراضينا وتشريد اهلنا وحيازة المزيد من المدن والقرى ، هذه الحركة يجب أن لا يسمح لها بالعمل فى الولايات المتحدة » .

وبتاريخ ١٤ يونية/حزيران عام ١٩٦٧ تساءلت : « لماذا غيرت أمريكا سياستها التى اتبعها الرئيس ايزنهاور فى حالة مماثلة عام ١٩٥٦ ؟ هل يسمح الميثاق لاسرائيل أن تحقق مكاسب عن طريق القوة ؟ » وأضفت : « إن السيد جولدبرج هو قاض ويستطيع الرد على هذا السؤال ، فمن حق كل من الشعب الأمريكى والشعب العربى أن يعرف الرد » .

لماذا التعرض لسياسة الولايات المتحدة ؟

قد يتساءل القارىء لماذا اختار السفير جولدبرج إثارة هذه الأمور مع وزير خارجية الأردن ؟ أو لماذا تعرض سفير الأردن لدى الأمم المتحدة للولايات المتحدة فقط فى خطبه ؟ هذه أسئلة واردة وتتطلب الرد .

فى خطبى عرضت قضية بلادى وما هى عوامل السلام الحقيقى ، وأشرت لعدد من الدول التى اتخذت مواقف لا تتفق والتزاماتها بموجب ميثاق الأمم المتحدة . وللولايات المتحدة التزام خاص فرضه الميثاق لابد من التأكيد عليه . أضف إلى ذلك أنه **تبين لنا بوضوح قبل الحرب وفى اثنائها أن الولايات المتحدة ذات المسؤولية الخاصة قد عملت كل شىء لاحتضان اسرائيل ودعمها وتغذية اعمالها العدوانية** . خذ مثلا : موقف السفير جولدبرج نفسه : تحدث فى مايو/آيار ١٩٦٧ ، اى قبل أيام من الاحتلال الاسرائيلى لأجزاء من الوطن العربى ، وقال فى مجلس الأمن : « إن العودة إلى الحال السابق (كانت مصر قد اقفلت تيران) الذى كان سائدا خلال الأحد عشر عاما الماضية يعطى مجلس الأمن فترة تنفس ، وفترة الراحة التى اقترحها الأمين العام ، والتى تمكن من معالجة المشكلة والوصول لحل مشرف وعادل ومعقول لجميع المشاكل » .

غير أنه بعد أن تم الاحتلال تغيرت فجاة السياسة الأمريكية . ولابد أن رجال القانون الدولى فى حيرة من هذا التضارب فى السياسة الأمريكية عندما يقارنون ما قيل فى مايو/آيار ١٩٦٧ ، بما قيل فى الشهر التالى يونية/حزيران ، بعد أن سجلت إسرائيل انتصارها . قال جولدبرج فى شهر يونية/ حزيران :

« ما يحتاجه الشرق الأدنى اليوم هو خطوات جديدة تقوده للسلام الحقيقى ، لا مجرد إيقاف إطلاق نار الذى هو لدينا اليوم ، لا هدنة هشة قابلة للانهيار وهى التى كانت لدينا لمدة ثمانى عشرة سنة ، لا مجرد الانسحاب الذى هو ضرورى لكنه غير كاف » .

وفى شهر مايو/آيار ، أى قبل حرب يونية/حزيران ، قال جولدبرج للمجلس : « إن المفاوضات من أجل السلام لا يمكن أن تتم ما لم يفتح خليج العقبة للسفن الاسرائيلية ، أى عودة الحال السابق ، وأضاف أنه لا يمكن التفاوض واكتشاف الأسباب الحقيقية للنزاع العربى ـ الاسرائيلى فى جو التوتر الذى خلقه إقفال خليج العقبة » .

أما بعد الانتصار الاسرائيلى ، فقد تبنت الولايات المتحدة موقفا يعاكس كلية الموقف السابق . قال السفير جولدبرج :« إن العودة إلى الحال السابق هو وصفة تؤدى إلى الكثير من الحروب الجديدة .. » .

وهذا الموقف هو الذى جمد مجلس الأمن ، وشجع إسرائيل على رفض الانسحاب وعلى اتخاذ خطوات أكثر وقاحة : الاجتياح والحروب ، حتى أنها قامت بعد ذلك وبكل صلف باجتياح لبنان والبقاء عند كتابة هذه السطور فى جنوبه .

واليوم تصر إسرائيل على مفاوضات مباشرة ثنائية . وهى مفاوضات فى ظل الاحتلال وتفرضها فوهة البندقية . وهى من نوع المفاوضات التى حققتها إسرائيل مع انور السادات فى مصر ، ومع اللبنانيين عندما كان جزء كبير من ترابهم تحت الاحتلال ، وهذا ما يسميه أنتونى ناتنج « **فرق وانتصر** » ، وهذه هى ما سماها « **شروط المنتصر** » .

مضت ساعة على هذا الاجتماع واقتباس خطبى التى اعتبرها السفير الأمريكى « هجومية » . لكن جولدبرج كان يتمتع بإصغاء الوزير الأردنى وصبره . واستمر فى قراءة المزيد من بياناتى أمام مجلس الأمن والجمعية العامة ، ولم تساعد ورقتى الصغيرة التى كتبتها لوزيرى طالبا ايقاف جولدبرج . كان وزير الخارجية يعتقد كما عرف من السفير الأمريكى فى عمان أن جولدبرج هو الرجل الذى يستطيع أن يأتى بالحل أو يفسده بالنسبة للأردن ، ولهذا أراد الوزير أن يمشى معه إلى نهاية الطريق .

الاتفاق مع الوزير
على إيقاف جولدبرج والرد عليه

همست فى أذن الوزير أنه احتراما لبلادى ولشخصى ، أرفض أن استمر فى الجلوس هناك مستمعا لاتهامات وتهجمات جولدبرج علىّ وعلى الحكومة الأردنية وسياستها . « هذا لا يليق وأنا أرفضه » .

وأضفت : « سأوقفه وأرد عليه إذا لم تفعل ذلك » . فى هذه المرحلة أخذ الوزير يشعر بالملل وعدم الصبر ، قال لى بأكثر ما يمكن من الهدوء : « لا مانع من الرد عليه ، وأرجو أن يكون ذلك بكل العناية المطلوبة » .

قلت لجولدبرج :

« يبدو أن السفير جولدبرج قد استثمر واستخدم صبر ومجاملة الوزير حتى النهاية . أنا لا أجلس هنا لتلقى التهم والهجوم من الممثل المحترم السفير الأمريكى . انا أمثل دولة ذات سيادة . جميع ما ألقيت من خطب ومداخلات وما تقدمت به من مشاريع قرارات إلى مجلس الأمن وإلى الجمعية العامة ، جميعها قدمت بتعليمات محددة من حكومتى ، ولهذا فقد بقيت ممثلا لها لمدة تفوق حتى الآن السبع سنين . ما قاله زميلى السفير جولدبرج خلال ما يزيد على الساعة الآن اعتبره تدخلا فى أمورنا الداخلية . من المؤكد أن سياستنا تمليها مصالحنا . وسيكون مفيدا لوزارة الخارجية الأمريكية أن تنظر فى سياستها هى بالنسبة لمشكلتنا مع اسرائيل ، وإن أية تحليلات محايدة للموقف الأمريكى سوف تظهر تفهما واتفاقا مع الموقف الأردنى الذى يشكو منه السفير جولدبرج » .

وانهيت كلمتى قائلا :

« الصداقة يا سيادة السفير ، كما قلت انت فى اجتماعك الأول بالوزير ، هى نهج ذو اتجاهين » .

وجاء رد جولدبرج مؤكدا أنه لم يقصد التدخل فى أمور الأردن الداخلية ، وأنه كان يعتقد أن الغاية من وراء هذا الاجتماع هى تحديد الخلافات ومحاولة حلها ، حتى يبدأ تفاهما جديدا بين البلدين . وأضاف : « أعتقد أن ما قلناه فيه الكفاية ولن اقتبس وأقرأ المزيد من كلمات السفير الفرّا » .

موقف وزير خارجية الأردن وطلب المساعدة .. حوار مع الفريق الأمريكى

هنا تحدث وزير الخارجية وقال إنه وزير جديد ، لكن « للدكتور الفرّا مكانة عالية فى نظر كل انسان . ومواقفه كما أعلم تعكس موقف الحكومة وسياستها » . وأنهى تدخله بقوله : إنه على كل حال سيدرس كل ما قاله السفير جولدبرج . والتفت بعد ذلك إلى السفير الأمريكى وقال :

« دعنا نلتفت إلى المشكلة الحالية ، ماذا تستطيعون أن تفعلوا لأصدقائكم ؟ » .

ـ أجاب جولدبرج :

« نحن بلد ديمقراطى ، نحن لسنا إسرائيل ، ساعدونا وأعطونا الفرصة كى نساعدكم ، هذا هو موقفنا » .

ـ سأل الوزير :

« هل أنتم تشكون من صحافتنا ، من اذاعتنا ، أو من الرأى العام فى بلادنا ؟ » .

ـ أجاب السفير جولدبرج :

« لا .. لا ... فقط ما يجرى هنا فى الصعيد الدولى » .

ـ الوزير : « يعنى من الدكتور الفرّا » .

ـ جولدبرج : « تماما » .

ـ وهنا انضم للحديث جوزيف سيسكو قائلا :

« كل ما يقوله الدكتور الفرّا ينقله تليفزيوننا ومذياعنا وصحافتنا . وكما قلت يا معالى الوزير قبل انضمام الدكتور الفرّا إلينا ، وأنت على حق ، لقد تعرض لنا وهاجمنا وزير خارجية مصر السيد رياض اليوم ولم يهاجم أية دولة أخرى ، هذا يجعلنا فى موقف لا يمكننا من تقديم أية مساعدة لقضيتهم » .

ـ الوزير :

« إن الشعب الأردنى يكن مودة للولايات المتحدة .. لا شىء يكتب أو ينشر ضدها . وأنا واثق أن سفيركم فى عمان ينقل لكم كل هذا » .

ـ أجاب جوزيف سيسكو :

« أنا سعيد جدا أن شعبكم يكن الحب لأمريكا لكن المشكلة هنا » .

ـ وهنا انضم السفير وليم بافام إلى الحوار :

« حتى أعضاء الأمم المتحدة لا يفهمون لماذا يقف الدكتور الفرّا ضدنا ، الهجمات الشديدة المستمرة على الولايات المتحدة تجعل مساعدتكم مستحيلة . والخطب مهمة جدا بالنسبة لتحسين أو الاساءة للعلاقات » .

ـ الوزير :

« نعم ، إن السياسة اللامسؤولة لأية حكومة ، أو الخطب تؤثر على علاقات الصداقة » .

هنا كنت سعيدا لأن الوزير قد انتقد ضمنا السياسة الأمريكية التى تؤدى إلى خطب النقد الشديدة اللهجة . كتبت ملاحظة سريعة للوزير أن لا يكون لينا . لماذا لا يسأل السفير عن موقفه وموقف حكومته بالنسبة لحقوقنا واستمرار الاحتلال الاسرائيلى لأراضينا ؟ لماذا لا يسأله عن التبرعات المعفاة من الضرائب التى تقدم لاسرائيل لتعزيز قوتها العسكرية ؟ لماذا لا يسأل عن الدعم الاقتصادى والعسكرى الذى يغذى استمرار الاحتلال الاسرائيلى ؟ لماذا لا يؤكد كيف أن الولايات المتحدة تساعد بتصرفاتها وأعمالها وسلوكها الغزو الاسرائيلى ؟

هنا همس الوزير فى أذنى قائلا : إنه سيفعل ذلك واتمم حديثه مع السفير قائلا :

« لقد أصغيت بكل عناية لما ذكرتموه جميعا . أرجو أن تذكروا أيضا عندما تقيموا خطبنا فى الأمم المتحدة ، سياستكم بالنسبة لقضيتنا المركزية . لقد ذكركم سفيرنا ، وهو على حق ، أن الصداقة هى نهج ذو اتجاهين . دعونا ـ خلال وجودى هنا ـ نجتمع ثانية ، ونرى كيف نستطيع نحن وأنتم تحسين التفاهم بيننا . أنا لا يساورنى شك أن سفيرنا ونحن جميعا نود أن لا نجد أنفسنا فى موقف يدفعنا إلى معارضة سياستكم . علينا أن ندرس هذه المسألة أكثر . لكن قل لى الآن : ماذا تستطيعون أن تعملوا لمساعدتنا ؟ » .

ـ جولدبرج :

« بكل صراحة دعنى استعمل مثلا أمريكيا عاميا « نفد وقودنا » . لا نستطيع عمل أى شىء ، لا نستطيع أن نعطيكم وحدة أراضيكم . عليكم المشاركة فى برنامج لحل المشكلة . إذا بدأتم المفاوضات مع الاسرائيليين قد تنقذوا الوضع ، نستطيع مساعدتكم للوصول إلى اتفاق كى تستعيدوا الضفة الغربية .. عامل الوقت مهم . نحن لا نستطيع أن نفرض « وصفة » على اسرائيل ، إنما نستطيع الدعم بإرسال ممثل شخصى وبعدها نحاول أن نحصل لكم على أحسن ما يمكن الحصول عليه . واضاف :

« إن دخول الأردن الحرب كان خطأ . وقد ساعد هذا ناصر ـ جمال عبد الناصر ـ وعندما بدأت الحرب تحدثنا مع الروس على « الخط الساخن » ، قلنا لهم لنبتعد كلانا عن مضاعفات هذه الحرب » .

مكث وزير خارجية الأردن مع الفريق الأمريكى حوالى ساعتين ، ولم ينتج عن هذا

الاجتماع أى شيء مثمر . كان رد السفير على كل طلب أو سؤال تقدم به الوزير زئبقيا وتهرب من التقدم بأى وعد بناء أو التزام بالمساعدة .

وبعد انسحاب السفير ومساعديه ، سألنى الوزير ما إذا كان اجتماعه مع دين راسك وزير خارجية أمريكا سينتهى إلى نفس النتيجة . أجبته : نعم ، لكن سيكون الوزير اكثر ترحيبا ، اما بالنسبة للنزاع العربى الاسرائيلى ، فجميع الدبلوماسيين الأمريكيين ووزارة الخارجية يتحدثون نفس اللغة ، والخلاف هو فى اختيار الكلمات فقط .

قابل الوزير دين راسك واستقبله ـ كما توقعت ـ بكثير من الترحيب لكن لم يأت بشيء فى هذا الاجتماع . قال دين راسك : « إن قضية فلسطين هى قضية الفرص الضائعة ، وأنه لا شيء أقل من الحوار بين الفريقين سيساعد الأردن فى تحقيق أى تقدم » .

لم يكن الوزير الأردنى سعيدا بالنسبة لما سمعه من وزير خارجية امريكا ، وحرص بعد هذين الاجتماعين على استصحابى له فى جميع الاجتماعات اللاحقة بالوزراء . قدر أننى أريد له التوفيق وأريده ، وهو فى المرحلة الأولى من مسؤولياته الجديدة ، أن يحقق نجاحا ويخطو الخطوة الصحيحة .

زيارة وزير خارجية بريطانيا

بعد ذلك توجه الوزير مع اثنين من أعضاء وفده لمقابلة جورج براون وزير خارجية بريطانيا . كان براون فى منزل اللورد كارادون وكان الموعد فى الساعة الخامسة بعد الظهر ، وعندما وصل الوزير مع وفده إلى الغرفة التى يجلس فيها جورج براون ، وجدوه فى جو مرح . التفت الوزير البريطانى إلى وزير خارجية الأردن وسأل :

« هل أنت وزير خارجية الأردن ؟ » .

أجاب الوزير : « نعم ، يا سيدى انا الوزير » .

هنا رفع الوزير براون يده واشار بأصبعه إلى وزير الخارجية وقال : « إذن أنت المطلوب . أنت هو ! أرجو أن تتفضل وتجلس » .

جلس الوزير ومساعداه ، واستغرب اللورد كارادون الذى كان يجلس إلى جانب وزيره ، كأى فرد آخر من الوفد الأردنى ، كلمات وزير خارجية بريطانيا الموجهة للوزير الأردنى وهى :

« أنت وزير خارجية الأردن ، عليك أن تجلس مع جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل . تفاوضوا للوصول إلى معاهدة ، لكن ابعدوا الملك طيلة الوقت عن هذا العمل . عليك أن توقع معاهدة مع إسرائيل .. قد تصيبك يا معالى الوزير بعد ذلك رصاصة ، لكن المعاهدة ستعيش وأنت ستترك وراءك معاهدة ، وتكون قد قدمت خدمة كبيرة لبلادك » .

وكرر براون :

« يجب أن يبقى الملك خارج كل هذا » .

وتابع جورج براون حديثه قائلا :

« هذا ما فعلناه نحن فى بريطانيا مع ميخائيل كولنز وزير خارجية ايرلندا : تفاوضنا معه وتوصلنا إلى معاهدة ووقعناها ، قسمنا بموجبها ايرلندا ، بعد ذلك تلقى ميخائيل كولنز الرصاصة ومات وعاشت المعاهدة حتى يومنا هذا » .

وأضاف : « هذه العملية تحتاج إلى رجل ليأخذ هذا الموقف الشجاع ، أنا أرى فيك هذا الرجل . تقدم وافعل ما قلته لك ... يا معالى الوزير » .

ذهل وزير الخارجية الأردنية لما سمع ، لم يعرف ماذا يقول أو يفعل ! شكر جورج براون على نصيحته « القيمة » واستأذن من الوزير ، ومشى مسرعا نحو المصعد . مشى براون مع الوزير حتى المصعد وودعه وشد على يده وابتسامة كبيرة على وجهه قائلا : « معالى الوزير فكر فيما قلته لك » .

لم تجد أفكار الوزير التى كان يود أن يناقشها مع وزراء وأصدقاء فى الأمم المتحدة أى تشجيع لا من واشنطن ولا من بريطانيا ، ولسوء الحظ فقد أعفى الوزير من عمله ، عندما كان لا يزال فى نيويورك يقوم باتصالات لتحقيق الحل المطلوب . وعين فى مركز آخر ، ولم يكن سعيدا بهذا التعيين الجديد .

وفى مرحلة لاحقة ، يبدو أن الرئيس المصرى أنور السادات قد تشجع ليدهش العالم بالمفاوضة المباشرة مع الاسرائيليين بإيعاز من الولايات المتحدة . ومن المؤكد أن السادات قد توصل إلى اتفاق على نقاط معينة ووقع معاهدة مع إسرائيل ، وبنفس التأكيد أيضا تلقى السادات الرصاصة التى تنبأ بها جورج براون لوزير خارجية الأردن .

ويبقى أن نعرف عما إذا كانت هذه المعاهدة ستعيش وإلى متى ؟ .

اجتماع مع آرثر جولدبرج

لم يحقق اجتماع السفير آرثر جولدبرج ووزير خارجيتى اغراضه . فقد ظن أنه يستطيع الضغط علىّ عن طريق اجتماع يحضره وزير الخارجية ، غير أن شيئا من هذا لم يحدث ، وانتهى الاجتماع بدون نتيجة ، وبقيت علاقتى والسفير جولدبرج علاقة زمالة . كانت علاقاتى الاجتماعية بالسفير الأمريكى جيدة . أما مواقفنا فى الأمم المتحدة فكانت على طرفى نقيض ، له قناعاته ولى قناعاتى . كان للسفير علاقات خاصة بالبيت الابيض وهذا أعطاه تأثيرا على وزارة الخارجية ، وكثيرا ما تحدث مع الرئيس جونسون هاتفيا ، وكانت تظهر العلاقة الطيبة القائمة بينهما من اسلوب المحادثة . وفى وزارة الخارجية ، كان جوزيف سيسكو حاضرا لتنفيذ أى طلب لجولدبرج . كان السفير يود لو استطاع ترشيح سيسكو خلفا له ، لكن هذا لم يحدث ، لأنه عندما انتهت مهمته كان قد فقد كثيرا من نفوذه فى وزارة الخارجية وكل نفوذه فى البيت الأبيض .

وفى مناسبة ثانية ، عندما أقام الاسرائيليون عرضهم العسكرى فى القدس ، ذهبت بتعليمات من حكومة الأردن إلى مجلس الأمن . اعتبر المجلس العرض العسكرى عاملا يزيد من التوتر فى المنطقة ، وسيكون له أثر عكسى على التسوية السلمية فى الشرق الأوسط . قال جولدبرج للخارجية الأمريكية إننى لم أتشاور معه حول هذا الموضوع وغيره من المواضيع . ونظرا لعدم وجود التعاون ، قالت الخارجية الأمريكية إنها لن تدعم الشكوى الأردنية .

فى نفس الوقت جاء جولدبرج لى وشكا أن حكومتى لم تستشر وزارة الخارجية الأمريكية فى موضوع القدس ، وعندما نقلت شكواه إلى حكومتى فى عمان ، قيل لى إن العكس هو الصحيح .. إنهم كانوا على إتصال مع الحكومة الأمريكية غير أنها رفضت مساندة الموقف الأردنى ، وأن عدم مساندتهم لنا ليس بسبب عدم الاتصال أو المشاورة كما زعم جولدبرج ، بل فقط لأن الحكومة الأمريكية ملتزمة بمساعدة إسرائيل بالنسبة لكل مشكلة تتعلق بالأراضى المحتلة . كان ادعاء الولايات المتحدة بعدم وجود مشاورة مجرد مبرر لموقفها ، فالأردن الدولة الصغيرة لا يمكن أن ترفض الاتصال وتبادل المذكرات مع الدول الكبرى وبصورة خاصة مع الولايات المتحدة الأمريكية .

وفى عام ١٩٦٨ وقع تطور جديد بالنسبة للعرض العسكرى فى المدينة المقدسة ، استدعى جلسة سريعة بينى وبين السفير جولدبرج .

وبتاريخ ١٧ ابريل/نيسان من نفس العام ذهبت لمكتبه فى الصباح الباكر ، وكان يبدو من حديث جولدبرج أن الولايات المتحدة لا تريد أخذ موقف بين دولتين صديقتين لها ، هما الأردن وإسرائيل . وأنها تود تأجيل الموضوع إلى أن يتم الاتصال بين الخارجية الأمريكية والحكومة الأردنية . ولم تكن هذه أول مرة أواجه فيها مثل هذا الطلب ، الذى ينطوى على تأخير تكتيكى .

بدأ السفير الاجتماع بقوله إنه استيقظ باكرا وعلى غير العادة ذلك اليوم لهذا الاجتماع ، وإنني لابد قد فعلت نفس الشيء . وأضاف :

« ولهذا فكلانا فى حاجة إلى فنجان من القهوة كى نستيقظ ، ويكون الحديث مثمرا » .
أجبت : « هذا صحيح » .

وأضاف : « أنا آسف إذا كان اجتماعنا الأخير إلى حد ما غير عادى ، لقد عالجت شكواك فى مجلس الأمن بطريقة سريعة وأقر مجلس الأمن قراره بسرعة لا يمكن تصورها » .

بعد ذلك توقف قليلا وقال :

« والآن أنت توجه الكثير من الضغط لاجراء جديد وسريع حول العرض العسكرى » .

قلت : « بصراحة يا آرثر ما حدث ذلك اليوم كان شيئا مؤسفا جدا لسوء الحظ ، ولكى أكون أكثر تحديدا أقول : ما عملته أنت وحكومتك كان غريبا للغاية ، وحسب معرفتى لا سابقة له فى الدبلوماسية . فأنت من جهة تشكونى لحكومتى قائلا إننى لم استشرك البتة حول هذه الشكوى ، ثم تلتفت لى وتشكو لى أن حكومتى لا تتصل بوزارة الخارجية فى واشنطن ، وأنها تأخذ قراراتها وتتبنى مواقفها بدون معرفتكم . وأنا أقول إن هذا الأسلوب لا يبعث الثقة ، ولا يؤدى إلى التعاون المطلوب » .

وبعد توقف قليل أضفت :

« أنت تقول لوزارة خارجيتك ومن خلالها لحكومتى إننى لا أقبل التشاور . . أرجو أن تتفق معى أنه كان الأدق والأصح لو قلت **إننى لا أقبل الاملاء ، وأرفض الانصياع لارادة دولة كبرى ـ أى دولة كبرى** .

« فالتشاور كما تعلم كان قائما ، لقد اتصلت بك وببل بافام وبدك بيدرسون قبل أن أطلب من مجلس الأمن عقد الاجتماع . وقد أجلت اجتماع مجلس الأمن بالنسبة للعرض العسكرى ستا وثلاثين ساعة على أمل أن تستعمل حكومتك نفوذها لايقاف العرض العسكرى الاسرائيلى . ولم يتم أى شىء . وعندما تقدمنا بالشكوى ، كان اقتراحك أن يجرى إنهاء المناقشة بمجرد بيان يعرب عن أسف مجلس الأمن . وكان طبيعيا لى ولأى إنسان عادى أن يقول « لا » لهذا الاقتراح الفريد من نوعه . ولهذا فالمسألة لم تكن عدم التشاور ، بل إصراركم على أن نمشى معكم باسم السلام ونتبنى الفكرة الأمريكية بعدم إصدار أى قرار من مجلس الأمن . أود أن أسجل موقفى الآن للمرة الثانية . سأتكلم بكل بطء حتى يتسنى للسيد الذى يأخذ محضر الجلسة أن يدون كل كلمة أقولها ، لتكون وزارة الخارجية الأمريكية على علم بموقفنا بلغة واضحة »..

وبدأت بتأكيد النقطة التى كانت فى ذهنى طيلة الوقت : « الصداقة يا سيادة السفير

هى نهج ذو اتجاهين ، يجب أن تكون صداقة من الجانبين . إنها بارك افنيو ، إنها ليست فيرست أفنيو . نحن نطلب صداقتكم وانتم تقولون إنكم أصدقاؤنا . غير أن عليكم إثباتها بالممارسة . أعنى بالأعمال والأفعال والسلوك . طبعا سيتشاور الأردن مع الولايات المتحدة الأمريكية ، لكننى اقول باسم حكومتى سأرفض اى اقتراح بأن يكون لكم القول الفصل بالنسبة لما هو لصالح حكومتى ومالا يخدم مصالحها ، وسبب هذا بسيط ، وهو اننى اعرف اكثر منكم ما هو فى مصلحة بلادى . فالأردن ليس تحت الحماية أو الوصاية ، وانا هنا أمثل دولة مستقلة » .

أجاب السفير جولدبرج :

« دعنى أوضح شيئا واحدا ، أنا اتوقع أن نختلف . انا لا أؤمن بإملاء الإرادة . الأردن دولة ذات سيادة ونحن نحترم سيادتها . كل ما نرجوه ونتوقعه هو أن يتم التشاور بيننا قبل أخذ عمان القرار . وحكومتك تعرف جيدا موقفنا حول موضوع القدس ، ورغم هذا قدمت شكواها لمجلس الأمن . نحن نود أن نعمل سويا وأن نعزز علاقة الصداقة القائمة بيننا » .

هنا لم أستطع إلا ان اقول :

« هناك فرق كبير بين العمل سويا وبين أن نعمل كواحد وانتم هذا الواحد ، أليس هذا ما تريدون ؟ » .

قال جولدبرج :

« لقد وضعتنا بالنسبة لقضية القدس فى ورطة ، لم نستطع تأييد مشروع قراركم واردنا بعض الوقت لاقناع عمان بوجهة نظرنا ، فرفضت أنت ودفعت المشروع إلى التصويت . أتظن لو طلبت منى التأجيل لأى مشكلة فى مجلس الأمن سأتردد فى هذه الخدمة لصديق . كنت بكل سرور عملت هذا للصديق . غير أنك رفضت طلب تأجيل معقول تقدمت به إليك الولايات المتحدة الأمريكية » .

أجبت :

« إن الشىء المعقول بالنسبة لى ولمصلحة بلدى ، أن لا انتظر إلى أن توجه الولايات المتحدة الأمريكية ضغطها على دول أعضاء فى مجلس الأمن ليصوتوا ضد مشروعى وليعطيك هذا ايضا الفرصة لتقوم بالتأثير على أعضاء مجلس الأمن فى المنظمة لاسقاط المشروع . أكون يا سيادة السفير ، ساذجا جدا لو قبلت طلبك . لقد تمت المشاورة ، أما عدم قبول طلبك للأسباب التى ذكرتها فهو شىء آخر » .

وفى هذه المرحلة قال السفير :

« دعنا نفتح صفحة جديدة » .

بعدها قال : سيناقش مجلس الأمن الآن شكوى أردنية جديدة ضد إسرائيل . وهو لا يدرى ما هو الاجراء الممكن اتخاذه الآن فى مجلس الأمن . وهو يطلب التأجيل حتى يتسنى لحكومته التشاور مع الاردن حول ما يلزم عمله .

قلت : « وهكذا تتقدم بالطلب رغم كل ما جرى من حديث . ولماذا التأجيل هذه المرة ، وأنت تعلم كل مراحل القضية ؟ » . أكدت للسفير أن الأمور ليست هادئة فى المنطقة . وأن هناك ضرورة ملحة لاجراء من مجلس الأمن ، ولا نتوقع من دولة كبرى كالولايات المتحدة أن تستعمل هذه التكتيكات التى لا تساعد على تحقيق السلام .

وأنهيت كلمتى هذه : « إن التأجيل لا يخدم سمعة أمريكا ، ولا اتحدث عن كرامتها التى وصلت إلى الحضيض فى منطقتنا » .

لم يتأجل الاجتماع واتخذ المجلس قرارا ، غير أن إسرائيل لم تلتزم بالقرار . ولم يتخذ المجلس اى إجراء فعال يحافظ على الحق العربى ، ويحفظ لمجلس الأمن كرامته .

فى عام ١٩٦٨ كان لى مع جولدبرج حديث طويل حول كيفية تحسين العلاقات الأردنية الأمريكية ، وما هو الطريق لتغيير موقف الأردن من الولايات المتحدة فى الأمم المتحدة . أوضحت فى اثناء الحديث أن كل دولة صغيرة تتمنى أن تكون لها علاقة متينة مع دولة كبرى وخصوصا مع الولايات المتحدة الأمريكية ، هذا شىء طبيعى لأن اى دولة بحاجة إلى علاقات صداقة مع الدولة الكبرى ليس فى الأمم المتحدة فحسب ، حيث تحظى الدولة الكبرى بالفيتو والثقل الدولى المرافق له ، بل أيضا خارج المنظمة الدولية . اشار السفير إلى اجتماعه الأخير مع وزير خارجيتى ، وأظهر تفهما لاعتراضى على قراءته أجزاء من خطبى فى الأمم المتحدة .

واقترحت على السفير أن نناقش هذه المسألة « رجل لرجل » . وقلت : اتمنى لو تفضل السفير بإعطائى صورة الملف المتضمن ما أخذ من تدخلاتى فى مجلس الأمن ، ليتسنى لى مراجعته وبحث كل ما قاله السفير فى لقائنا المقبل . وكلف أحد مساعديه بإعداد الملف . واستلمته فى نفس اليوم وتضمن اقتباسات من خطبى ، منها ما قرىء للوزير ومنها ما لم يقرأ .

انتهت دورة الجمعية العامة ، وراجت عند نهاية الدورة إشاعة فى اروقة الأمم المتحدة بأن جولدبرج قد أخذ يعمل لانجاح روبرت كيندى للرئاسة ، وأن علاقته مع الرئيس جونسون قد فترت ، ولم تعد على ما كانت عليه من ود ، وأن جولدبرج على وشك الاستقالة .

وبعد أيام قابلت جولدبرج فى مكتبه وقال لى : إنه سيتنحى عن مركزه ، وإنه سيكون بعد الآن مستقلا ، وإنه يطمع فى أن تبقى العلاقات الودية بيننا . عرض أن يقوم بأى شىء

يساعد فى دفع عجلة السلام فى المنطقة إلى الأمام . غير اننا افترقنا بعد قليل ، فقد ابتعد هو عن الأمم المتحدة ، اما انا فقد نقلت سفيرا للأردن فى اسبانيا وبعد ذلك التحقت بجامعة الدول العربية كامين عام مساعد ولم يتحقق اجتماع تحسين العلاقات . . ! .

جورج بول السفير الأمريكى الجديد

عين بعد جولدبرج بفترة السفير جورج بول ، مندوبا دائما . واختار فى الحال زيارة الأردن للحصول على معلومات على الطبيعة من المنطقة لتساعده على دراسة ازمة الشرق الأوسط . كنت فى عمان عندما وصل ، وأقام له السفير هاريسون سمز سفير أمريكا فى عمان حفل غداء يوم الثلاثاء ١٩ يولية/ تموز ١٩٦٩ ، دعا إليه السيد رئيس الوزراء بهجت التلهونى ووزير الخارجية الجديد عبد المنعم الرفاعى ووزير الاقتصاد حاتم الزعبى وأنا . فى أثناء الحديث على الغداء ـ وكان الحديث اجتماعيا غير رسمى ـ قال السفير سمز للوزير الزعبى :

« سفيركم فى الأمم المتحدة الفرّا هو أسوأ وأصعب لنا من السفير جولدبرج بالنسبة لكم ، فهو يلقى خطبا عنيفة ، وكلما تكلم نرى صورة فلسطين على وجهه » .

لم يشأ حاتم الزعبى تشجيع مثل هذا الكلام وأجاب :

« محمد ليس الوحيد الذى يحظى بهذا الامتياز ، **نحن جميعا فلسطينيون ، وعلى وجوهنا صورة فلسطين** » .

كنت فى غاية السعادة لسماع تأييد الوزير .

وبعكس سمز ، كان السفير بول ودودا ومتفهما . قال فى حديثه معى : إن علينا أن نجتمع كثيرا فى الأمم المتحدة . وأكد لى أيضا أن موقفه فى الأمم المتحدة بالنسبة لقضية فلسطين سيكون « بناء وإيجابيا ومتوازنا » . وقال إنه سيتكلم أقل فى مجلس الأمن ولن يسمح لنفسه أن يُستفز ، ومهما كان موقف سلفه فهو أبعد ما يكون عن التحيز لجانب ضد آخر . غير أن تمثيله للولايات المتحدة لم يدم طويلا .

تحدث الرئيس التلهونى مؤكدا الحاجة لدور أكثر فعالية من قبل الولايات المتحدة فى البحث عن السلام ، ومؤكدا أن الاسراع فى الانسحاب الاسرائيلى مهم جدا ، وأن السلام يتحقق عندما يرتكز على إطار إيجابى متين .

بعد ذلك تقدم الأردن بطلبات كثيرة ومتكررة للحكومة الأمريكية للتحرك

غير أنها لم تتحرك . وعندما كانت تقوم بحركة ، كانت هذه الحركة تتجه فى الاتجاه الخطأ بسبب الالتزامات الأمريكية المسبقة لاسرائيل ، لذلك كانت مناوراتها تخلق المزيد من المضاعفات والتعقيدات بدل الوصول إلى الحل العادل .

خذ مثلا : توقيع **اتفاقات كامب ديفيد** عندما أراد الرئيس الجديد جيمى كارتر أن يدفع عملية السلام إلى الأمام متجاهلا الضغوط الصهيونية ، وبدأت المفاضات بين إسرائيل ومصر تحت رعايته . كان الرئيس الأمريكى حسن النوايا ، لكن ما يبعث على الأسف أنه لم يكن يعرف الشرق الأوسط ، وكان لديه إيمان بسيط لا يتزعزع بأنه بالامكان تحقيق السلام . لم يستطع تقدير قوة المعارضة الصهيونية التى ستقف ضده . تحدث بصوت مرتفع عن عدم شرعية الاستيطان الاستعمارى الاسرائيلى فى الأراضى المحتلة ، وهضبة الجولان وصحراء سيناء وقطاع غزة والضفة الغربية ، وقال : كل منطقة من هذه المناطق هى عقبة فى طريق السلام ، وذهب إلى أبعد من ذلك وصرح بأن من حق الفلسطينيين أن يكون لهم « **وطن** » . وأضاف أيضا أن لهم « **حقوقا مشروعة** » ، وأن من حقهم « **المشاركة فى تقرير مستقبلهم** » .

كان غرض الرئيس كارتر عقد مؤتمر سلام فى نهاية ١٩٧٧ من أجل وضع تسوية شاملة للنزاع العربى الاسرائيلى . وجاء زيارة الرئيس السادات فى الخريف إلى القدس ، وأبدى رغبته فى أن يبدأ مباحثات ، استغرقت اثنى عشر شهرا وانتهت باتفاقات كامب ديفيد . هذه الاتفاقات اتفق عليها من قبل ثلاثة مفاوضين غير متناسقين : كارتر المثابر المحصور بضغوط محلية ، والمتغطرس بيجن الذى تحكمه القناعة بأن إسرائيل لا تحتاج إلى اعتراف مصر لأن حق إسرائيل فى الوجود وحدودها جاءت من عند الله ، والسادات الذى يشعر بأنه يتمتع بعلاقة خاصة بالرئيس الأمريكى .

ورغم أن هناك تساؤلا كبيرا بين رجال الفكر والقانون والسياسة عما إذا كانت اتفاقات كامب ديفيد قد قصد منها تحقيق السلام الحقيقى والدائم فى الشرق الأوسط ، أو فقط عزل مصر ، وتحقيق المزيد من التفتيت فى المنطقة ، لم يشأ بيجن انتهاز هذه الفرصة لانهاء النزاعات المسلحة . لقد استخدم بيجن الاجتماعات كفرصة لسحب المزيد من المساعدات الأمريكية الاقتصادية ثمنا للتنازل عن سيناء ، وكان السادات هو الذى أعطى التنازلات الكبيرة التى طالب بها بيجن اللامعقول . وبعد ثلاث سنوات ، تلقى السادات الرصاصة التى تنبأ بها براون ، وتزايد الرفض المصرى لاتفاقات كامب ديفيد ، لأنها غير متكافئة ، ولأنها أخذت نتيجة الضغط ، ولأنها مهينة لكرامة وكبرياء الشعب المصرى . وعملت القليل للمصريين ولا شىء للفلسطينيين .

□ □ □



التهديد والترويع

« اظن انه آن الاوان ان ينتبه احد في هذه البلاد إلى اننا قد نخسر الولايات المتحدة » .

جيمس فورستال

وزير الدفاع الامريكي السابق

« هذه هي الطريقة الأمريكية يا اولاد . عليكم ان تقبلوها » .

ديبلوماسي في الأمم المتحدة

بينت فى الفصول السابقة الوسائل التى استخدمتها إسرائيل للضغط على الشعب الفلسطينى وإكراهه لترك بيوته وأراضيه . وهناك شىء واحد لم أتطرق إليه ، وهو استخدام **الضغوط فى الميدان السياسى ، وفى الصعيد الدولى وعلى شخصيات دولية كبيرة ، أو على مندوبى الدول الاعضاء فى الأمم المتحدة الذين لا يرون ما تراه الصهيونية ، ولا يتفقون معها ويدينون توسعاتها . وكذلك التهديدات للدبلوماسيين ، وتشويه السمعة باختلاق انواع الاتهامات والافتراءات ، والضغوط على الحكومات ، واللجوء لجميع الطرق والوسائل الخبيثة لتحقيق اغراضها .**

وقد استخدم مثل هذا السلوك الصهيونى فى الأمم المتحدة فى أثناء مناقشة قضية فلسطين عام ١٩٤٧ ، أى قبل تبنى الجمعية العامة توصية تقسيم البلاد .

تعرض كثيرون من السفراء لهذه الضغوط ، وكان قرار تقسيم فلسطين لدولتين يهودية وعربية بتاريخ ٢٩ نوفمبر/تشرين الثانى ١٩٤٧ نتيجة هذه الضغوط أو ما يسمونه « لىّ الذراع » .

وتعكس قضية الجنرال روميلو ، مندوب الفلبين لدى الأمم المتحدة مثلا حيا لمثل هذه الضغوط . ففى خطابه للجمعية العامة حذر روميلو من أن تقسيم الأرض المقدسة سيؤدى إلى سفك الدماء وإلى المزيد من العنف ، وأكد أنه يتحدى ويتعارض مع حق من حقوق الانسان ، هو حق تقرير المصير .

اشار روميلو إلى حق كل شعب فى ان يقرر مستقبله السياسى ، والمحافظة على سلامة اراضيه . وأكد ايضا : إننى عندما اقول هذه الكلمات : « بدون تمييز بالنسبة للجنس او الجنسية أو اللغة أو الدين » ، أفكر فقط فى ميثاقنا ، ميثاق الأمم المتحدة ـ لأن هذه هى كلمات الميثاق ، التى تبرز فى تلك الوثيقة مرة تلو الأخرى . وسبب ذلك بسيط : هذه كلمات تنظر إلى الأمام لا إلى الوراء . نحن لا نعتقد أن أكثرية اعضاء الجمعية العامة يفضلون تغيير اتجاه هذا المسلك وارجاعه إلى الوراء . **علينا ان لا نتبنى حلا لقضية فلسطين يعيدنا للوراء إلى طريق المبادىء الخطيرة ، مبادىء التمييز العرقى والحكومات الثيوقراطية . . يمكن تامين حل ليهود اوروبا المشردين بغير خلق دولة يهودية مستقلة فى فلسطين .**

كان المرحوم الملك فيصل أنذاك وزير خارجية المملكة العربية السعودية . وقف مستقبلا لروميلو وهو عائد من المنصة فى طريقه للجلوس على مقعده فى الجمعية العامة وحضنه وأثنى على شجاعته . لكن عندما خرج روميلو من الجمعية العامة ، وجد عند مدخل المنظمة الدولية يهوديا صهيونيا ينتظره ، هجم عليه وأصابه فى رأسه وكتفيه .

ومن جهة أخرى ، ضغط الرئيس الأمريكى ترومان على رئيس جمهورية الفلبين لتغيير موقفه من قرار التقسيم ، ولم يكن أمام الفلبين كدولة أخرى صغيرة إلا أن تذعن لارادة الولايات المتحدة .

وكلف الجنرال روميلو بترك الأمم المتحدة فى مهمة أخرى ، وغادر إلى أوروبا والدموع فى عينيه . وجاء رجل آخر لتمثيل الفلبين فى الأمم المتحدة ليقول « نعم » ، بدل كلمة « لا » التى قالها ودافع عنها روميلو .

وواجهت دول أخرى صغيرة مثل ليبيريا وبلجيكا وتايلند ضغوطا مماثلة . **وإلى أن بدات ممارسة الضغوط وما يشبه الاكراه ، لم تكن الأصوات المطلوبة لاقرار توصية التقسيم قد تحققت** . واستغرب كثير من الدبلوماسيين ذوى النوايا الحسنة ، لماذا يتبرع الرئيس ترومان باتخاذ هذه الاجراءات نيابة عن الصهيونية ؟ وعرفوا الجواب عندما صدرت مذكرات ترومان ، وجاء فيها :

« **الواقع أن الضغوط لم تقتصر حول الأمم المتحدة وداخلها وهى التى لا مثيل ولا سابقة لها ، بل تعدتها إلى البيت الأبيض أيضا الذى تعرض لسيل مستمر ومتصل من الضغوط . لا اعتقد اننى واجهت فى حياتى مثلها** . وهذه الضغوط والدعاية كلها موجهة إلى البيت الأبيض . لقد ضايقنى ، وأزعجنى إصرار عدد من قادة الصهيونية المتطرفين والمدفوعين بنوايا سياسية ، والذين توجهوا للبيت الأبيض بتهديدات سياسية ، كان بعضها يقترح أن نقوم بالضغط على دول مستقلة ذات سيادة لتقوم بالتصويت لصالح الصهيونية فى الجمعية العامة » .

وأضاف ترومان :

« وعندما تصاعد الضغط ، وجدت هناك ضرورة أن أعطى التعليمات بأنى لا أريد أن يتصل بى بعد الآن أى ناطق باسم الحركة الصهيونية المتطرفة » .

كما أن مذكرات وزير الدفاع الأمريكى السابق جيمس فورستال تقول الكثير عن الضغط الأمريكى الذى استخدم ضد دول اعضاء فى الأمم المتحدة للتصويت إلى جانب التقسيم . فقد ذكر فورستال كيف أنه حاول أن يرفع الحزبان الأمريكيان ، قضية فلسطين من برامجهما السياسية الانتخابية ، وكيف أنه فشل بسبب ضغط الصهيونية . لقد عارض فورستال الصهيونية قائلا :

« يجب أن لا يسمح لأى مجموعة فى البلاد بالتأثير على سياستنا إلى درجة يمكن أن تهدد أمننا الوطنى » .

وفى حديث لفورستال مع فرانكلين روزفلت الابن ، قال الأخير ما يلى : « إن إبعاد قضية فلسطين خارج اطار الحزب السياسى يمكن أن يؤثر على أصوات الحزب الديمقراطى فى بعض الولايات ، وقد يؤدى إلى خسارة الحزب الديمقراطى فى الانتخابات الرئاسية وإنجاح الحزب الجمهورى » .

ورد فورسـتال :

« أظن أنه آن الأوان أن ينتبه أحد فى هذه البلاد إلى أننا قد نخسر الولايات المتحدة » .

وبعد خبرة فورستال هذه وما لاقاه عن طريق هذه النشاطات غير الأمريكية وجد نفسه مضطرا إلى القول :

« إن الأساليب التى استعملت من قبل أناس خارج الجناح التنفيذى للحكومة للضغط على بعض الدول فى الجمعية العامة وإكراهها ، يمكن أن يقال عنها إنها « **عمل مخز** . . **إنها فضيحة** » .

وقد أدت هذه السياسة الأمريكية المنحازة وتنكرها للحقوق الشرعية وتحديها لمبدأ تقرير المصير واستخدامها اللا أخلاقى لقوتها فى الأمم امتحدة ، إلى قرار التقسيم ، ولم يؤد هذا إلى السلام فى الأرض المقدسة ، بل أدى كما تنبأ مندوب الفلبين لمزيد من الحروب ومزيد من الآلام البشرية . ولأنه كان عملا غير قانونى وغير عادل ، فقد كان بمثابة دعوة إلى الحرب . والمقاومة التى تلت ذلك العمل توقعها كثيرون من أقطاب السياسة ، بما فيهم السفير ظفر الله خان وزير خارجية الباكستان سابقا والجنرال روميلو ، ذلك لأن الظلم لا يؤدى إلى السلام .

لم اكن متأكدا من قصة الهجوم على الجنرال روميلو من قبل الصهيونى خارج مبنى المنظمة الأممية ، إلى ان وجدت نفسى صدفة جالسا فى حفل عشاء - أقامته مصر تكريما لوزيرى خارجية سيراليون وداهومى بتاريخ ١١ فبراير/شباط ١٩٧٣ فى القاهرة - إلى جانب سفير الفلبين الذى أكد لى القصة مضيفا :

« إن الجنرال حظى بعناق من الأمير فيصل وضربة على الرأس والكتفين من الصهيونى المنتظر خارج المقر » .

حملة صهيونية ضدى وضد يوثانت

بتاريخ ٥ اغسطس/ آب ١٩٦٨ ، اجتمعت بيوثانت أمين عام الأمم المتحدة لبحث موضوع الهجوم الجوى على مدينة السلط بالأردن . تطرق الحديث إلى رفض إسرائيل استقبال ممثله الشخصى للتحقيق فى الممارسات الاسرائيلية ضد السكان المدنيين فى الأرض المحتلة . وأضاف يوثانت : إن هناك حملة صهيونية ضده فى نيويورك ، وأن بعض الجرائد أشارت إلى عشرات الرسائل التى تلقاها حاملة إهانات وتهجمات شريرة ، غير أن هذا الضغط الصهيونى لن يرهبه . إنه يقف موقف الحياد والعالم كله يعرف ذلك . قلت له : إننى أيضا اتلقى رسائل مماثلة ورسائل تليفونية تتلقاها السكرتيرات فى مكتبى .

وفجأة نظر لى يوثانت وقال :

« انت فى بالى طيلة هذه الأيام الأخيرة . انا أفكر فى أمرك . أنا خائف عليك . قد تكون حياتك فى خطر . قد يعرض أحد « المخبولين » الأمريكيين حياتك للخطر . عليك أن تكون حذرا منتبها ، وأن تأخذ الاحتياطات الضرورية وخصوصا فى الليل » .

وقد استخدمت أنواع أخرى من الضغوط ضدى شخصيا ، وضد موظفى مكتبى . **ففى كل مرة ظهرت فيها امام مجلس الأمن لتقديم شكوى أردنية ضد السلطات الاسرائيلية محذرا من حرب إسرائيلية ، أو منبها لحالة مهددة للأمن والسلم الدوليين ، تعرض مكتبى لعمليات تهديد باشكال مختلفة .**

كانت سكرتيرتى « ساندرا » تتلقى سيلا من المكالمات التليفونية القذرة . ولم تستطع أن ترد بكلمة ، إذ قبل الرد يكون الهاتف قد اقفل الخط . لم تستطع تحمل هذا لمدة طويلة واستقالت .

وسكرتيرات أخريات عملن لفترة وتركن عملهن لنفس السبب ، أى لأن بعض الصهاينة ممن يفترض أنهم مواطنون أمريكيون ، جعلوا حياة هؤلاء الموظفات تعيسة أو صعبة

فاستقلن جميعا . وبعد ذلك التفتت لى نفس الأجهزة الصهيونية . ففى مناسبات كثيرة ، فى يونية /حزيران ١٩٦٧ ، عرفنى هؤلاء فى نيويورك وصرخوا « هذا هو سفير الأردن » ، وبعد ذلك وجهوا لى الاهانات والتهديدات ، عندما كنت أسير فى شارع الففث أفنيو ، أو فى بعض متاجر تلك المدينة الكبيرة ، عرفونى لأننى شاركت فى مناقشات مجلس الأمن أثناء ما يسمى بحرب الأيام الستة ، وجميع المناقشات كانت تبث تليفزيونيا .

وعندما فشلت جميع هذه الاهانات ، لجأ من يطلقون على أنفسهم أمريكيين إلى أشكال أخرى من الارهاب . . فبتاريخ ١١ سبتمبر/ايلول ١٩٦٩ ، وقبل لحظات من ترك مكتبى إلى مجلس الأمن لالقاء خطاب حول احراق المسجد الأقصى فى القدس تلقيت برقية ، ظننتها تحمل تعليمات من حكومتى ، غير أنه تبين بعد تلاوتها انها موجهة من عصبة الدفاع اليهودى التى أسسها مائير كاهانا الصهيونى المتطرف الذى كان يعيش فى بروكلين بنيويورك . وهذا هو نص البرقية :

« نعتبرك مسئولا مباشرا إذا وقعت أية أعمال إرهابية ضد اليهود . وفى حالة وقوعها نعتبرك مستحقا للعقوبة المقررة لذلك » .

حملت البرقية معى إلى مجلس الأمن ، تلوتها فى المجلس وذكرته أن هذه العصبة هى نفسها التى ظهرت بلباسها العسكرى فى ٤ سبتمبر/ايلول ١٩٦٤ . استغربت جدا أن اتلقى تهديدات بواسطة تلغراف ، كنت فى الماضى قد تلقيت تهديدات فى رسائل خطية من منظمة اسمها « رجل الدقيقة » the minuteman

بينت للمجلس أننى إذا كنت أشير إلى هذه الحالة الغريبة التى يواجهها الأعضاء العرب فى الأمم المتحدة بنيويورك ، إنما أفعل ذلك لاعطاء المجلس فكرة عن الجو الذى نعيشه هنا ، ولأذكر كل زميل هنا بمعاناة شعبنا فى الأراضى المحتلة ، وأذكره بأسرى إسرائيل فى قطاع غزة والضفة الغربية والجولان وسيناء ، وفى مدينتى بالذات ـ خان يونس .

اردت أن يعرف أعضاء المجلس نوع المعاملة التى نتلقاها فى البلد المضيف ـ الولايات المتحدة ـ ولهذا قرأت نص البرقية . وأسرع السفير جولدبرج لى طالبا النسخة الأصلية من البرقية لتقديم شكوى إلى الشرطة . فقد اعتقد هو وبعض الزملاء أننى سأستعمل هذه البرقية فى قضية اتقدم بها للمحكمة طالبا التعويض (كما فعل شارون ضد مجلة « التايم ») . اعتقدوا أنى سأقاضى عصبة الدفاع الاسرائيلى وشركة التلغراف الأمريكية « وستيرن يونيون » لنقلها تهديدا إجراميا لى على أسلاكها . لم يخطر على بال هؤلاء أنه ليس من خلقى أن أستغل قضية مقدسة لكسب مادى . أعطيت القاضى جولدبرج البرقية واحتفظت بصورة مصورة .

استغرب رئيس مجلس الأمن ما سمع حول التهديد وعلق :

« بالنسبة لاشارة مندوب الأردن فى كلمته اليوم للتهديدات الارهابية لمندوبين دائمين فى الأمم المتحدة ، وبصفتى رئيسا لمجلس الأمن الدولى ، أرى من واجبى أن أقول إن ما ذكره مندوب الأردن له علاقة بالمصلحة المشتركة لجميع الدول الأعضاء ، وأرى من الضرورى لفت نظر الأمين العام للأمم المتحدة وأطلب اليه دراسة الموضوع مع ممثل الولايات المتحدة لاتخاذ الاجراءات الضرورية اللازمة » .

ويشير ما قلته الآن لما فعله الصهيونيون الاسرائيليون والأمريكيون بعد احتلال إسرائيل لأراض فلسطينية ، وحتى قبل احتلال الأراضى العربية . فقد أدت الغطرسة الاسرائيلية وحب السلطة إلى أعمال لا مسئولة ضد وفود دول عربية مجاورة ، خذ مثلا : الهجوم الصهيونى على مكاتب الوفد السورى فى الأمم المتحدة بنيويورك . فهذه قضية أخرى تقدمت بها لمجلس الأمن عندما كان الأردن عضوا فى المجلس .

ما هى الوقائع ؟

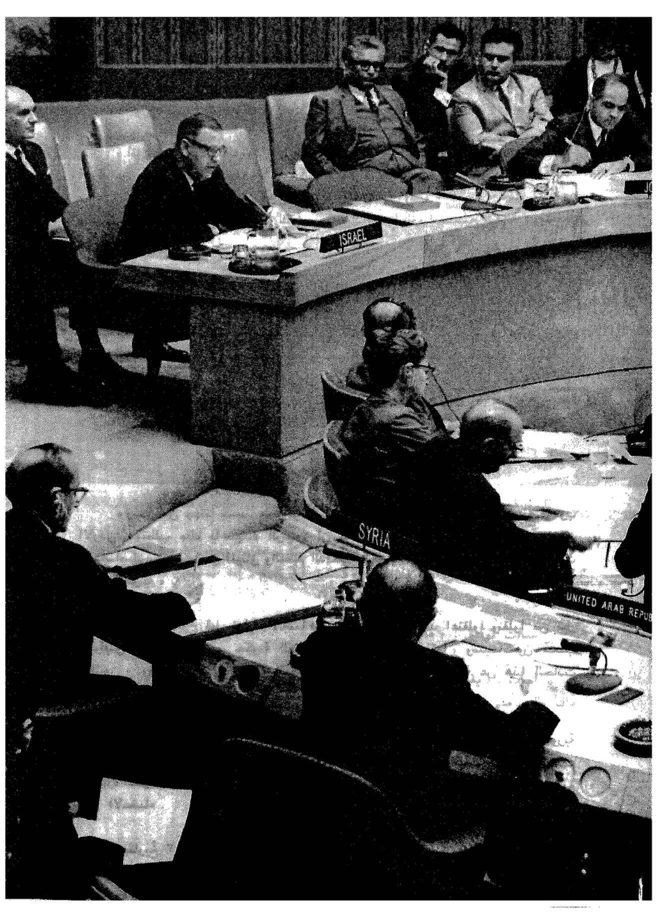
بتاريخ ١٤ أكتوبر/تشرين الأول ١٩٦٦ ، فى حوالى الظهر بينما كنت اتحدث عن شكوى قدمتها اسرائيل ضد سوريا لمجلس الأمن ، دخل ثلاثون صهيونيا ـ مواطنون أمريكيون ـ مكتب الأخ السفير جورج طعمه رئيس الوفد السورى . قلت لمجلس الأمن :

« هذه مشكلة للوفد الأمريكى وعليه معالجتها ، لكن واجبى أن أذكر هنا ما تقوم به جماعة الضغط الصهيونية التى تعمل فى كل مكان لا فى أمريكا فحسب ، بل وهنا فى الأمم المتحدة . أينما ذهبت تجد جماعات الضغط تعمل وتدافع عن دولة أجنبية » .

بينما كنت اتحدث قدمت لى ورقة صغيرة تعلمنى أن المجموعة الصهيونية ، قد أخذت جميع ملفات الوفد السورى وأتلفتها . تضمنت الملفات جميع المراسلات والوثائق التى استخدمها السفير فى خطبه ، ومعروف أن السفير جورج طعمه كان يعد بيانات قيمة مدروسة تعالج القضية الفلسطينية أمام أجهزة الأمم المتحدة المختلفة . كانت هذه البيانات متميزة بوضوحها وأسلوبها العلمى واقتباساتها الصادقة .

وصل البوليس إلى مكاتب الوفد السورى ، ولم يخرج الصهيونيين من هناك ، فقد رفضوا الخروج ، وهنا أنذرت المجلس :

« إنها مسألة خطيرة جدا عندما تحتل قوى الضغط مكاتبنا . نحن هنا فى مجلس الأمن نبحث دور الأمم المتحدة والتزاماتها وميثاقها وعما إذا كان هناك عمل عدوانى قد ارتكبته إسرائيل فى المنطقة ، والآن نجد طابورا خامسا من مجموعات الضغط فى أمريكا يذهبون إلى مكاتبنا ويرتكبون عملا عدوانيا ظاهرا . أقدم هذه الوقائع لانتباه رئيس مجلس الأمن وأمين عام المنظمة وللوفد الأمريكى نيابة عن جميع الوفود العربية الموجودة هنا » .



□ ابا ايبان يلقي شكوى إسرائيل ضد سوريا في مجلس الأمن في ١٤ أكتوبر/تشرين الأول ١٩٦٦ ،
والمؤلف يدون ملاحظات للرد عليه .

تكلم السفير آرثر جولدبرج نيابة عن الولايات المتحدة وقال :

« انا ايضا تلقيت معلومات حول نفس الحادث كتلك التى قدمها السفير الفرّا . وأنا أعرب عن عميق الأسف لما وقع ولا أقر بأية طريقة أى عمل غير قانوني موجه ضد أية بعثة معتمدة لدى الأمم المتحدة . وبمجرد أن تلقيت المعلومات موضوع البحث ، قمت نيابة عن حكومتي وبالنيابة عن نفسى بالايعاز للبوليس باتخاذ كل ما يلزم لتصحيح الحالة ، وسيفعل هذا » .

تحدث السفير تارابانوف مندوب بلغاريا وقال :

« أنا مستاء أن أسمع ما قاله مندوب الأردن بالنسبة لما جرى فى مكتب الوفد السورى » . وأضاف : « هذه مسألة خطيرة خصوصا لأنها نظمت عمدا ليتفق توقيتها مع اجتماع مجلس الأمن . يجب اتخاذ اجراءات من قبل الأمم المتحدة والولايات المتحدة لتأمين سير عملنا هنا بدون خوف من تهديدات لمكاتبنا فى نيويورك من قبل أى كان ، لأن هذا لا يساعد فى تحقيق مناقشات هادئة » .

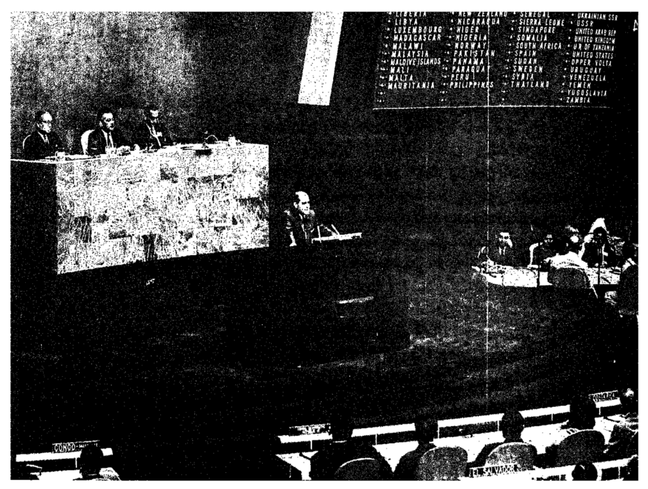
ثم تدخل السفير فيدورينكو رئيس وفد الاتحاد السوفييتى وقال :

« ونحن من جهتنا بسبب مسئولياتنا الخاصة نشارك القلق الذى أعرب عنه مندوب الأردن ، ونطلب منك يا سيادة الرئيس أن تتخذ جميع الاجراءات التى هى ضمن اختصاصك ، حسب نص الميثاق والنظام الداخلى ، لحماية مكاتبنا من مثل هذه المخالفات غير القانونية » .

أعلن جولدبرج قبل نهاية الاجتماع : « إن المقتحمين قد اعتقلوا ونقلوا من قبل البوليس بناء على شكوى حكومة الولايات المتحدة التى وقعتها ، وسيحاكمون حسب القانون » . وكرر جولدبرج أسفه العميق واعتذاره للحكومة السورية عن هذا الحادث المؤسف جدا .

لم نسمع بعد ذلك ما تم بالنسبة للموضوع . الشىء الوحيد المؤكد أن الوثائق السورية والمراسلات والبرقيات بين السفير طعمه وحكومته لم تعد ، إما لأنها أتلفت ، أو لأنها أخذت لأجهزة الحركة الصهيونية . واستمرت أعمال مماثلة أخرى بأشكال مختلفة بما فيها الهجوم على الأعضاء .

وبتاريخ ٣ نوفمبر/ تشرين الثانى ١٩٦٨ ، زارنى فى منزلى السفير محمد عوض القونى مندوب مصر والسيدة عقيلته ، ومعه السفير توفيق بوعطوره مندوب الجزائر . نقل لى بوعطوره التحذير التالى :



☐ المؤلف يلقى خطابا فى الدورة الطارئة الخامسة للأمم المتحدة التى عقدت فى ١٧ يونية/حزيران ١٩٦٧ بناء على طلب الاتحاد السوفييتى .

« هناك حملة قوية نظمتها إسرائيل وأمريكا وبعض الوفود الغربية ضدك . تقول إسرائيل : ما دام الفرّا هنا فلا أمل فى تحقيق أى تقدم . إنه الشخص الخطأ فى المكان الصحيح » .

سألت توفيق : « ما معنى هذا ؟ » .

أجاب : « يقصدون انك الرجل الخطأ فى المكان الصحيح لاجراء مفاوضات » . وبعد ذلك طلب منى أن أكون حذرا ومنتبها :

« انتبه ، قد تكون فى خطر » .

قال القونى :

« أنت أقوى منهم وهم يعرفون هذا جيدا » .

أضاف بو عطوره :

« كلهم يعرفون شعبيتك فى الوطن العربى ، ولأنهم لم ينجحوا فى ضغطهم لنقلك من هنا ، قد يتعرضون لحياتك الشخصية . كن يقظا » .

أجبت : « هذا شرف كبير لى ، وعمل أمريكا والدول الغربية ، ومعهم إسرائيل لنقلى من الأمم المتحدة أو الإساءة لى ، هو وسام يعزز عقيدتى وإرادتى وإصرارى » .

بقى أن أقول : إننى الرجل الذى قيل عنه « الرجل الخطأ فى المكان الصحيح » . . قد تركت الأمم المتحدة منذ سنوات كثيرة وبقيت المشكلة معقدة وبدون حل كما هى عليه الآن . سبب ذلك اعتماد إسرائيل على الحضانة الأمريكية والدعم الأعمى لرغباتها العنصرية للمزيد من القوة والتوسع ، واعتمادنا الكبير على منظمة فقدت فاعليتها بسبب التحديات الاسرائيلية وما تلقاه من دعم امريكى لا يعرف الحدود . . ! .

جمع الأصوات لخدمة إسرائيل

استخدمت جميع الأساليب لمساعدة إسرائيل فى الأمم المتحدة ، حيث أصدقاؤها الكثيرون . وبعض أعضاء الأمم المتحدة أيدوا إسرائيل ، لا عن قناعة ولكن لأسباب أخرى . وكان الاسرائيليون يعتمدون كثيرا على هذا الدعم ، وكأنه من الأمور المسلم بها .

اذكر ذات يوم أن الوفد الاسرائيلى طلب من سفير دولة حضور اللجنة السياسية الخاصة من أجل التصويت على جانب هام من جوانب القضية الفلسطينية . وعندما وصل تبين أن عدد المتكلمين قد زاد ، ولما كان لا يرغب فى الاستماع للمناقشة ذهب إلى الحانة المجاورة لاحتساء بعض المشروبات ، ورافقه أحد أعضاء الوفد الاسرائيلى . وكلفت فتاة اسرائيلية بمتابعة المناقشة ، وإعلامهما عند بدء التصويت . بعد نصف ساعة أو أكثر بقليل جاءت الفتاة مسرعة تطلب منهما الحضور إلى الاجتماع .

كان التصويت بالاسم لا برفع الأيدى ، وعندما وصل السفير الذى كان متغيبا عن الجلسة إلى مقعده كان اسم بلاده قد ذكر ، وكان مندوب الدولة التى سبقته قد أعلنت الامتناع عن التصويت "abstain" . وكان المطلوب من السفير أن يقول نعم مؤيدا المشروع لكنه بدل ذلك قال : « غائب » "absent" ، وضحك من فى اللجنة وانتبه السفير لخطئه وقال مصححا : « ممتنع » "abstain" . وحاول مندوب اسرائيل تصحيح الموقف ، غير أنه لم يكن بالامكان تغيير صوته وسجل ممتنعا . ولم يكن هذا ما أرادته إسرائيل .

حرب ١٩٦٧ والتضليل الإعلامى

كانت بعض وسائل الإعلام الأمريكية فى حرب ١٩٦٧ تستغل لتضليل الوفود العربية فى الأمم المتحدة . اذكر انه بتاريخ ٥ يونية/ حزيران ١٩٦٧ عندما ناقشت المجموعة العربية الحرب الاسرائيلية فى مجلس الأمن ، صور الإعلام لنا أن جيوشنا أوقفت

الهجوم الاسرائيلى وسجلت نصرا ، وأيدت الأخبار التى وصلت مقر الأمم المتحدة هذا الاعتقاد . وفى نفس الوقت ، نزل الموظفون حاملين أجهزة الراديو الترانزستور التى تنقل هذه الأخبار السعيدة ، وجلس الموظفون فى أروقة مجلس الأمن والجمعية العامة فى الطابق الثانى من البناية . غادر عدد كبير من موظفى الأمم المتحدة المتعاطفين مع إسرائيل مكاتبهم الى الطابق الثانى . الكل يستمع إلى محطة محلية بنيويورك لا تنقل إلا الأخبار وتعيد التركيز على الانتصارات العربية . وفى نفس الوقت ، تدافع الدبلوماسيون لسماع هذه الأخبار . كانت جميع البيانات تنقل نفس الخبر ، ولم يخطر على بال أحد أن تكون هذه الأخبار غير صحيحة . وبكل النوايا الحسنة كان الدبلوماسيون يحضرون لنا مهنئين على ما يسمعونه من الانتصارات وعلى دور جيوشنا الرائع فى الميدان ! .

ولعدم وصول ما ينفى ذلك من عواصمنا ، صدقنا الأخبار . غير أن كثرة أجهزة الراديو الترانزستور فى أروقة الأمم المتحدة وانتشارها فى كل مكان ونقل الأخبار بصوت مرتفع ، كل هذا أصبح مبعث ضيق لنا ، الأمر الذى جعل الشك يساورنى حول كل ما يجرى . . لم يسبق فى تاريخ المنظمة الدولية وفى أية أزمة من أزماتها الكثيرة ، سواء أزمة كوبا أو المجر أو العدوان الثلاثى على مصر أو فييت نام ، أن شاهدت حملة الترانزستور من هذا النوع . ومع مرور الوقت بدأت أشك فى كل ما أسمع وأصبحت ضوضاء الاذاعات شيئا مزعجا لا يحتمل .

أردت إيقاف ذلك ، وذهبت إلى رالف بانش الأمين العام المساعد للشئون السياسية ، وطلبت منه أن يوضح لى لماذا ترك موظفو الأمم المتحدة مكاتبهم وانتشروا مع راديوهاتهم فى قاعات الأمم المتحدة ؟ ولماذا حدث هذا الآن ؟ وطلبت اليه أن يأمر بانسحاب موظفى المنظمة مع راديوهاتهم إلى مكاتبهم حتى ينعم الدبلوماسيون بالهدوء المطلوب . ووافق الدكتور بانش وطلب من موظفى الأمانة العامة ترك صالونات الأمم المتحدة والعودة إلى مكاتبهم . وعندها فقط عاد الهدوء الينا وإلى أعمالنا .

لقاء مع أيرلندية

هناك جانب آخر لحياتنا اليومية فى نيويورك ينتج عن لقاءاتنا اليومية بالشعب الأمريكى الطيب المتعاطف مع الحق إذا اهتدى إليه .

أذكر على سبيل المثال ذات يوم فى آخر صيف ١٩٦٩ ، تلقى زميل لى وصديق عزيز هو السفير محمد الزيات ـ الذى خلف السفير القونى ممثلا لمصر ، والذى كانت بلاده أيضا ضحية الاحتلال الاسرائيلى ـ معلومات تشير إلى مخالفات جديدة لايقاف إطلاق النار قد ارتكبت من طرف إسرائيل ضد بلاده . استمعنا لأخبار المساء التى أشارت للعدوان لكنها لم تعط الكثير من التفصيل . لهذا ، كان علينا أن ننتظر صدور جريدة « نيويورك تايمز » للمزيد

من المعلومات . لم نستطع انتظار البرقيات من عواصمنا . رأينا انتظار صدور الجريدة التى تصل مكان التوزيع على زاوية الشارع ٨٦ ولكسنتون أفنيو الساعة الحادية عشرة مساء . أخذ كل منا نسخة من الجريدة ، وجلسنا فى مقهى صغير يبعد أقل من مترين من مكان بيع الجرائد . وأخذنا باهتمام وشوق نقلب صفحات الجريدة ، وجاءت المضيفة لمعرفة ماذا نريد أن نشرب ، طلبت كوبا من الشاى وطلب الزيات فنجانا من القهوة . نظرت لنا المضيفة بنوع من العطف وقالت : « تستطيعون يا رجال أخذ بعض الطعام مع القهوة والشاى ، فالمطلوب من كل منكما على أى حال أن يدفع نصف دولار سواء أكل أو اكتفى باحتساء القهوة والشاى . لما لا يأخذ كل منكما قطعة كعك ما دمتما ستدفعا ثمنها على كل حال » . قدرنا أن هذه المضيفة خرجت بانطباع هو أننا نقرأ الجريدة بلهفة تفتيشا عن عمل ، وأننا نريد أن نقرأ العروض فى الجريدة لنسبق غيرنا ونذهب لها قبل الفجر ، قال السفير :

« لا شىء نريد غير القهوة والشاى . اعرف أننا سندفع المبلغ كاملا فلا تشغلى بالك » .

قرأنا الأخبار حول منطقتنا وشربنا ما قدمته لنا المضيفة ودفعنا لها ما طلبت وغادرنا المقهى .

وأخذنا بعد ذلك نأتى المقهى فى كل ليلة ، وأخذت المضيفة تعرفنا وتعرف الكثير عن مشكلتنا وازدادت تعاطفا لقضيتنا ، واكتشفنا مع مرور الوقت أنها أمريكية من أصل أيرلندى . وقد سررت كثيرا لعطفها الحقيقى .

ولقاء آخر مع الرئيس جونسون فى البيت الأبيض

من الخطأ تصور ان كل شىء جدى فى الأمم المتحدة وان حياتنا فيها مليئة بالقلق والتوتر . فإن للسفراء لقاءاتهم الاجتماعية فى الاستقبالات وحفلات الغداء والعشاء . ففى مناسبة يوم حقوق الانسان مثلا ، كان الأمين العام داج همرشولد أمين عام المنظمة يقيم حفلة ساهرة كبرى فى ليلة ١٠ ديسمبر/كانون الاول من كل عام يحضرها الوزراء والسفراء ونجوم السينما والمغنون بألبستهم الرسمية . وكانت هذه الحفلة تستمر لساعة متأخرة من الليل .

واتصل مرة السفير جولدبرج بصديقه الرئيس جونسون ، واقترح كنوع من العلاقات العامة أن يوجه الرئيس الدعوة لجميع السفراء المعتمدين لدى الأمم المتحدة لزيارة البيت الأبيض ، وما دام السفراء غير معتمدين لدى واشنطن فسيقدرون ويسعدون لمثل هذه الدعوة وسيعجبون بما سيشاهدونه فى البيت الأبيض . أعجبت الفكرة الرئيس وأعطى جولدبرج الضوء الأخضر لتنفيذها .

تسلمنا جميعا الدعوات وقبلناها . وبعد ظهر اليوم المحدد ، كنا فى مطار لاجوارديا بانتظار أربع مقاتلات هبطت فى المطار لنقلنا إلى واشنطن . . وجاء لنا جاويش ليعطى أمره العسكرى رقم واحد :

« اصطفوا يا أولاد » .

كنت واقفا مع السفير القونى واللورد كارادون ، وشعرنا جميعا بإحراج عندما سمعنا هذا الأمر ، وبحرج أكثر عندما أكمل الجاويش تعليماته :

« أربعة صفوف يا أولاد ، لا صفا واحدا » .

بدأنا نقف فى صفوف أربعة ، وبعدها قال الجاويش :

« الصف رقم واحد يتوجه للطائرة (ناقلة جنود) رقم واحد ، والصف رقم اثنين يتحرك إلى الطائرة رقم اثنين ، والصف رقم ثلاثة إلى الطائرة رقم ثلاثة ، والصف الرابع والأخير إلى الطائرة رقم أربعة » .

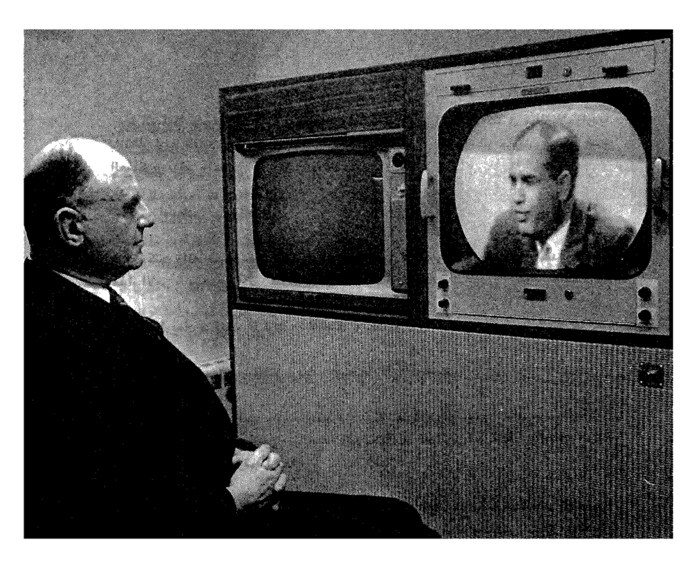
نفذنا التعليمات العسكرية باتقان . وتذكر بعضنا كيف كنا نُصف هكذا فى كل صباح لنتوجه إلى صفوفنا المدرسية . ونفذنا نفس التمرين عندما وصلنا واشنطن لنجلس فى خمس حافلات تنتظرنا . لكن لدى وصولنا إلى واشنطن نسى عدد من السفراء رقم صفه ، ولهذا عندما أمر الجاويش بأن يتوجه كل فرد حسب رقم صفه إلى الحافلة التى تحمل ذلك الرقم ، لم يكن سهلا على هؤلاء السفراء معرفة أين يتجهون .

كان موقفا مضحكا رؤية عشرات السفراء محشورين فى كل حافلة حيث كانت أكثر من قارة ممثلة فى تلك الحافلة . لم يترك هذا العمل انطباعا جيدا لدى الزملاء ، وكان هناك إجماع على أن النتيجة لم تحقق العلاقات العامة المطلوبة . قال أحد الزملاء المتميز بالدعابة :

« هذه هى الطريقة الأمريكية يا أولاد ، عليكم أن تقبلوها » .

فى البيت الأبيض وقف الرئيس ونائبه هيوبرت همفرى ويوثانت لاستقبال الضيوف . وكان مدير المراسم فى البيت الأبيض يعلن اسم كل سفير واسم بلده للرئيس ، وبعد مصافحة الرئيس ، كان جولدبرج يقدمه إلى نائب الرئيس . وعندما حاول جولدبرج أن يقدمنى لهمفرى ، رآى نائب الرئيس يحيينى بحرارة . سأله جولدبرج عما إذا كان يعرفنى من قبل ، وأجاب نائب الرئيس :

« نعم ، نحن أصدقاء منذ أن كنت عضوا فى مجلس الشيوخ » .



□ السفير الاسرائيلى مايكل كومى يستمع فى التليفزيون إلى المؤلف وهو يتحدث فى برنامج « واجه الأمة » .

وبينما كنت اقف فى الصف للقاء الرئيس جونسون ، حضر أحد الحراس بزى قوات الطيران وهمس فى أذن كل منا :

« إذا كنت تريد صورة جميلة مع الرئيس ، تأكد من الوقوف على الخط الأصفر المواجه للرئيس عند مصافحته » .

لكن لم يكن من السهولة أن نجد الخط الأصفر خلال اللحظات القليلة المطلوبة لمواجهة الرئيس والنظر فى وجهه والتحدث إليه .

قدمنى أحد أعضاء الوفد الأمريكى لدى الأمم المتحدة لكريمة الرئيس جونسون « لندا » . ذكرت لى أن الجناح الأردنى فى المعرض الدولى ذلك العام قد ترك عندها انطباعا قويا ، وأنها نظرا لجماله الرائع فقد شاهدته ثلاث مرات . واعربت لها عن سعادتى لسماع هذا التقدير . وعرَضَتْ أن ترافقنى لرؤية الأماكن التاريخية ـ وما أكثرها ـ فى البيت الابيض ورحبت بذلك . وبعد أن بينت لى الخلفية التاريخية لكل غرفة هناك وبينت لى أى معاهدة وقعت وفى أى مكان ، وعلقت على بعض الأحداث التى وقعت فى البيت الابيض كما اشارت إلى ما ادخلته جاكلين كيندى من تغييرات جمالية فى غرف البيت الأبيض المختلفة ، شكرتها

وأعربت لها عن أملى فى أن أحظى بزيارتها إلى الأمم المتحدة كى تسنح لى الفرصة بأن أطلعها على عمل المنظمة واجتماعاتها وكيف تعمل .

كان هناك أكثر من دليل متخصص يرافق باقى السفراء فى جماعات لرؤية البيت الأبيض ، وعندما كنت أمر بهم بمرافقة كريمة رئيس الجمهورية ، كانت تبدو على وجوه زملائى علامات الدهشة .

عشاء على شرف سفير

هناك مناسبات أخرى أقل رسمية تجرى فى الأمم المتحدة . ففى كل افتتاح لدورة الجمعية العامة للأمم المتحدة ، يحضر إلى نيويورك عدد كبير من وزراء الخارجية ، ويلقون الخطب فى الأمم المتحدة . وتصبح نيويورك كأنها عاصمة العواصم . . تقام الحفلات ، والاستقبالات فى الصالون الخاص بالطابق الرابع بالأمم المتحدة . هذه دولة تقيم حفل استقبال بمناسبة عيدها القومى ، وهذا سفير يقيم حفل استقبال أو عشاء على شرف وزير خارجيته ، وهذا دبلوماسى آخر يود استضافة مجموعة من الأصدقاء والزملاء فى بيته .

والتحدث عن العمل والسياسة فى هذه الحفلات غير مرحب به ، لأن جميع الدبلوماسيين يكونون قد بحثوا أمور الأمم المتحدة طيلة اليوم ، ويحبذون الأحاديث الخفيفة فى تلك المناسبة .

فى إحدى أمسيات الجمعية العامة ، اقمت عشاء فى بيتى على شرف السفير بوعطوره سفير الجزائر بمناسبة زواجه ودعوت معه عشرين شخصا من السفراء وزوجاتهم . كان عشاء رسميا ويتطلب اللباس الرسمى . وجهت الدعوة للسفير تشارلز يوست الذى كان المندوب الدائم للولايات المتحدة الأمريكية فى الأمم المتحدة ، لكنه كان مضطرا للوجود فى واشنطن تلك الليلة لحضور اجتماع فى البيت الأبيض . والتقليد لدى الولايات المتحدة أن يعتبر المندوب الدائم وزيرا وأن يشارك فى اجتماعات الحكومة . أناب السفير نجمة السينما السابقة شيرلى تمبل لحضور العشاء بالنيابة عنه ، فقد كانت شيرلى قد عينت من قبل الرئيس لتمثيل الولايات المتحدة فى تلك الدورة .

وبطبيعة الحال رحبت بشيرلى التى جاءت مع زوجها السيد/بلاك ، الذى وصل من ولاية كاليفورنيا إلى نيويورك قبل ساعة من موعد العشاء . وكان على مدير المراسم الذى يساعد فى إعداد تنظيم جلوس الدبلوماسيين لذلك العشاء أن يسرع فى إعادة النظر فى التنظيم لادخال زوج شيرلى . وقام مدير المراسم بذلك . وجاء ترتيب شيرلى فى الجلوس أمام المندوب الروسى السفير جاكوب مالك . لم تبحث أية أمور سياسية فى أثناء العشاء . وكان

مالك معروفا بروح الدعابة التى يتميز بها ، وكانت جلساته فى كل هذه الحفلات متميزة بروح المزاح والمداعبة ولا تخلو من مزحات يسر لها الحضور .

قُدم الأكل العربى وكانت المجموعة منسجمة كل الانسجام . أعجبت شيرلى بالأكل العربى ، واتفقت مع مالك على أن الأكل العربى متميز جدا عن غيره وأنه أشهى ويبعث على الاعجاب .

عند نهاية الدورة العادية للجمعية العامة وبتاريخ ١١ ديسمبر/كانون الأول ١٩٦٨ ، كشفت شيرلى لمندوبة « نيويورك تايمز » خبرتها فى الأمم المتحدة خلال تلك الدورة ، وأشارت فى الحديث إلى العشاء الذى أقمته :

« عندما اتذكر اللحظة التى وقفت فيها حبة الصنوبر فى حلقى فى العشاء الأردنى ، وبدأت اقترب من فقدان الوعى ، أخذت أفكر فى نفسى : أنا ممثلة الولايات المتحدة الأمريكية ، وأنا الوحيدة هنا ، وعلىّ أن لا أموت ، ولو تم ذلك ، فلن يصدق أحد أن موتى لم يكن نتيجة عمل متعمد لغرض ما » . وأضافت : « وأخيرا نزلت حبة الصنوبر مع الأكل » .

أضافت شيرلى التى كانت تجلس أمام السفير الروسى كيف أنها تقدمت له بفكرة مرحة ، قالت له :

« اقترح أن يكون التمثيل فى مجلس الأمن وكل من يعمل فيه من النساء » . وأضافت : « لم يعرب مالك عن وجهة نظره بالنسبة لهذه الفكرة » .

أما قصة حبة « الصنوبر » ، فلم يلاحظها أحد من المدعوين ، وقد تكون من هذه القصص التى تجعل حديث الممثلات شيقا يعجب القارىء ! . والمعروف أن شيرلى تمبل هى نجمة من نجوم هوليود منذ نعومة أظفارها ، وكان لابد أن يتضمن حديثها مع مندوبة « النيويورك تايمز » شيئا يثير اهتمام القارىء الأمريكى ، ولابد أن يكون للتمثيل فى هوليود أثره على تمثيل شيرلى فى الأمم المتحدة . .

جورج براون فى منزل لورد كارادون

وهناك غداء آخر يعكس كيف يتصرف الدبلوماسيون عندما يواجهون حالة محرجة . فقد أقام لورد كارادون حفل غداء فى بيته على شرف وزير خارجيته جورج براون .

كنت والسفير القونى بين ضيوف كارادون ، وعملت الليدى كارادون الكثير لتنظيم



□ المؤلف يرأس اجتماعات مجلس الأمن عند مناقشته للمشكلات التى تهدد الأمن والسلام فى العالم ، ويرى وهو يتحدث إلى يوثانت الأمين العام للأمم المتحدة ، ١٥ مارس / آذار ١٩٦٦ .

وتزيين مائدة الغداء بكل ذوق ، وضعت فى منتصف المائدة سلة كبيرة من الفواكه الطازجة ، ووضعت فواكه إضافية على المائدة متصلة بالسلة من الجانبين ، غير أن بعض العنب الذى كان على المائدة ، لم يكن عنبا طبيعيا ، بل اصطناعيا مصنوعا من البلاستيك .

وبينما كنا ننتظر الطبق النهائى ، دخل معى جورج براون فى حديث عن المشكلة الفلسطينية والحاجة لحل . لفت انتباهه إلى ان بلاده هى المسؤولة الرئيسية عن تشريد شعب فلسطين ، وان حكومته تتحمل المسئولية الأولى للعمل من اجل السلام . واكدت الوعود المتضاربة التى اعطيت للعرب واليهود من بريطانيا ، وكيف أن بريطانيا قد خدعت العرب . وبأسلوبه البارد ، لم يظهر جورج براون اية معارضة لكل ما سمعه . كان طيلة الوقت يتمتع بالشراب الذى يحتسيه بكثرة ، ويحدق فى العنب الجميل الذى يشع منه النور والموجود أمامه . حاول أن يسحب حبة من عنقود ولم يكن ذلك سهلا ، لم يقدّر جورج أن هذه العنبة مصنوعة من البلاستيك . وحاول مرة ثانية وبشدة بينما كانت ليدى كارادون تنظر لما يجرى من بعيد ، وعلامات عدم الارتياح لما يقع بادية على وجهها . وأخيرا ، استطاع الوزير انتزاع العنبة ووضعها فى فمه وأراد مضغها ، وعندها فقط أدرك أنها اصطناعية . وفى

تلك اللحظة ، كنا جميعا قد انتبهنا لمعركته مع العنبة . ولتجنب الارتباك وقف جورج براون وابتسامة عريضة على وجهه ، وقال :

« سيداتي وسادتي لم أكن أقدر أبدا أن حكومة صاحبة الجلالة تغش » .

ولا أدري مدى تأثر جورج براون بحديثي حول سياسة حكومته وغشها وخداعها للعرب عندما ألقى هذه الكلمات . ضحك الجميع على ملاحظات جورج براون ما عدا سلفيا كارادون ، التي كانت لا تزال حتى تلك اللحظة غير مرتاحة لإتلاف ما أعدت من زينة لمائدة الطعام . وهكذا تخلص الدبلوماسي العتيق من لحظات محرجة أمام جمع من الدبلوماسيين .

دعوتي لأمين عام الأمم المتحدة

اعتاد رئيس مجلس الأمن في أثناء فترة رئاسته إقامة حفل غداء أو عشاء لأعضاء مجلس الأمن على شرف الأمين العام . بدأت هذه العادة عندما كان المرحوم داج همرشولد أمينا عاما . وكانت الفكرة فكرته . ومن المدهش أن نرى كيف كانت أحيانا تتخذ قرارات هامة حول مواضيع أساسية خلال هذا اللقاء الاجتماعي غير الرسمي بدون سابق إعداد .

في مارس / آذار ١٩٦٦ ، عندما كنت رئيسا لمجلس الأمن ، أقمت حفل الغداء المعتاد في احد فنادق نيويورك الكبيرة . وفي أثناء الغداء ، قال يوثانت لي مداعبا وبحضور الأعضاء : إن هذا الغداء ليس « هو » . سألته لماذا ؟ قال : « كنت أتوقع حفلة عربية من حفلاتك الرائعة » . وكان عليّ بطبيعة الحال أن أعد لعشاء في بيتي ، حضره جميع أعضاء مجلس الأمن ومن السفراء العرب محمد القوني وجورج طعمه وفخر الدين محمد ، وهم سفراء مصر وسوريا والسودان . وسادت روح الأمم المتحدة ـ **روح التآلف** ـ في ذلك العشاء . كنا جميعا سعداء نتحدث ونضحك ونتمتع بطعام عربي شهي . جلس سفراء الدول الكبرى والمضيف ويوثانت على مائدة خاصة أعدت لهم ، زينت بغطاء زهري وورود حمراء ، وأكواب يتداخل فيها الأبيض والأحمر ، وهكذا كانت موائد باقي أعضاء مجلس الأمن والسفراء العرب . واعتبر السفير الروسي فيدورينكو أن هذه الألوان هي مجاملة لبلاده ، لما قدمته وتقدمه بلاده لقضية فلسطين من خدمات في الصعيد الدولي ، وكان سعيدا جدا .

وعندما قدم الطبق الأول من الطعام نظر إليه فيدورينكو ، وقال للسفير جولدبرج وللورد كارادون :

« هذا الطبق موجود عندنا في أرمينيا » .

وعندما قدم الطبق الثاني التفت إلى جولدبرج وقال :

« هذا الطبق موجود عندنا فى جورجيا » .

وعندما قدم الطبق الثالث قال :

« هذا من عندنا فى أوكرانيا ، وهكذا » . . مما حمل السفير البريطانى لورد كارادون على الرد على فيدورينكو بلهجته الانجليزية وبنبرة التعالى :

« سيادة السفير بعد قليل ستقول لنا أن الطاهى الموجود عند السفير الفرّا هو طاه روسى » .

وانفجر الجميع بالضحك .

كان أعضاء مجلس الأمن فى ذلك العام ، وقبل نهاية مدة يوثانت كأمين عام ، قد كلفونى والدول الآسيوية الافريقية فى مجلس الأمن ، بالاتصال بيوثانت ومحاولة إقناعه بقبول فترة جديدة . . لكن يوثانت أصر على رفض العرض ، وكان سبب رفضه هو عدم دعم الدول الكبرى له وللأمم المتحدة ، وأضاف :

« أرفض أن اقبل فترة أخرى أكون فيها كاتبا مبجلا لا أكثر » .

وقد رأيت أن اقف عند نهاية العشاء لالقاء كلمة تحية للأمين العام ، وبعد دقائق قليلة أشرت فيها إلى الرجل الذى وهب نفسه من أجل السلام ووجهت له نداء « باسم جميع أعضاء مجلس الأمن الحاضرين هنا لقبول فترة جديدة كأمين عام » . صفق الجميع لذلك ، ولابد أن ذلك الجو الذى توفر تلك الليلة قد ساهم لدرجة كبيرة فى موافقة الأمين العام بعد ذلك لمد خدمته لفترة جديدة .

□ □ □

الفصل الثالث عشر

الصهيونية والدولة اليهودية

« يجب أن لا تتعرض جالية قومية اخرى لحكم شعب اخر بالقوة وذلك باسم حكم الاكثرية » .

حاييم وايزمان

حاولت كثيرا ، عن طريق البحث خلال سنوات طويلة ، فهم العقل الصهيونى وماذا يريد قادة الصهيونية ؟ وتوصلت لنتيجة هى أن **التناقض الظاهر فيما يقوله قادة إسرائيل وما يعكسه ممثلوهم فى الأمم المتحدة ، هو تناقض متعمد** ، وأنهم قصدوا تحقيق ذلك :

« اربك الجميع ، واعمل لتحقيق استراتيجيتك » .

ففى البداية أخفت الصهيونية نواياها الحقيقية . وكتب بن جوريون يقول : « إن اليهود لم يأتوا إلى فلسطين من أجل السيطرة والاستغلال . نحن لا ننوى أن ندفع العرب جانبا ، وأن نأخذ أرضهم أو نحرمهم من حقوقهم الطبيعية والإنسانية ، ففى فلسطين متسع لنا ولهم » . **كان هذا تكتيك الحركة الصهيونية الأول . وكان بن جوريون يعيد النظر فى تكتيكاته كلما تطورت الأحداث . فنراه يعترف فيما بين ١٩١٠ ـ ١٩١٨ بوجود نزاع أساسى بين العرب واليهود حول فلسطين ، ثم نراه ينكر فيما بين ١٩١٨ ـ ١٩٢٩ وجود أى نزاع من هذا القبيل** . يقول :

« بالنسبة لحقوق العرب وهم الذين سكنوا البلاد لقرون طويلة ، فكما أن ليهود روسيا وبولونيا الحق فى أن يعتبرونها بلادهم ، فللعرب نفس الحقوق فى فلسطين .. لقد خدم العرب الأرض وسيبقون فيها » .

ثم يعود ويعترف علنا فيما بين عامى ١٩٢٩ و ١٩٣٦ أن أهداف العرب واليهود متعارضة ومتناقضة ، ومع ذلك فيمكن حلها عن طريق المفاوضات المباشرة . وبعد عام ١٩٣٦ ، بعد تزايد الهجرة اليهودية وبعد أن قوى الوجود اليهودى فى فلسطين وبناء المستوطنات ، **ذهب إلى القول بانه لا مجال لحل الخلاف بين العرب واليهود بالوسائل السلمية** :

« إن من حقنا أن نبنى فلسطين وأن نبنى فيها . وستكون فلسطين لنا عندما نؤمن لها من يبنيها ويدافع عنها » .

وفى كل اجتماع صهيونى ، كان بن جوريون ينادى بالهجرة والاستيطان كعاملين اساسيين لخلق الدولة اليهودية ، وكان هذا يواجه مقاومة باسلة عنيفة من الشعب الفلسطينى . وكان بن جوريون يدعو كل يهودى للدفاع عن حلم الصهيونية العالمية والاستعداد لمواجهة العرب ويقول :

« نحن ضعفاء . ويل للضعيف . هذه هى فلسفة التاريخ » .

وكان ينادى بضرورة عقد اتفاق تكتيكى إلى أن يقوى الوجود اليهودى فى فلسطين . وبعد أن قويت منظمات الإرهاب اليهودية والاستعمار الاستيطانى ، **اخذ يطالب بكل فلسطين كوطن لليهود** ، ويقول : « إن لعرب فلسطين بعكس اليهود أوطانا كثيرة » .. وهذا الشعار هو ما تمسك به قادة الصهيونية . واذكر أن أبا إيبان وزير الخارجية قد كرر هذا القول فى مجلس الأمن والجمعية العامة طيلة وجوده كوزير لإسرائيل . وبعد اتصالات مع شخصيات قيادية كثيرة ، توصل بن جوريون إلى النتيجة التالية :

« إن شعب فلسطين ـ كما فهمت من قادته ـ لا يخشى ضياع الأرض بل يخشى ، وهذا هو الأهم ، ضياع الوطن » .

واعترف بعد ذلك أن هناك خلافا « بيننا وبين العرب . كلانا يسعى لنيل نفس الشىء ـ فلسطين » .

واخيرا ، اظهر بن جوريون أهداف الحركة الصهيونية وما كانت تخفيه طيلة الوقت . قال : « إن هدفنا هو جمع اليهود فى العالم إلى كامل فلسطين » . **وأخذ بعد ذلك يتحدث عن « فلسطين اليهودية » ، وينادى باعتماد القوة ، ويدعو إلى إنشاء منظمات الإرهاب والعمل على طرد السكان واستيطان أراضيهم** . وقال فى ابريل/نيسان ١٩٣٦ : « لا يوجد شعب على وجه الأرض يقرر علاقته بالشعوب الأخرى معتمدا فقط على مبادىء العدالة .. الواقع على الأرض هو الذى يقرر الحقوق » . وبعد قيام الدولة قال : « يجب تسليح الدولة اليهودية والعرب يحترمون القوة » . وقال : « وكى يعيش الشعب اليهودى فى هذه الدنيا الشريرة ، فإنه يحتاج إلى تجميع معلومات تساعد فى الفتنة بين العرب وخلق وتغذية خلافاتهم » .

هكذا خطط بن جوريون . وهذه هى وصيته التى نشهد تنفيذها ضدنا صباح مساء ..

هذه الخلفية توضح لنا كيف أنه عندما صدر وعد بلفور فى عام ١٩١٧ ، بعد ضغوط كثيرة من حاييم وايزمان ، صرح قادة الصهيونية أنهم قانعون بما تضمنه وعد بلفور بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين . **هذا الإعراب عن الاكتفاء بوعد بلفور قصد منه تضليل الأسرة الدولية ، وحملها على الاعتقاد أن نصوص الوعد مقبولة ، وأنها قبلت .**

ثم أنهم من أجل تعزيز وحماية ما حققوه عن طريق هذا الوعد وجعل تراجع بريطانيا أقل إمكانية ، **خططوا لاستمرار الهجرة وعدم تقييدها** ، وحققوا هذا بالممارسة وعن طريق إرسال أمواج من المهاجرين بدون أوراق قانونية لدخول فلسطين ، غير مكترثين بالقيود البريطانية على الهجرة .

وبعد أن قويت الحركة الصهيونية ، غير الصهيونيون موقفهم بالنسبة لوعد بلفور مدعين أنه يتضمن وعدا بإقامة دولة يهودية ، بينما الاصطلاح الذى استعمل هو كلمة « وطن » لا « دولة » . هذه النقطة كانت مدار بحث طويل قبل صدور قرار التقسيم ، حيث تركزت المناقشات حول ما إذا كان المقصود هو وطن قومى ليهود العالم أو مجرد وطن لليهود الموجودين آنذاك فى فلسطين . وسواء قيل هذا المعنى أو ذاك ، فكلاهما يتعارض مع حقوق الشعب الفلسطينى فى فلسطين . وفى النهاية لم يبت فى هذه النقطة بشكل واضح أو مقنع .

وقرار التقسيم الذى نتج عن هذه المناقشات وأقر بتاريخ ٢٩ نوفمبر/تشرين الثانى ١٩٤٧ ، يوصى أن تنشأ دولتان فى فلسطين : الأولى لليهود ، والأخرى للفلسطينيين . وحدد القرار الحدود لكل دولة . ومع هذا فقد لجأ اليهود الموجودون فى فلسطين بمساعدة الصهيونية العالمية إلى قانون الغاب وبدأوا حملات إرهابية ضد السكان الأصليين ، وبدأ القتال والمناوشات على الحدود التى حددتها الأمم المتحدة ، وارتكبت مذابح كثيرة بما فيها **مذبحة دير ياسين** التى قامت بها بتاريخ ٩ أبريل/ نيسان ١٩٤٨ ، عصابات إرهابية صهيونية ، الأمر الذى أدى إلى صدور قرار بتاريخ ١٩ أبريل/ نيسان ١٩٤٨ ، يطالب بإيقاف العمليات العسكرية فى فلسطين ، ويكلف بشكل خاص كلا من الوكالة اليهودية والهيئة العربية العليا الممثلة للشعب الفلسطينى فى ذلك الوقت أن :

« تمتنع ـ إلى أن تتم معالجة إضافية لمستقبل حكومة فلسطين من قبل الجمعية العامة ـ عن اتخاذ أية حركة سياسية قد تجحف بحقوق ومطالبات ومواقف أى من الجاليتين » .

حملت مثل هذه الحركات الإرهابية اليهودية السفير الأمريكى فى الأمم المتحدة على أن يعلن أن حكومته لم تعد تعتقد أن خطة التقسيم قابلة للتنفيذ ، وطالب بهدنة سريعة فى فلسطين ، تتبعها وصاية دولية مؤقتة .

رغم كل هذا ، فقد حمل عمل الصهاينة المطالبون بالعنف فى فلسطين والضغوط الصهيونية على البيت الأبيض الرئيس ترومان على التحدث مع مستشاره كلارك كليفورد حول موضوع **الاعتراف بالدولة اليهودية** . كان كليفورد يعرف أن الوكالة اليهودية قد خططت فى ذلك اليوم ـ ١٤ مايو/ آيار ١٩٤٨ ـ أى فى اليوم الذى تنسحب فيه بريطانيا من فلسطين ـ لإعلان قيام الدولة اليهودية الجديدة . وكان كليفورد يعرف أيضا أن رسالة سريعة وصلت الرئيس من حاييم وايزمان **يتوسل فيها الاعتراف السريع بالدولة المقترحة** .

ولدى سؤال الجنرال مارشال وزير خارجية أمريكا ، وافق على الاعتراف بالدولة اليهودية **كاعتراف واقعى** (أى سواء على نحو شرعى أو غير شرعى) غير أن الوزير شعر أن ذلك يجب أن يتم بالتشاور مع بريطانيا وفرنسا . وعندما طلب ترومان رأى كليفورد ، كان موقفه حادا وواضحا . قال :

« إذا كانت أمريكا تريد الاعتراف بالبلد ، فالأفضل أن يتم ذلك فى الحال » . وهنا فوض الرئيس كليفورد أن يطلب من الوكالة اليهودية طلبا رسميا بالاعتراف .

قام كليفورد بالاتصال هاتفيا بإلياهو إيلات فى مقر الوكالة اليهودية بواشنطن ، وسأله عما إذا كانت الوكالة اليهودية بفلسطين « مازالت مصرَّة عن إعلان الدولة اليوم » . كان جوابه : « ليس عندى ذرة من الشك » . وأدى هذا الرد إلى طلب كليفورد رسالة تطلب الاعتراف فى الحال بالدولة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية . كاد إيلات أن يفقد النطق لهذا الخبر ووافق وأسرع بالاتصال ببنجامين كوهين مستشار وزارة الخارجية الأمريكية لمساعدته فى صياغة الرسالة . وجاء كوهين مسرعا لمكتب الوكالة اليهودية من أجل صياغة طلب الاعتراف **بدولة لم تكن حتى الآن قد أعلنت ولم تكن قائمة ، ولم تكن قد عينت لها ممثلا ، ولم تكن قد اتخذت لها اسما** . كانت هذه النقطة الأخيرة مشكلة حقيقية لإيلات . ماذا يسمى الدولة ؟ وكان الحل الوحيد هو استخدام ما جاء فى قرار التقسيم وأن يطلب الاعتراف بـ « الدولة اليهودية » .

وهذا هو نص الرسالة المطلوب رفعها للرئيس ترومان :

« عزيزى السيد الرئيس :

يشرفنى أن أعلمك أن الدولة اليهودية قد أعلنت كدولة جمهورية مستقلة ضمن الحدود التى اقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة فى قرارها بتاريخ ٢٩ نوفمبر/ تشرين الثانى ١٩٤٧ . وأن حكومة مؤقتة قد كلفت بتولى الحقوق والواجبات كحكومة ، وأنها ستحافظ على القانون والنظام ضمن حدود الدولة اليهودية ، وكذلك الدفاع عن الدولة ضد أى عدوان خارجى ، وأن تكون الدولة اليهودية ملتزمة تجاه الدول الأخرى فى العالم حسب القانون الدولى . وإن إعلان الاستقلال سيصبح سارى المفعول بعد الساعة السادسة من مساء ١٤ مايو/ آيار ١٩٤٨ توقيت واشنطن .

« ومع معرفتنا الكاملة بعلاقات العطف العميقة القائمة بين الحكومة الأمريكية والشعب اليهودى فى فلسطين ، والتى عززت خلال السنوات الثلاثين الماضية ، فقد كلفت من قبل الحكومة المؤقتة للدولة الجديدة بتقديم هذه الرسالة ، معربا عن الأمل فى أن تعترف حكومتكم وأن ترحب بالدولة اليهودية ضمن أسرة الأمم » .

مع احتراماتى لكم .

التوقيـــع
إلياهو ابشتاين
(اسمه الحقيقى إيلات)
وكيل الحكومة المؤقتة للدولة اليهودية

وقعت الرسالة نيابة عن حكومة غير قائمة بعد ، هى حكومة الشعب اليهودى فى فلسطين . وكلف الملحق الصحفى بتسليم الرسالة إلى كلارك كليفورد فى البيت الأبيض . وبعد دقائق معدودة عندما كان الملحق الصحفى فى طريقه للبيت الأبيض ، سمع إيلات عن طريق المذياع أن قيادته قد أعلنت قيام الدولة اليهودية واطلقت عليها اسم : « دولة إسرائيل » .

أرسل إيلات فى الحال سكرتيرته لتلحق بالملحق الصحفى وتوقف تقديم طلب الاعتراف إلى أن يتم إدخال الاسم الجديد فى الرسالة . وأدركت السكرتيرة الملحق الصحفى عندما كان يهم فى دخول مكتب كليفورد فى البيت الأبيض ، وقاما سويا بفض الرسالة وشطب الإشارة إلى « الدولة اليهودية » واستبدالها بكلمتى « دولة إسرائيل » .

ولا حاجة بى إلى القول أن جميع إجراءات هذا الاعتراف بما فيها التوقيت قد بقيت سرا حتى النهاية ، ولم يعلم بها أحد حتى رئيس الوفد الأمريكى المعتمد لدى الأمم المتحدة السفير أوستن . وعندما أعلنت أمريكا الاعتراف بالدولة اليهودية ، كانت مفاجئة محرجة لرئيس وجميع أعضاء الوفد الأمريكى فى المنظمة الدولية .

اقرت الأمم المتحدة قرار التقسيم فى نوفمبر/تشرين الثانى ١٩٤٧ ، كما اقرت ـ كما ذكرت ـ قرارا آخر بعد ستة اشهر فى ١٩ أبريل/نيسان ١٩٤٨ كلف جميع المنظمات فى فلسطين بأن تمتنع عن اتخاذ أية حركة سياسية قد تجحف بحقوق وطلبات ومواقف أى من « الجاليتين » ، إلى أن تعالج الجمعية العامة من جديد مستقبل حكومة فلسطين .

لهذا ، فعندما أعلن الصهيونيون دولتهم ، قاموا بذلك بإهمال وتجاهل كامل لهذا القرار الذى جمد الحالة إلى أن تتم المناقشة من جديد بالنسبة لمستقبل حكومة فلسطين فى الجمعية العامة . أضف إلى هذا ، أن الرسالة التى طلبها الرئيس الأمريكى ووجهت له والتى تضمنت طلب الاعتراف ، قد خالفت أيضا هذا القرار الذى لا يمكن للرئيس الأمريكى أو للوكالة

اليهودية في واشنطن إدعاء عدم المعرفة بوجوده ، خصوصا وأن الولايات المتحدة قد التزمت بهذا القرار عندما صوتت إلى جانبه .

إن الاعتراف الأمريكي بإسرائيل هو اعتراف غير شرعي ولا اساس قانوني له ، فهو اعتراف بدولة هي نفسها لا اساس قانوني لوجودها . وما إعلانها إلا عمل من جانب واحد . وهو عمل وضع النغمة لكل إجراء توسعي إسرائيلي لاحق ، وكان أول إظهار لسياسة الأمر الواقع .

وبعد ذلك ارتكبت مخالفات كثيرة وتحديات اكثر ، منها التحدث بصراحة عن **رغبة الصهيونيين في احتلال جميع فلسطين متجاهلين قرار التقسيم** ، على اعتبار أنه ما دام الجانب العربي لم يقبل التقسيم من قبل فلا حق له في أن يطالب بتنفيذه الآن . بمثل هذا المنطق الوقح وهذه السخافة تقدمت القيادة الإسرائيلية بهذا التبرير . لا ينكر الجانب العربي أنه اعترض على القرار وعلى صلاحية الأمم المتحدة في أن تصدر قرارا يخالف مبدأ أساسيا وركنا من اركان ميثاقها هو حق تقرير المصير . كان هذا الاعتراض ينطوي على نقطة دستورية أراد العرب ، كمحاولة أخيرة ، أن تنظر فيها محكمة العدل الدولية . ولسوء الحظ وبسبب الضغوط الأمريكية وضغوط الرئيس الأمريكي ترومان بصورة خاصة ، لم يحصل المطلب العربي على الأكثرية اللازمة في الجمعية العامة . **ومن الواضح ان المطالبة بهذا الإجراء القضائي القانوني ، لا يمكن باي حال ان يحرم الشعب الفلسطيني الذي لم يكن مشتركا في التصويت ، من حقه في دولة ذات سيادة اقرتها الأسرة الدولية في نفس القرار الذي اوصى بخلق دولة يهودية** . ولا يمكن لأية مزاعم أن تمكن الإسرائيليين من أن يذهبوا إلى ما وراء النصوص المحددة في ذلك القرار ، كما لا يستطيعون أن يتجاوزوا أو يعتدوا على حقوق الغير المحددة فيه ، خصوصا وأن المنظمة الدولية تؤكدها في كل عام مذكرة السلطات الإسرائيلية بقانونية واستمرارية قرار التقسيم .

وبعد إعلان قيام الدولة من جانب واحد ، مضى الإسرائيليون في مخالفاتهم لكل نص في الميثاق . ولابد من التذكير هنا أن **دخول إسرائيل إلى الامم المتحدة ، كان مرتبطا كشرط اساسي بإلتزامها بقرار التقسيم الذي أعطى لها حق العضوية ، اعتقادا من الامم المتحدة ان إسرائيل ستكون محبة للسلام . كما ان العضوية كانت معلقة على تنفيذ حق الفلسطينيين في العودة إلى وطنهم ، وكانت معلقة ايضا كشرط اساسي على تقيد إسرائيل ببروتوكول لوزان** الذي وقعه ممثل إسرائيل وولتر إيتان بحضور لجنة التوفيق الفلسطينية قبل الموافقة على دخول إسرائيل المنظمة الدولية بيوم واحد .

وبدت حيل ومراوغات إسرائيل ظاهرة عندما أمر بن جوريون فور دخول إسرائيل الأمم المتحدة بإلغاء التزام بلاده بالبروتوكول ، بزعم أن إيتان لم يكن يملك صلاحية التوقيع على هذا الالتزام . وتبين بعد ذلك **أن توقيع البروتوكول الذي يلزم إسرائيل بقرار التقسيم لم يكن إلا واحدة من هذه الحيل الاسرائيلية لتحقيق حصول إسرائيل على عضوية الامم المتحدة .**

لهذا ، فهى دولة بدون حق قانونى تطلق يدها لاهمال جميع المواثيق وعدم الالتزام بالخلق الدولى اللائق الذى أقرته والتزمت به جميع دول العالم من أجل تحقيق السلام القائم على العدل .

وهى ترفض بازدراء احترام أى التزام التزمت به قبل اعتراف الولايات المتحدة الواقعى بها . والاعتماد على هذا الاعتراف للتنكر لالتزاماتها ، يجعل من الولايات المتحدة شريكا مسؤولا عن جميع سلوكها الذى تبع الاعتراف .

ولا ننسى أنه جاء بوضوح فى الطلب المقدم للبيت الأبيض فى ١٤ مايو/أيار ١٩٤٨ ، أن الدولة اليهودية ستصبح جمهورية مستقلة « ضمن الحدود التى أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة فى قرارها (قرار التقسيم) المؤرخ فى ٢٩ نوفمبر/ تشرين الثانى ١٩٤٧ » .

واليوم بعد أن احتلت إسرائيل كامل فلسطين واخذت تعلن بقاء احتلالها لها ، واخذت مستوطناتها تنتشر كالسرطان فى الأراضى المخصصة للدولة العربية الفلسطينية حسب قرار التقسيم ، لا يمكن وصفها كدولة محبة للسلام قادرة وراغبة فى القيام بجميع التزامات الميثاق .

هناك من تنبأ بظهور المقاومة الفلسطينية التى تجرى اليوم فى الأرض المقدسة ، وكان من ضمنهم الكونت برنادوت ، الذى قتلته العصابات الصهيونية عندما أرسل للتوسط فى إيجاد حل لمشكلة فلسطين بين الفريقين وتقدم بمشروع حل للقضية الفلسطينية ، لكنه لم يسمح له أن يعيش لتنفيذ اقتراحه .

وكانت الدول العربية قد اعترضت منذ البداية على صلاحية الأمم المتحدة فى تقسيم البلاد ضد رغبة أكثرية أهلها ، أى الشعب الفلسطينى ، وكانت الدول العربية ترى أن الحل المثالى هو خلق دولة علمانية يهودية عربية فى فلسطين ، أو ما يشبه الكانتونات التى تقوم عليها دولة سويسرا .

غير أن حاييم وايزمان رئيس الوكالة اليهودية آنذاك وأول رئيس لاسرائيل فيما بعد ، اعترض على ذلك ، مدعيا أن الوحدة لا يمكن فرضها بدون قبول . لكن أى قبول ؟ هل هو قبول الأقلية اليهودية أو قبول الأكثرية الفلسطينية ؟ ما نادى به وايزمان يعنى أن وحدة التراب الفلسطينى لا يمكن فرضها بدون موافقة ، أما التقسيم فيمكن أن يفرض بدون موافقة الأكثرية الساحقة من شعب فلسطين ، وهو جدل لا معنى له البتة .

فى خطاب وايزمان الداعى لضرورة التقسيم ، قال أمام اللجنة السياسية الخاصة حول فلسطين فى الأمم المتحدة ، عندما كان يدافع عن فكرة دولة للأقلية اليهودية فى فلسطين ، ما يلى :

« إن الحجج القانونية والتاريخية تعتبر ثانوية إذا ما قارناها بالحقائق الحالية . هناك جالية يهودية فى فلسطين عدد أفرادها سبعمائة الف . لها لغتها . ولها دينها . ولها تقاليدها . ولها وضعها الاجتماعى المميز . ولها انجازاتها العلمية والصناعية والزراعية . ولها مدارسها الخاصة وجامعتها . هذه الجالية ديمقراطية ولها منظمتها المميزة . . . » .

واضاف :

« تواجه الجالية اليوم مجموعة أخرى وصلت إلى مرحلة مختلفة من النمو ، وعددها يفوق عدد الجالية الأخرى ، ولا توجد خصائص وصفات مميزة تجمع بين هذه الجالية وبين الجالية اليهودية ، وعلى هذه الجمعية العامة أن تقرر من الذى سيحكم هذه الجالية وينظم حياتها . .

« يجب أن لا تتعرض جالية قومية أخرى لحكم شعب آخر بالقوة وذلك باسم حكم الأكثرية » .

هذا ما قاله وايزمان ، لكن ما هى خلفية السبعمائة الف يهودى الذين اشار اليهم وايزمان ؟

تجدر هنا مراجعة هذه الخلفية . ويمكن تقسيمهم إلى أربع فئات :

الفئة الأولى : هم اليهود الذين استوطنوا فلسطين لأكثر من عشرين عاما قبل التقدم بالقضية للأمم المتحدة عام سبعة وأربعين .

الفئة الثانية : هى هؤلاء الذين سكنوا فلسطين حسب قانون الانتداب الذى وضع أنظمة للهجرة وبموجبه أصبحوا مواطنين فلسطينيين .

الفئة الثالثة : هى هؤلاء الذين دخلوا حسب قوانين الهجرة لكنهم لم يصبحوا مواطنين .

الفئة الرابعة : تتعلق بالذين دخلوا فلسطين بصورة غير مشروعة .

وحسب كتاب الاحصاء البريطانى الرسمى ، لم يكن هناك فى عام ١٩٤٧ غير مائتين وخمسين ألف يهودى يحملون الجنسية الفلسطينية ، وفيما عدا هؤلاء فإن جميع اليهود ، أى أربعمائة وخمسين ألف يهودى ، دخلوا معظمهم إلى فلسطين بشكل غير مشروع وجميعهم لا يحملون الجنسية الفلسطينية . **وهكذا فإن اكثرية الاقلية اليهودية قد دخلت فلسطين بشكل غير مشروع** . يصرّ وايزمان على إنشاء دولة يهودية لهؤلاء ضد رغبة

ما يزيد على مليون ونصف فلسطينى كانوا يسكنون فلسطين عام ١٩٤٧ وهم سكان البلاد الأصليون .

والآن بعد اربعين عاما ، يقف الارهابى مناحم بيجن الذى أصبح رئيسا للوزراء رافضا إقامة دولة للفلسطينيين على جزء من وطنهم . وقد يكون من المفيد مقارنة هذا الرفض الصهيونى بكلمات الدكتور وايزمان الواردة أعلاه . فهناك جالية قومية أخرى فى إسرائيل غير سكان الأرض المحتلة . هذه الأقلية يجب أن لا تتعرض لحكم شعب آخر بالقوة وباسم حكم الأكثرية . هناك فيما يسمى بإسرائيل شعب فلسطينى يزيد على سبعمائة الف فرد . لهذا الشعب لغته ، ودينه ، وتقاليده ، ومدارسه ، وتنظيماته المميزة ، ولا توجد أية خصائص مميزة مشتركة له مع الجالية اليهودية . وحسب ما قاله وايزمان ، على الاسرائيليين أن **يقرروا إما أن تقوم دولة علمانية تجمع اليهود وغيرهم فى فلسطين أى العرب واليهود ، وإما أن يلتزم بتفكير وايزمان وان يترك « لعرب إسرائيل » أن يمارسوا حق تقرير المصير** . وأنا أشير هنا إلى العرب الذين بقوا فى إسرائيل بعد حرب ١٩٤٨ ، لا إلى باقى سكان الضفة الغربية وقطاع غزة وباقى الشعب الفلسطينى .

إننى واثق بعدما أظهرته إسرائيل حتى الآن تجاه هذا الشعب من أعمال تعسفية ، وما تعرض له هذا الشعب البطل من أعمال البطش والقتل ونقل السكان وهدم منازلهم والعقوبات الجماعية ، أنه **سيختار الاستقلال** . ومن جهة أخرى ، فإنه بعد انسحاب إسرائيل من الأراضى الأخرى المحتلة سيختار سكانها الفلسطينيون أيضا إما الاستقلال أو الاتحاد الكنفدرالى مع الأردن ، وعلى إسرائيل أن تفكر مليا قبل الاصرار على سياستها العمياء ، لأنها إذا استمرت هذه سياستها ستكون قد حفرت قبرها بيدها .

مزاعم الأمن

واليوم تزعم إسرائيل معززة لاعتراضها لقيام دولة فلسطين أن هذا يخلق أزمة أمنية ، لكن المعروف أن **الأمن لا يمكن تحقيقه بالدبابات والصواريخ والمقاتلات ، بل بسياسة التعايش حسب قرار التقسيم** الذى اوصى بقيام دولة عربية فلسطينية إلى جانب الدولة اليهودية .

لقد اعترض الاسرائيليون على قيام الدولة الفلسطينية ، لا بسبب الأمن بل لأن دولة عربية فلسطينية ستضع حدا لحلم التوسع الصهيونى . وكانوا صريحين فى ذلك وحتى قبل خلق دولة إسرائيلية . وكان هذا واضحا فى جميع المؤتمرات الصهيونية التى برز فيها إصرارها على الاستمرار فى « كفاحها » من أجل دولة يهودية « ضمن الحدود الأصلية لفلسطين » . والحدود الأصلية كما تزعم الحركة الصهيونية تشمل شرق الأردن .

وفى ١٩٣٨ ، فى أثناء مناقشات دارت حول مشروع التقسيم الذى تقدمت به اللجنة الملكية البريطانية « لجنة بيل » ، قال بن جوريون فى المؤتمر الصهيونى العشرين .

« لا يمكن لأى صهيونى أن يتنازل عن ذرة من تراب إسرائيل ، غير أن النقطة مدار البحث هى أى الطريقين سيقودنا بشكل أسرع إلى الهدف المشترك » .

أما أبا إيبان فقد أطلق على جميع الوثائق التى تحصل الحركة الصهيونية عليها من خلال هذه التكتيكات أنها : مجرد « فرص » تستغل ثم يتم إتلافها وتجاهلها بعد خدمة أغراضها .

لقد رفض القادة الاسرائيليون الاعتراف بالشعب الفلسطينى باعتباره الفريق الأساسى فى النزاع العربى ـ الاسرائيلى . وهم يرفضون الآن الاعتراف بواقع أن منظمة التحرير الفلسطينية هى ممثلة الشعب الفلسطينى . لقد اعترفت أكثر من مائة وخمس عشرة دولة بمنظمة التحرير الفلسطينية اعترافا دبلوماسيا كاملا ، من هذه الدول الهند واليونان وفرنسا والنمسا وإيطاليا . وهناك اعترافات أوروبية قادمة ، ومع ذلك لم تسلم إسرائيل بهذه الحقيقة ، وما زالت تتحدى العالم أجمع ، ولبن جوريون تفسيره الخاص لهذا ، قال بن جوريون :

« وضعنا بين الأمم لا مثيل له ، لا لأننا شعب صغير ، هناك دول أقل منا عددا أعضاء فى الأمم المتحدة ، لكننا شعب معزول بطبيعة وضعنا وتاريخنا . لكل شعب أواصر القربى بغيره إما بسبب الدين أو اللغة أو الجنس . هناك اسكندنافيون وانجلو ساكسونيون وعرب ومسلمون وبوذيون بين الأمم ، أما إسرائيل فلا صلة لها بأى مجموعة دول لا بأواصر الدين ولا اللغة ولا الجنس ، والدول الأقرب لنا من ناحية اللغة والوجود الجغرافى هم أعداؤنا اللدودون ، ولهذا تستطيع إسرائيل أن تأخذ مكانها بين الأمم بمدى انجازاتها ، وبطولة روحها ، وبمثل الحكم الديمقراطى فيها ، وبقوتها الخلاقة . كان تاريخ إسرائيل منذ قديم الزمان يظهر تفوقها فى الكيفية لا الكمية ، وهذا التفوق قد ظهر فى العقد الأول منذ انبعاثها » .

أما فى تقرير « نيويورك تايمز » بتاريخ ١٩ ديسمبر/كانون الأول ١٩٦٠ ، فقد ذهب بن جوريون من أجل الضغط على اليهود للهجرة إلى الدولة اليهودية إلى القول :

« إن اليهود الذين يعيشون خارج إسرائيل لا إله لهم ، فقد خالفوا تعاليم اليهودية فى كل يوم بقوا فيه خارج بلادهم . وكل من عاش خارج أرض إسرائيل يعتبر لا رب له » .

وهذا غريب ! هل يعتقد رئيس وزراء إسرائيل حقيقة أن الله غير موجود فى كل مكان ما عدا إسرائيل ، وهل جميع الأغيار من مسيحيين ومسلمين وهندوس وغيرهم بلا إله . هذا

الشعور بالعظمة والتفوق وبأن كلا منهم فريد بنفسه ، وتقسيم العالم إلى يهود وأغيار واستغلال كل هذا للمطالبة بتحقيق الأمن لهم عن طريق الاستيلاء على المزيد من الأراضى العربية ، كل هذا مع رفض الانصهار والتأقلم فى الجهات الأخرى ادى إلى وصف هرتزل للمشكلة اليهودية بأنها مشكلة :

« شعب بلا أرض ، يريد أن ينقل إلى ارض بلا شعب » - هى فلسطين .

قال ناحوم جولدمان ، الرئيس السابق للمؤتمر الصهيونى والذى كرس معظم حياته للمساعدة فى تحقيق الحلم الصهيونى ، ما يلى بالنسبة لما قاله هرتزل :

« لا شىء حقيقى فى هذه الصيغة . معظم اليهود فى العالم ليسوا شعبا بلا ارض ، لكنهم مواطنون وولاؤهم لبلادهم التى يعيشون فيها . ثم إن فلسطين ليست أرضا بلا شعب ، وليس نقل ثلاثة ملايين يهودى لفلسطين يحل المشكلة اليهودية فى العالم ، كما هو ظاهر لسوء الحظ بظهور الحركات اللاسامية باسم معارضة الصهيونية » .

وقبل حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ ، قال ليفى اشكول الذى كان رئيس وزراء إسرائيل :

« لا ترغب إسرائيل فى التوسع » .

أما بعد الاحتلال الاسرائيلى لمزيد من الأراضى عام ١٩٦٧ ، فقد شرع قادة إسرائيل فى ترديد نغمة ما يسمونه الحدود التاريخية ، وأكثرهم وقاحة مناحم بيجن الذى أصر أن :

« إسرائيل لا تطلب قبولها من الجانب العربى لأن وجودها جاء بتأكيد من الله والتقاليد اليهودية » .

أين نجد فى الانجيل أو التلمود أى نص محدد لمكان الحدود ؟ قال جولدمان :

« قد يتساءل المرء بحق لماذا يجب أن يلتزم العرب ، أو الأمريكيون بوعود أعطاها رب يهودى . لقد ذكر لى عظماء قادة الدين اليهودى إن هذا يخالف روح القانون اليهودى التى تطلب رفاهية جميع بنى الانسان . إن الدخول فى حرب وتعريض آلاف صغار اليهود والنساء للخطر من أجل كسب المزيد من الأراضى هى ضد تعاليم الله » .

تحتل إسرائيل الآن بالقوة جميع الأراضى المخصصة لدولة فلسطين العربية خلافا لقرار التقسيم ، وقد قرر مجلس الأمن أن سياسة وممارسات إسرائيل فى إنشاء مستعمرات

فى المناطق الفلسطينية وغيرها المحتلة عام ١٩٦٧ ، لا قيمة قانونية له ، وهو عقبة فى تحقيق السلام العادل والدائم فى الشرق الأوسط .

وعندما لا يجد ممثلو إسرائيل فى الأمم المتحدة أى حجة لتبرير توسعاتهم يتحدثون عن التمييز ضد اليهود ، وهذا لا مبرر له لأن الاسلام دين تسامح ويعتبر اليهود من اهل الكتاب . لهذا فلا علاقة لهذا الخلاف بالعنصرية أو اللاسامية . والغريب انه رغم هذا التوسع التعسفى ، يقف شيمون بيريز رئيس وزراء إسرائيل ليعلن خطته « خطة مارشال » للشرق الأوسط بتاريخ ٩ أبريل / نيسان ١٩٨٦ .

لا يستطيع الاسرائيليون أن يجذبوا العرب أو الرأى العام العالمى إلى جانبهم بهذه التكتيكات . وهذا مثل حى للوقاحة الاسرائيلية . لم يقنع الاسرائيليون بوطن ، فقالوا لابد من دولة . ولم يكتفوا بدولة ، فقالوا إن عليهم أن يجعلوا من هذه الدولة خلال أربعين عاما من إنشائها الدولة المسيطرة فى المنطقة .

ورد السيد الشاذلى القليبى أمين عام جامعة الدول العربية على ذلك ، مبينا بقوة وجهة نظر العالم العربى عندما قال :

« نعتقد ان خطة بيريز هى محاولة لتغيير الاهتمام بالعمل من أجل السلام . فرئيس الوزراء الاسرائيلى يحاول ، بدون التخلى عن الاحتلال للمناطق العربية وتحقيق العدالة لشعب فلسطين ، أن يربك العالم الغربى بالقول بأن طبيعة السلام النهائى فى الشرق الأوسط ممكن أن تنتظر » .

لكن الواقع انها لا تنتظر ، كما لا يوجد أى مبرر لماذا يجب أن ننتظر ؟ .

□ □ □

الفصل الرابع عشر

تكنيكات إسرائيل في الأمم المتحدة وخارجها

«ليست الجغرافيا ولا التاريخ وحدهما ضد إسرائيل، لكن المنطق أيضا ضد إسرائيل في المدى البعيد، والاسرائيليون يعلمون هذا».

جيمس رستون

هناك مقعد ابيض واحد وخلفه أربعة مقاعد زرقاء مخصصة لكل عضو من أعضاء مجلس الأمن . هذه المقاعد مخصصة لرئيس واعضاء كل وفد حول المائدة شبه الدائرية ، أو الشبيهة بحدوة الحصان . وفى مجلس الأمن كراسى حمراء مخصصة لسفراء ومستشارى الوفود غير الممثلين فى مجلس الأمن .

وعندما يظهر الاسرائيليون أمام مجلس الأمن ، ولتحقيق أكثر المكاسب الاعلامية بواسطة التليفزيون ووكالات الأنباء ، يعملون على أن يكون رئيس الوفد جالسا وواحد فقط من أعضاء الوفد الاسرائيلى يجلس خلفه ، وتبقى المقاعد الأخرى خالية معظم الوقت . وفى مرات عديدة كان لا يجلس وراء أبا ايبان إلا المندوب الدائم . سألت مرة صديقا من « النيويورك تايمز » لماذا يفعلون هذا ؟ ذكر لى أنها الطريقة الاسرائيلية لتحقيق كل ما يمكن من العطف العالمى .

ثم إن الاسرائيليين يتصرفون فى مجلس الأمن بأسلوب فريد فى الأمم المتحدة ، محاولين دائما أن يظهروا كأنهم يعانون من العزلة ولا حيلة لهم ، ضعفاء لا أحد يريدهم ، ومثل هذا الأسلوب لا مثيل له فى الأمم المتحدة ولا يوجد وفد آخر يفكر فى مثل هذه الأساليب .

ومن جهة أخرى ، نحن العرب غير الملمين بأساليب كسب العطف العالمى نفعل العكس . إذ يأتى الشاكى العربى إلى مجلس الأمن بجميع أعضاء وفده ويحتلون المقاعد

الخمسة المخصصة لهم ، أما الأعضاء الآخرون فيجلسون على المقاعد الحمراء . ليس هذا فحسب ، بل يأتى عدد آخر من أعضاء الوفود العربية مسرعين للمساعدة ! يطلبون المشاركة فى المناقشة ويلقون خطبهم فى المجلس . وينقل التليفزيون صور هذه الوفود العربية الكثيرة المشاركة مع صورة ذلك الوفد الاسرائيلى الصغير المشكل من اثنين ، إلى كل مكان ، فتظهر المشكلة وكأنها بين العالم العربى المترامى الأطراف من المحيط إلى الخليج وبين « اسرائيل الصغيرة » . ومع الاستفزاز الاسرائيلى المتعمد يأتى المزيد من العرب للاجابة على التشويهات الاسرائيلية ، وهذا كما يبدو وبالتحديد ما تريده إسرائيل . هذه هى الصورة كما عشتها ورأيتها خلال السنوات الطويلة التى قضيتها فى الأمم المتحدة .

ماذا عن الخط الاسرائيلى فى مجلس الأمن ؟ إنه خط واضح وبسيط : تجيب اسرائيل على الشكوى العربية بشكوى معاكسة ، وتطلب من مجلس الأمن دمجها وتوحيد المناقشة كى يصدر قرار واحد حول الموضوع فى مجلس الأمن . بعد ذلك تأتى الولايات المتحدة الأمريكية متدخلة وتطلب قرارا « متوازنا » يأخذ بعين الاعتبار طلبات الفريقين . ويصبح همنا نحن العرب فى كل مرة هو أن نكافح من أجل الاستماع إلى كل شكوى على حدة . **ومع مرور الوقت ، اصبح المجلس يعرف التكتيك الاسرائيلى بعدما تبينت له الأكاذيب الاسرائيلية التى كانت تكشفها الحقائق العربية .**

وعندما بدأت اسرائيل هجومها ضد الأراضى الفلسطينية والمصرية والأردنية والسورية بتاريخ ٥ يونية / حزيران ١٩٦٧ ، أسرعت اسرائيل وتقدمت بشكوى ضد هذه الدول زاعمة أنها هى التى بدأت الحرب . أما الجانب العربى الذى لم يكن مستعدا للحرب ، فلم يقدم شكواه إلا بعد شكوى إسرائيل بعشرين دقيقة . **واليوم يعرف العالم أن إسرائيل هى التى بدأت حرب ١٩٦٧ ، فقد اعترف عدد من ممثليها بذلك كما جاء فى هذا الكتاب** ، رغم أن وثائق مجلس الأمن تقول إن إسرائيل سبقت بتقديم الشكوى زاعمة أنها تشارك لصد العدوان والدفاع عن نفسها .

وفى رده على الشكاوى العربية أمام مجلس الأمن ، يبذل الممثل الاسرائيلى كل جهده لتحويل انظار المجلس والعالم عن موضوع الشكوى إلى أمور عاطفية خارجة عن الموضوع ويتأثر لها الأمريكى العادى أو الأوروبى ، مثل الاضطهاد النازى والقول بأن إسرائيل هى الديمقراطية الوحيدة فى الشرق الأوسط . وحيلة أخرى شائعة يستعملها الاسرائيليون هى القول :

« إن المنطقة التى أنشأ عليها اليهود دولتهم ، هى منطقة صغيرة جدا إذا ما قورنت بالمساحة الواسعة فى العالم العربى » .

هذا بالاضافة إلى تكرار القول :

« لقد قاسى اليهود كثيرا وتعذبوا كثيرا جدا نتيجة الاضطهاد النازى ، فهل كثير علينا أن تكون هناك دولة صغيرة كبلاد لنا » .

وطبعا لا يمكن قبول هذه الحيل المتكررة فى كل مناقشة فى الأمم المتحدة بأية طريقة . ذلك أن المقياس ليس مساحة هذه أو تلك من القارات أو أى جزء منها ، لكن من هى الشعوب التى تملك هذه الأراضى . فاذا قبلت هذه المزاعم الاسرائيلية ، فيمكن أن يكون للاقلية اليهودية دولة أخرى فى أمريكا اللاتينية . فأمريكا اللاتينية قارة بها مساحات واسعة ويوجد فيها أقلية يهودية . وبنفس المقياس ، ففى أوروبا الغربية أقلية يهودية ويمكن لها دعوة اليهود من الاتحاد السوفييتى للانضمام لها والمطالبة بدولة مستقلة فى قلب أوروبا الغربية . ويهود نيويورك حسب نفس المقياس يمكنهم المطالبة بدولة يهودية فى نيويورك ، وهكذا . فاذا قبلنا هذا المنطق الاسرائيلى فلابد من تغيير خريطة جميع قارات العالم .

ثم إن الطريقة الإسرائيلية فى الإعلام تختلف عن الطريقة العربية . نحن نركز على إلقاء الخطب بدون اهتمام بوسائل الإعلام . أما الإسرائيليون فيتأكدون قبل إلقاء الخطب من أن نصوصها قد وصلت إلى رجال الصحافة ، ويضعون ملخصا لخطبهم فى أماكن الإعلام المخصصة للصحفيين فى الأمم المتحدة . ويوزعون البيانات الصحفية عن الخطب قبل إلقائها ، ويتأكدون من أنها وصلت إلى محطات الراديو والتليفزيون ووكالات الأنباء قبل إلقاء الخطب .

أذكر عندما هاجم الاسرائيليون فى نوفمبر/ تشرين الثانى ١٩٦٦ قرية السموع فى الضفة الغربية من الأردن ، اتصل بى فى أثناء مناقشة القضية فى مجلس الأمن مندوب محطة السى . بى . اس . التليفزيونية للظهور فى برنامج « واجه الأمة » وللتحدث عن التوتر فى الشرق الأوسط . كان البرنامج لنصف ساعة خصص نصفها لى والنصف الثانى لمندوب إسرائيل مايكل كومى . ذلك لأننى رفضت مشاركته فى برنامج مشترك . وكان هذا هو البديل لذلك . وحضر فى قاعة التليفزيون عدد من الصحفيين . وجرت قرعة فى غيابنا حول من يبدأ أولا ، وظهر كومى أولا ، وأسعدنى ذلك لأنه سيمكننى الاستماع إلى كومى والرد على مزاعمه . لكننى فوجئت عندما قال لى مدير محطة التليفزيون التى ستبث الحوار على كافة انحاء الولايات المتحدة الأمريكية إننى لن أحظى بمشاهدة كومى ولا سماع ما يقول . وأضاف أن علىّ أن أجلس فى غرفة مقفلة بعيدا عن التليفزيون .

وانتظرت فى الغرفة إلى أن انتهى كومى ، وبعد ذلك جئت لأجلس مكانه ولأرد على أسئلة الصحفيين المشاركين فى البرنامج . أما كومى وقد أنتهى دوره ، فكان من حقه أن يرى ويسمع ما أقول ، ولذا ذهب مباشرة إلى قاعة التليفزيون وسمع ما قلت ردا على أسئلة ممثلى السى . بى . اس . الثلاثة المشاركين فى الندوة . كان السؤال الأول : لماذا أقدمت اسرائيل على هجوم السموع ؟ . قلت : **إن الهجوم على السموع هو مقدمة لعدوان اسرائيلى كبير يهدف إلى احتلال كامل للضفة الغربية** . وبينت بالحجة ما تقوم به إسرائيل تمهيدا لهذا العدوان الذى لا يختلف عما قامت به إسرائيل تمهيدا لعدوان ١٩٥٦ . وفوجىء المشاركون

فى الندوة بهذا القول . ودامت المناقشة حول هذه الفكرة مدة طويلة كان كومى خلالها يدون ملاحظاته على كل ما يرى ويسمع .

بعد ذلك مباشرة خرج كومى إلى غرفة الصحافة ، والتقى بالصحفيين المجتمعين فى غرفة الإعلام ورد على كل ماقلته ليزيد ما قاله سابقا من تشويه . كما أجاب على أسئلة الصحفيين ، وصور إسرائيل على أنها حمامة السلام ولا تريد غيره . لم أكن أعرف أن هناك غرفة صحافة ، وأن المرء يستطيع الاتصال بالصحفيين ثانية وعقد مؤتمر صحفى للرد على الرد .

وفى اليوم التالى ، نشرت وسائل الاعلام ملخصا لما قاله كومى وما قلته ، مضافا إلى كل ذلك ما قاله كومى بعد البرنامج . ونشرت « نيويورك تايمز » صورة فوتوغرافية ظهر فيها كومى يتابع ما قلته على التليفزيون ، وأرسلتها لى من باب المجاملة كهدية . وهى منشورة فى هذا الكتاب .

واعترف أنه كانت تنقصنى هذه الخبرة الاسرائيلية ، فلم أكن ملما بهذه الطرق والأساليب للوصول إلى الرأى العام عن طريق المتابعة بهذا الشكل . **فالعلاقات العامة بالنسبة لنا نحن العرب شىء جديد . نشعر أن الحق إلى جانبنا ، ولهذا نظن اننا لا نحتاج إلى اثباته ولا إلى علاقات عامة . . كنا ـ وما زلنا ـ محامين ضعفاء لقضية عادلة .**

أما بالنسبة للصحافة ، **فمن الخطأ القول إن الصحافة غير منصفة** . نعم هناك مجموعات صهيونية للضغط فى مدن كبيرة . وهناك ضغط الاعلان ، الذى تقوم به المؤسسات التجارية الضخمة الموالية لاسرائيل . وهناك تأثير أصحاب الأسهم فى مؤسسات الإعلام . لكنى أعرف أن الصحفيين المستقلين لا يملى عليهم ما يكتبون فلهم أفكارهم الخاصة ، وعلينا أن نستعمل جميع وسائل الاتصال والعلاقات العامة للتعريف بالحقيقة .

غير أنه من الانصاف أن نقول أيضا : إن قوى الضغط الصهيونية فى الولايات المتحدة قد جعلت ، عن طريق قوتها المالية وضغوطها ووسائلها الأخرى ، الادارة الأمريكية منحازة إلى جانب واحد وتفكر بعناية بالنسبة لأية تطورات فى الشرق الأوسط .

وكثيرا ما تساءلت بعد حرب يونية / حزيران ١٩٦٧ : **هل تذكر أولئك الإعلاميون الذين سمعوا ونشروا ما قلته حول السموع والحرب المقبلة قبل وقوعها** ؟ وهل تذكروا إنكار كومى لوجود مخططات إسرائيلية لاحتلال جميع الضفة الغربية للأردن ؟ وهل تذكروا مغالطاته الكثيرة التى لا تعرف الحدود ؟ .

وهذا النفوذ الصهيونى يصل تأثيره إلى داخل الأمانة العامة للأمم المتحدة . وفى أواخر عام ١٩٦٨ ، جاءنى موظف كبير فى الأمم المتحدة وقال لى : إن إدارة الاحصاء فى المنظمة الدولية قد أكملت إعداد كتابها السنوى ، وكانت على وشك إرساله إلى الطباعة عندما وصلت

تعليمات جديدة مفاجئة تدعو إلى تعديل نصوص الكتاب وان كلمة « فلسطين » يجب ان تستبدل بكلمة « إسرائيل » . أثار الموظف المسئول نقطة هامة ، وهى أنه قبل قرار التقسيم كانت هناك بلاد اسمها « فلسطين » ، كيف للأمم المتحدة أن ترتكب التزوير وتشوه التاريخ وتستبدلها بكلمة « إسرائيل » ؟ ! وكان الجواب :

« افعل ما تؤمر ، نحن لا نستطيع عمل أى شىء غير ذلك » .

ولما كنت سفير الأردن المعنى مباشرة بهذا الموضوع ، قررت بناء على اقتراح ذلك الموظف الدولى أن أعمل شيئا بالنسبة لعملية التشويه الخطيرة محاولا تصحيحها . زرت الأمين العام يوثانت فى نفس اليوم ، وبينت له ما حدث ووجدته لا يعرف شيئا عن الموضوع ، وكذلك الأمين المساعد المسئول عن الادارة المعنية . وأجرى التحقيق وتكشفت الأمور ، وتبين أن بعض الموظفين الاسرائيليين فى الأمانة العامة قد استغلوا نفوذهم وضغطوا على الموظف فى ادارة الاحصاء وحملوه على تنفيذ التغيير المطلوب ، فشطبت كلمة « فلسطين » واستبدلت بكلمة « إسرائيل » .

امر يوثانت بتصحيح الخطأ ، وبقيت نصوص الكتاب السنوى كما كانت واسم فلسطين (حيث كان) . وقال لى الأمين العام : إنه لا يستطيع أن يحيط بكل ما ينشر من وثائق فى الأمم المتحدة ، وأن علينا ان ننتبه لكل ذلك . ولفت نظره لأية مخالفة ليعمل على تصحيحها . **وكنت اتمنى لو كلف من جانبنا موظف متفرغ بمراجعة كل ما تنشره الأمم المتحدة من وثائق بالنسبة للقضية الفلسطينية ، حماية لها من عمليات التشويه والتزوير الاسرائيلية .**

وبعد ان تكشفت اعمال السلطات الاسرائيلية ، وفشل لجوئها إلى التزوير فى الأمم المتحدة لالغاء اسم فلسطين فى وثائقها ، لجأت إلى المساعى الدبلوماسية لتحقيق ذلك فى أمور اخرى . فهى تقوم الآن بتكثيف جهودها من أجل اقناع المنظمة الدولية بإلغاء اسم « فلسطين » من البطاقات التى يحملها مراقبو الأمم المتحدة . وهى قوات عسكرية شكلت حسب اتفاقات الهدنة قبل قيام إسرائيل . وتريد استبدال اسم « فلسطين » باسم « إسرائيل » ، وهذا جزء من مخطط طمس اسم فلسطين وإنكار وجود شعبها وإسقاط الهوية الفلسطينية ، الأمر الذى افشلته مقاومة الشعب الفلسطينى التى لم تتوقف منذ قيام الحركة الصهيونية ، وتزداد قوة وصلابة كل يوم .

وهناك عمل تزويرى آخر تقوم به إسرائيل فى الأمم المتحدة . ففى عام ١٩٨٧ ، اردت الحصول على خريطة تقسيم فلسطين . وكانت الأمم المتحدة هى المرجع الرسمى لمثل هذه الوثيقة . واسقط فى يدى عندما وصلتنى الخريطة ولاحظت أن مدن وقرى فلسطين العربية استبدلت بأسماء عبرية ، وذلك بعد أربعين سنة من قرار التقسيم . أصبح اسم مدينة « يافا » على سبيل المثال « يافو » ، ومدينة اللد « لدو » وهكذا .

وسجلت جامعة الدول العربية احتجاجا لدى الأمم المتحدة ، وتم إتلاف الخرائط المزورة وطبع خريطة التقسيم الرسمية مع الاعتذار لما حدث .

ولا يتوقف كبار المسؤولين الأمريكيين عن ارتكاب عمليات تشويه ومغالطة لا تقل خطورة عن ما تقوم به إسرائيل . ففى عام ١٩٨٤ ، حضرت عشاء اقامه الأمين العام لجامعة الدول العربية الشاذلى القليبى على شرف برزينسكى مستشار الرئيس كارتر للأمن القومى . وتحدثنا عن قضية فلسطين ، وبحثت مع برزينسكى كتابه « القوة والمبدأ » الذى أشار فيه إلى بيان الرئيس كارتر الذى أوصى بوطن للفلسطينيين ، والذى قال برزينسكى عنه : إنه « بيان عفوى غير متوقع » .

قال الرئيس كارتر : « **يجب ان يكون هناك وطن للاجئين الفلسطينيين الذين عانوا وتعذبوا لسنوات طويلة طويلة** » .

وأضاف برزينسكى فى كتابه أنه ووزير الخارجية سيروس فانس قد تلقيا تعليمات مباشرة من الرئيس : « أن لا تعطى أية تفصيلات أو ايضاحات » لهذا التصريح ، وأضاف :

« ورغم ذلك فلطمأنة الاسرائيليين ، قلت للسفير الاسرائيلى سمحا ديمتس إنه حسب تقديرى فإن كلمة « وطن » لا معنى سياسى اضاف لها غير معناها الأصلى » .

وهكذا ، رغم تعليمات الرئيس المباشرة ، قام برزينسكى بإضعاف وتشويه التصريح الذى أعطاه رئيسه ، وأعطى السفير الاسرائيلى رسالة أخرى لحكومته لتطمينها .

وما نشر فى كتاب برزينسكى كان **جزءا من الحقيقة** . ولم يكن بيان جيمى كارتر غير متوقع كما أوحى برزينسكى فى كتابه . لقد قصد من هذا البيان خدمة غرض معين وتوقيته كان محسوبا بدقة . **لقد أعطى الرئيس هذا التصريح اثناء انعقاد المجلس الوطنى الفلسطينى فى مقر جامعة الدول العربية فى القاهرة ، وقصد منه إعادة طمأنة الفلسطينيين بان هناك سياسة امريكية جديدة حول قضية فلسطين ، حتى لا تكون قرارات المجلس الوطنى الفلسطينى عنيفة ضد السياسة الأمريكية** . والذى لم يتعرض إليه برزينسكى فى كتابه هو أن آرثر لورى من السفارة الأمريكية فى القاهرة قد جاء إلى مكتبى ، بصفتى أمينا عاما مساعدا لجامعة الدول العربية ، وسلمنى صورة من بيان الرئيس كارتر ، وأعرب عن أمله أن أنقل هذا التطور الجديد (بيان الرئيس) إلى ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية وإلى محمود رياض الأمين العام لجامعة الدول العربية آنذاك .

وما يدعو للسخرية والاستغراب ، أنه بينما كان آرثر لورى يقوم بزيارتى فى محاولة لاعادة طمأنة الفلسطينيين واطلاعهم على سياسة أمريكا الجديدة ، كان مستر برزينسكى يستقبل السفير سمحا ديمتس من اسرائيل فى واشنطن لاعادة طمأنته بأن كلمة « وطن » التى تفوه بها الرئيس لا تحمل معنى سياسيا خاصا .

مثل هذا الكلام بلغتين مختلفتين هو الذى جعل وعود امريكا تفتقد المصداقية فى بلادنا . ولهذا عندما يتحدث كبار المسؤولين الأمريكيين عن قضية فلسطين بأنها « قضية الفرص الضائعة » ، أتساءل إلى أى مدى يعتبر السياسيون الأمريكيون المسؤولون عن هذا .

وفى أثناء العشاء ، سألت برزينسكى لماذا أشار إلى اجتماعه مع ديمتس فى واشنطن ولم يقل شيئا عن اجتماع لورى فى القاهرة ، وسألته أن يوضح لماذا تكلمت امريكا بلغتين مختلفتين ، لغة مع الفلسطينيين وأخرى مع الاسرائيليين ، وأشرت إلى ما جاء فى كتابه حول بيان الرئيس كارتر الذى قال عنه إنه لا يتضمن معنى سياسيا خاصا . لم يجب على السؤال الأول وأجاب على السؤال الثانى بأنه استعمل كلمة « محدد » لا كلمة « خاص » ، وأوضح أنه باستعماله الكلمة الأولى يعنى أن البيان لا يستثنى معنى تاريخيا محددا ككلمة « وطن » الواردة فى وعد بلفور والتى أدت إلى قيام دولة . ولما كان قد مضى وقت على قراءة كتاب برزينسكى ، فلم أكن متأكدا إذا كان محقا فى ايضاحه كلمة « خاص » . وعندما ذهبت إلى البيت تلك الليلة عدت إلى الكتاب ووجدت أنه استعمل كلمة « خاص » التى أشرت إليها ، وليس كلمة « محدد » التى قال إنه استعملها ، وواضح أن لا قيمة لجميع الايضاحات التى بناها على كلمة لم ترد فى كتابه .

ثم إن برزينسكى قد تجنب أن يوضح لى لماذا لم يذكر كامل القصة بالنسبة لبيان كارتر حول « وطن » للفلسطينيين ، أعنى لماذا لم يذكر دور السفارة الأمريكية فى القاهرة والرسالة التى نقلتها لى كى تسلم لياسر عرفات ومحمود رياض . وقبل نهاية الحديث مع برزينسكى قلت إن مشكلتنا مع الولايات المتحدة هى مشكلة مصداقية ، وان على الولايات المتحدة أن تتوقف عن استغلال مشكلتنا الانسانية لارضاء قوى الضغط الصهيونية فى أمريكا على حسابها .

ورغم جميع التكتيكات والمناورات ووسائل الضغط والاكراه والتهديد المصنفة فى هذا الكتاب ، لن يكون هناك سلام ما دام هناك ظلم . وقد آن الأوان ان يتأمل الشريكان الاستراتيجيان امريكا وإسرائيل هذا . ويعرفا انهما لا تستطيعان تحقيق السلام بلغة المراوغة والكلام الخادع ، وان السلام لا يتحقق إلا إذا توقفت الولايات المتحدة عن حماية فتوحات اسرائيل وتوسعاتها ومعالجة القضية من جذورها .

لقد علم التاريخ الانسان ان استعمال القوة لاحتلال الأرض لا يعطى حقا ، بل يفرض واجبا على الشعب المقهور الذى اصبح تحت الاحتلال ان يقاوم الغاصب المعتدى بقوة السلاح إلى ان يتخلص منه . هذا درس تعلمه جميع الغزاة . وإسرائيل لا يمكن ان تكون استثناءا لهذه القاعدة .

نرى اليوم أن الارهاب الاسرائيلى قد امتد لأراضى لبنان .. ويتساءل الانسان أى بلد يشكل هدف التوسع الاسرائيلى القادم .

لا اظن اننى أستطيع ان أنهى هذا الكتاب بأحسن من الملاحظات التى قالها الصحفى الأمريكى المعروف « جيمس رستون » ، الذى كتب بعد مقابلة مع جولدا مائير فى جريدة « النيويورك تايمز » بتاريخ ٨ فبراير/ شباط ١٩٧٨ ما يلى :

« إسرائيل تنادى بالعدالة لكنها ، ليست عادلة بالنسبة للاجئين العرب ، إنها تطلب الرحمة ، وهى تضرب بلا رحمة . إنها تصرخ منادية بنظام عالمى لائق وجدير بالاحترام وتنادى بالمبادىء بين الشعوب ، بينما هى تحتقر وتسخر وتشوه سمعة الأمم المتحدة التى تشكل رغم عوامل ضعفها الظاهرة ، الأداة الوحيدة التى لدينا لتحقيق النظام الدولى والعدالة » .

وأضاف رستون :

« وبهذا المفهوم ليست الجغرافيا ولا التاريخ وحدهما ضد إسرائيل ، لكن المنطق ايضا ضد إسرائيل فى المدى البعيد ، والاسرائيليون يعلمون هذا ... » .

□ □ □

الخاتمـــة

هناك جيل جديد فى الغرب قد كبر ، وبالنسبة له فالحالة فى فلسطين تعنى الأمر الواقع . وهو لا يرى حاجة لمعرفة كيف صار هذا الأمر الواقع وما هى أسبابه ودوافعه ؟ فالنضال الفلسطينى بالنسبة لهذا الجيل لا تاريخ ولا ارتباط ولا معنى له . ففى الغرب يتضاءل فهم عظم وضخامة هذا النزاع القائم منذ مدة طويلة .

وغاية هذا الكتاب هى خلق المزيد من الوعى والمعرفة والتفهم لأبعاد المشكلة المختلفة . أرجو أن يكون فى سلسلة الأحداث التى ذكرتها حول دبلوماسية دهاليز الصعيد الدولى الطويلة ، ما يساعد القارىء على تفهم كيف نشأت الدولة اليهودية ؟ وكيف تمت الأصوات المطلوبة لقيامها ؟ وما هى دوافع الضغط التى أدت إليها ؟ وفى حين تستطيع الشعوب أن تعمل مجتمعة فى وقت الأزمات ، فإن هذا لا يعنى أن الاتفاق الدولى يبقى مستمرا ليجمعها لمدة طويلة . غير أن ما يبعث على الأسف الشديد ، هو أن إسرائيل وحليفتها الاستراتيجية الولايات المتحدة تقفان دائما وباصرار ضد كل محاولة بناءة أو قرار فعال للأمم المتحدة لتحقيق السلام الدائم المبنى على العدل فى الشرق الأوسط .

لقد وقفت الولايات المتحدة ، مع استثناءات نادرة ، خلف الحركة الصهيونية التى تتعارض فلسفتها السياسية مع حقوق الشعب الفلسطينى الوطنية وترى فيها القوة المهددة لأهدافها ، غير أن هذا لا يعنى أن على باقى العالم أن يقبل الحالة التى خلقتها إسرائيل عن طريق رغبتها الملحة لحيازة أراضى الغير عن طريق القوة ، ولخلق منطقة نفوذ أوسع لها . فالغارات التى ازدادت فى الحجم والقسوة حتى أصبحت مذابح وحروب أدت إلى مشكلة

لاجئين كبيرة ، وأدت إلى معارضة مجموعة من الدول لبلد اثبت بأعماله وممارساته أنه جسم غريب فى المنطقة العربية . كل هذا كان نتيجة الميراث الذى تركه قرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ . هؤلاء الفلسطينيون الذين أكرهوا على مغادرة بلدهم يعانون من عدم الاستقرار فى أى مكان ، سواء كانوا يعيشون فى مخيمات اللاجئين ، أو يعملون فى دول أجنبية ، أو يلجأون إلى دول أخرى . والذين بقوا منهم فى الضفة الغربية وقطاع غزة يشعرون أنهم يعيشون فوق أرضهم ، لكنهم ليسوا محرومين من العناصر البسيطة والأساسية لحقوق الانسان فقط ، بل إنهم أيضا يرون الاستعمار الاستيطانى الصهيونى وهو يصادر أراضيهم ويقيم المستعمرات الاسرائيلية عليها ، ويرون المستعمرات تنمو فى مساحات واسعة منها حيث لا حق للاسرائيليين أن يكونوا هناك أصلا .

وما تريده إسرائيل اليوم هو الاختفاء الكامل للفلسطينيين بكل الوسائل مهما كانت قسوتها ، وهذا الموقف يشبه كثيرا نظرية « الشعب المتفوق » التى نادى بها هتلر ، والتى اتحد العالم ضدها وانتصر لانقاذ العالم من مثل هذه النظريات الهدامة . ورغم كل هذا ، فقد ظهرت نفس النظريات فى جانب آخر من العالم ، لأن إسرائيل تنعم بدعم الولايات المتحدة الأدبى والاقتصادى والعسكرى .

غير أنه يبدو أن فكرة الشعب المتفوق الجديدة أخذت تنفذ سياستها القاتلة بحصانة تبعدها عن أية عقوبة . **فإسرائيل هى تجسيد للصهيونية ، وقد أدينت الصهيونية بتاريخ ١٠ نوفمبر/تشرين الثانى ١٩٧٥ من قبل الجمعية العامة للأمم المتحدة كشكل من أشكال التمييز والحقد العنصرى** . وزيادة على ذلك ، فقد خالفت إسرائيل كل التزام تقدمت به قبل دخولها لعضوية الأمم المتحدة . وهى كما هو ظاهر دولة ليست محبة للسلام وراغبة فى الالتزام بمبادىء الميثاق . ورغم كل هذا ، **فإن الكثير من سياسات اسرائيل قد تمت بالتواطؤ والقبول من جانب شريكها الاستراتيجى الولايات المتحدة الأمريكية** ، التى تقدم لها الدعم الكامل بالاضافة إلى أنواع المساعدة من المقاتلات حتى أصغر المستلزمات فى مخازن العسكرية الأمريكية .

وفى أثناء هذه الكتابة ، وصلت معلومات تقول : إن هناك ممارسات لا سامية ـ تمارس هذه المرة ضد العرب ـ ظهرت فى الولايات المتحدة الأمريكية . ويبدو أن نفوذ اللوبى الصهيونى هناك أصبح من القوة التى تمكن قيادته من دفع الحكومة الأمريكية للمشاركة فى مثل هذه الممارسات . هذا تطور شرير وخطر ، وليس من الحكمة تجاهله ، **لأن العرب الذين يعرفون جذور أسباب عدم الاستقرار فى الشرق الأوسط يصعب توقع الا يكون لهم رد فعل قوى ضد مؤشرات واضحة للتمييز العنصرى** .

لقد آن الأوان لأن تدرك الولايات المتحدة ليس فقط أن أساس النظرية الصهيونية خطأ ، بل أن تتقدم أيضا إلى الرأى العام العالمى وتناشده أخذ موقف ايجابى يضغط على اسرائيل لايقاف أعمالها العدوانية ، ويدعوها إلى الالتزام بشروط التزمت بها عام ١٩٤٧ .

وعندما تتوقف الولايات المتحدة عن احتضان هذا العناد والتصلب الاسرائيلى ، وعندما يبدأ القادة الاسرائيليون فى تغيير عقولهم وقلوبهم ويتوقفوا عن تجاهل حقيقة وجود شعب فلسطين ، عندها وعندها فقط يمكن أن يسود جو يحقق السلام . **ومهما طال اعتماد الاسرائيليين على لىّ الذراع وتشويه الحقائق ، فلابد للحقيقة أن تسود .**

كلمة أخيرة ، هى أن الفلسطينيين لن يتخلوا عن نضالهم وعن اصرارهم واستمرارهم فى هذا الكفاح . قال المرحوم موسى العلمى ، أحد قادة فلسطين المعروفين ، لشخصية كبيرة فى الخارجية الأمريكية هى اليوت ريتشاردسون فى مايو/ آيار ١٩٧٠ :

« إذا بقيتم على هذا الحال منفذين سياسة العداء للعرب والتبعية للاسرائيليين ، عندها سياتى الوقت الذى تطردون فيه من الشرق الأوسط ، ولن تنحصر المعاناة فى مصالحكم الاقتصادية وبعثاتكم الدبلوماسية وغيرها ، بل لن يستطيع أى امريكى أن يمشى فى شوارع العالم العربى ، وكذلك لن يبقى هناك أى من هؤلاء الذين يعملون كالعوبة فى أيديكم وعملاء لكم أو أصدقاء ... وسياتى هذا قريبا » .

وقد يكون من المفيد التفكير مليا فى هذه الكلمات .

□ □ □

رقم الايداع بدار الكتب

١٩٨٧ / ٨٦٩٠

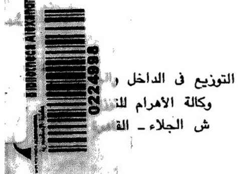
مطابع الاهرام التجارية القاهرة - مصر



● الدكتور محمد الفرّا هو سفير الأردن السابق لدى الأمم المتحدة ، وأمين عام مساعد لجامعة الدول العربية حاليا . مثل الأردن فى الأمم المتحدة أكثر من احد عشر عاما ، وانتخب خلالها لعدة مناصب فى المنظمة الدولية . حيث شغل منصب رئيس مجلس الأمن الدولى ، ونائب رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ونائب رئيس المجلس الاقتصادى والاجتماعى الدولى ، ورئيس لجنة الشؤون الاجتماعية المنبثقة عن المجلس الاقتصادى والاجتماعى ، ورئيس اللجنة الدستورية التى وضعت النظام الداخلى للمؤتمر التجارى العالمى .

● ومثل الأردن فى مجلس الأمن ، وفى عدة دورات للجمعية العامة للأمم المتحدة . وعلى الصعيد العربى ، انتخب اول رئيس لمجلس الوحدة الاقتصادية العربية ، ورئيسا لمؤتمر اجهزة فلسطين بجامعة الدول العربية ، وممثلا للأردن فى عدة لجان ومؤتمرات منبثقة عن جامعة الدول العربية .

● وعرض الدكتور الفرّا القضية الفلسطينية على اجهزة الامم المتحدة المعنية ممثلا للأردن ، وبصورة خاصة عندما نظر مجلس الأمن فى حرب يونية/حزيران ١٩٦٧ . وهو الذى مثل الأردن فى مباحثات يارينج ، والذى دافع عن قضايا عربية كثيرة من بينها المغرب وتونس والجزائر وعمان والجنوب العربى وفلسطين . وكتاب « سنوات بلا قرار » يعكس بعض خبرات الدكتور الفرّا فى الميدان الفلسطينى .



التوزيع فى الداخل
وكالة الأهرام للن
ش الجلاء ـ الق

مركز الأهرام للترجمة والنشر
مؤسسة الاهرام

مطابع الأهرام التجارية القاهرة ـ مصر